أوج
لبناء فكري متجدد

دراسات :
مناقشة القانون العقلي
محمد بن ناصر الغانم

فخ النخبوية
طلال بن علي الجابري

يفعلونه في أمريكا
علي جابر المشنوي

مقابلة العدد
حمزة أندرياس تزورتزس

بين الصورة والخيال والذات المبدعة
د. وضحى مسفر القحطاني

شخصية العدد
رضا زيدان

اعترافات أمير
أمل الصالح

ثقافة التباهي
ملحمة

أوج - العدد 2 - 1438 هـ / 2017 م - مجلة فصلية تصدر عن مركز دلائل - www.dalailcentre.com

الفهرس

افتتاحية العدد — أسرة التحرير ---------- ١

فخ النخبوية — طلال بن علي الجابري ---------- ٣

يفعلونه في أمريكا — علي جابر المشنوي ---------- ٥

ثقافة التباهي — ملحمة ---------- ١١

بين الصورة والخيال والذات المبدعة — د. وضحى مسفر القحطاني - ١٥

الشهرة كقيمة مطلقة — بندر فراج الأسمري ---------- ٢١

نسوية وأم .. ومشاعر ذائبة — الزهراء سارة ---------- ٢٣

الرصاصة الفضية — محمد صالح الهبيلي ---------- ٢٥

اعترافات أمير — أمل الصالح ---------- ٣١

يوتيوبيا : معنى الحياة عندهم — سامي أحمد الزين ------- ٣٥

إبداعات الفنون — التصوير – الرسم : أمل آل شبلان ------- ٣٩

ملف خاص — التعريف بكتب مركز دلائل ---------- ٥٣

مقابلة العدد — حمزة أندرياس تزورتزس ---------- ٦٥

كتب مختارة — فريق التحرير ---------- ٧١

خيالات الشُراح — سلطان الكامل ---------- ٧٥

وهم المعرفة — ريم محمد الغويري ---------- ٧٧

شخصية العدد — رضا زيدان ---------- ٧٩

الأمة الواحدة — شروق العمودي ---------- ٨٣

دراسات : مناقشة القانون العقلي — محمد بن ناصر الغانم -- ٨٥

المقالات والأعمال المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها

للتواصل وإرسال الملاحظات أو المقالات المقترحة : Dalailcentre@gmail.com

مجلة تعنى بإثراء المحتوى الفكري الشبابي في مختلف مجالات الحياة العصرية بأسلوب حديث يراعي التنوع في درجة التناول بين ما يناسب القارئ العادي والمتخصص

تصدر عن مركز دلائل

dalailcentre@gmail.com

المشرف العام

أ. د. خالد بن منصور الدريس

رئيس التحرير

عبدالله بن حمد الركف

مدير التحرير

م. أحمد حسن

هيئة التحرير

محمد الغانم

عبد الكريم الدخين

سفيان ناصر الله

افتتاحية العدد

أسرة التحرير

<

كثيراً ما نسمع مقولة : ((النجاح صعب، والمحافظة عليه أصعب))، لكنها انقلبت لدينا إلى واقع منذ فراغنا من العدد الأول لمجلة (أوج)، لم نتخيل ولله الحمد كل هذه الحفاوة التي قابلنا بها الجمهور المثقف، مما بدا وكأن المجلة جاءت بالفعل على ظمأ معرفي حقيقي، التعليقات .. المشاركات .. الحديث عنها .. الرسائل الخاصة .. بل وحتى الانتقادات .. كل ذلك بما حوى إن دل على شيء فقد دلنا على ثمرة اهتمامنا بالمواضيع التي اخترناها لكم، والاهتمام بالأقلام التي شرفنا بها، مما ضاعف لدينا الحس بالمسؤولية تجاه العدد الثاني :

هل سيكون بنفس جودة العدد الأول ؟ هل سيلاقي نفس الحفاوة والفائدة التي لمست الكثيرين بفضل الله (وهو الهدف الأول لمجلتنا) ؟

كل ذلك نترك لكم الحكم عليه بعد مطالعة هذا العدد.

يتبقى فقط ثلاث نقاط هامة نود الإشارة إليها وهي :

الأولى : التأخير الكبير في صدور العدد الثاني راجع لانشغال فريق المجلة مع إصدارات كتب مركز دلائل لمعرض كتاب الرياض ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م، الثانية : تم تغيير الإخراج الكلي للمجلة إلى الأبسط والأكثر وضوحاً في نصوص المقالات، لأنه بقدر ما تلقينا ثناءً كبيراً على إخراج العدد الأول، بقدر ما جاءتنا أيضاً بعض الانتقادات على كثرة الخلفيات الملونة التي لا تناسب البعض في القراءة، الثالثة : تم تخصيص فقرة أخيرة في العدد باسم (دراسات)، ستناسب فئة المتخصصين في شتى المجالات الفكرية لتتنوع مع كل عدد.

فخ النخبوية

طلال بن علي الجابري
باحث ومهتم بالشأن الفكري.

صعد شخص إلى أعلى قمة الجبل ونظر إلى الناس أسفل الوادي فرآهم **صغاراً** بأحجام صغيرة، فتعجب ولم يعلم أنهم من أسفل الوادي ينظرون إليه كذلك فيرونه **صغيراً**.

بهذه الصورة الرمزية ننفذ إلى معنى من معاني السقوط **النخبوي** الذي يظن في نفسه التميز والامتياز، وأنه الأجدر بمركزية القيادة والتوجيه الثقافي والفكري، وهو من حيث يشعر أو لا يشعر كلما صعد في سلم التقدم الفكري ازدادت الفجوة واستطالت المسافة **وانقطع الاتصال** بينه وبين الناس أسفل الوادي، في الوقت الذي كان عليه أن يصعد بهم شيئاً فشيئاً، وكان عليهم بدورهم أن يتجاوبوا معه في الصعود خطوة بخطوة، لا أن ينعزل الشخص النخبوي في اهتماماته وقضاياه الخاصة، فتختل بذلك بوصلة التوجيه والإصلاح المجتمعي حتى صرنا نرى النخبة وقد انفرطت عندهم آلية التوجيه والتسديد، فلم تعد تحتل مكانها الذي ينبغي أن تكون عليه، ويكون ذلك غالباً بسبب **الإغراق** في التخصص والخصوصية والتثقيف الخاص بعيداً عن المشاركة والإرشاد الوعيي للجماهير والناس، فينتج عن ذلك عدم التجانس وغربة الاندماج مع **المجتمع**، فينظر إليهم من بعُد، وينظرون إليه عن بُعد كذلك، فتقع بينهم حالة من التجمد والتقلص، وبالتالي تتشقق العلاقات وتتثلج الأخلاق والتواصل والمفاهيم.

إن النخبوي في حقيقته ينشأ من بين الجماهير ويخرج من بينهم، بل يكون للجماهير دور في صعوده وبروزه، ويساهمون معه في إبراز تميزه فيما عنده من قدرات ومؤهلات ذاتية، ولكن مع الزمن وبسبب **التجافي** يصاب بعطب الوحدة والانفراد، بل وبفكرة الانفرادية ونظرة الاحتقار والدونية للغير، فكم ترى من مثقفٍ منعزلاً مع كتبه، حبيساً لثقافته ولأفكاره الخاصة. وقد يكون سبب ابتعاده أيضاً عطب **الحزب والحزبية** = مجموعة ممَّن توحدت أفكارهم واهتماماتهم ومشاعرهم = فتأخذهم بعيداً عن أمتهم بدلاً من أن يعيشوا معها، فتراهم يعيشون لذواتهم وأنفسهم.

ونحن لا نطلب من كل نخبوي أن يكون رجل عامة مندمجاً مع الناس، ولكن نطالبه ألا يغرق في قضاياه الخاصة ويبتعد عن الوعي الجماهيري وتوعية الجماهير.

تجدد الموضوعات وتحولات الجماهير

إن الموضوعات بطبيعتها تتغير وتتجدد، وتحدث للناس أفكار وأقيسه في مجريات حياتهم، كما أن الجماهير بطبيعتها لا يكونون على طريقة واحدة، وذلك بحكم الحياة وتصارع الأفكار وتداخل الثقافات، فيحصل لهم أنواع من التحول، فإذا لم ينتبه المثقف والمصلح والمفكر (**النخبوي**) لهذه المتغيرات، وإذا لم

يجدد خطابه ووعيه، وإذا لم ينوِّع من أدواته ويبتكر منها ما يناسب الوقت ولا يخالف الأصل الذي ارتكز عليه؛ **فسوف تتجاوزه** الجماهير بوعيها المتسارع بحكم الكثرة، وسوف تسبقه الموضوعات، لأن الموضوعات فرضها الجِدة، في حين الأولى والمنطقي أن يكون النخبوي هو السابق وهو المتميز في الفهم والاستيعاب والمشاركة، إلا أنه بسبب الأعطاب السابقة وبسبب أزمة الفخ **ووهم النخبة** سيتخلف عن الركب، بل سيكتشف أنه في النهاية بدون فاعلية في مجتمعه.

التماهي أم التجافي ؟

فكرة التماهي في سلبيتها هي كفكرة التجافي كلاهما على طرفي **نقيض**، فليس عليه الاندماج بحيث يفقد تميزه المعرفي ويتخلى عن سماته وأدواره وأثره، فالنخبوي هو ذلك الذي يمتلك التوجيه والتشكيل وإثارة مكامن الوعي في الناس.

ولكنه ليس عليه أيضاً أن يتجافى التجافي الحسي بالابتعاد والانعزال الشخصي، أو التجافي المعنوي في الموضوعات والاهتمامات والقضايا وتجديد الوسائل والأدوات، وفي نفس الوقت لا يتماهى بحيث **يفقد ميزته وخاصيته**، أي لا تكون أزمة النخبوي في ثقافته وأفكاره أو في واقع محيطه، وبمعنى آخر لا تكون أزمته في ثقافته وأفكاره أو واقعه ومحيطه، أو بمعنى ثالث ليكون بينه وبين الجماهير مثل شعرة معاوية، ولكن في شقها الثقافي التفاعلي النافع.

مشكلة مصطلح النخبة

في أعمال **موسكا** الذي يعدّ أول مَن قدم نظرية التفرقة بين النخبة والجماهير، وأول مَن حاول إقامة عالم جديد للسياسة مستنداً في ذلك على تفرقته هذه[١]، يحاول تقديم المجتمع على طبقتين متميزتين : طبقة تحكم، وهم **النخبة**، وأخرى لا تحكم وهم **الجماهير**، وأن قوى السيطرة والاحتكار تكون عند النخبة المتحكمة الحاكمة.

فالطبقة الثانية عند **موسكا** هي الخاضعة للطبقة الأولى النخبة، وقد انتقد **غراميشي** نظرية **موسكا** هذه لأنها تعتبر معضلة غامضة، إذ لا يُفهم على وجه الدقة ما الذي يعنيه **موسكا** بالنخبة، فهو تصور ملتوٍ وفضفاض، حيث حيناً يبدو أنه يقصد به الطبقة الوسطى، وحيناً آخر الحاكم، وحيناً ثالثاً المتعلمين... وهكذا[٢]. وهذا الجدل المصطلحي لا يعنينا في هذا الموضوع، وإنما الذي نركز عليه هو الدور والأثر، ومشكلة الانزواء وتعطل الإمداد النخبوي **وتخلفه** عن دوره الذي ينبغي أن يتسنمه، وذلك بعيداً عن إشكاليات المصطلح التي رغم أهميتها إلا أنها ليست لنا بفرض.

أزمة النخبوي في نخبويته[٣]

تظهر تلك الأزمة عندما يمارس النخبوي الوصاية ويتقمص دور السلطة والنظر إلى الآخرين من **العلو**، وعندما لا ينظر أيضاً إلى سواد الناس ويعيش أفكارهم واهتماماتهم ويفكر معهم ويفكر **لهم**، حيث أنه لا يكفي أن ينخرط معهم ويكون عضواً، بل يكون معهم ولهم مثقفاً متفاعلاً فاعلاً.

إن النخبوي يقتل نفسه عندما ينحصر في **طوباويته**[٤] أو في درسه **الأكاديمي** أو في حزبه **الفئوي**، بل ينبغي أن يعيش عضواً في جسد أمته فيكون العضو المؤثر الفاعل البار الناصح الذي لا ينفصل عنها، فإذا انفصل تكون العِلة ليست في الجماهير، ولكن في واقع الفاعلية النخبوية ذاتها.

المراجع :

[١] توماس بيرتون بوتومور، الصفوة والمجتمع : دراسة في علم الاجتماع السياسي، ترجمة وتقديم محمد الجوهري وآخرون ص ٢٧.

[٢] أ- الدكتور محمد بن صنيتان، النخب السعودية : دراسة في التحولات والإخفاقات، مركز دراسات الوحدة العربية ص ٢٤ - ٢٥.

بـ - الدكتور عبد الإله بلقزيز، نهاية الداعية : الممكن والممتنع في أدوار المثقفين، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ص ٧١.

جـ - دكتور ميجان الرويلي ودكتور سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي : إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً، مركز الثقافة العربي.

د - دكتور علي حرب، أوهام النخبة أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي ص ٩٨.

[٣] انظر دكتور علي حرب، أوهام النخبة أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي.

[٤] الطوباوية هي النظرة المثالية في عالم خيالي بعيد عن الواقع وظروفه.

يفعلونه في أمريكا

علي جابر المشنوي

باحث دكتوراه في القانون المقارن/ بجامعة واشنطون أمريكا. مهتم بالقضايا الفكرية .

(١)

صديقي **عبد الرحمن الهذلول** قارئ ومثقف وصاحب قلم جميل، ولديه تجربة كتابية جميلة لكنها قليلة، لاحظ صديقي أن كلامه لا يُطربُ كثيراً عندما يطرحه في شبكات التواصل وفي مجموعات المحادثات "**الواتساب**".

قرر أن يجرب طريقة أخرى، وقد نجح فيها نجاحاً كبيراً، ولا زال إلى اليوم يمارس هذه الطريقة ! الأمر سهل جداً، لقد قرر صاحبنا أن يكتب ما يدور بخاطره ولكن باللغة **الإنجليزية** وليس العربية ! ثم ينشرها في ذات النوافذ التي كان يبث فيها رسائله العربية، وكانت النتيجة **مذهلة بحق**، تعليقات كثيرة وعديدة تنهال من كل صوب.. جميل، رائع، عظيم، من أي كتاب ؟ مَن هو صاحب هذه المقولة ؟ إبداع حقيقي ! الله الله، وهلم جراً...

(٢)

كثيراً ما أخوض نقاشات عديدة وأحياناً بشكلٍ يومي في قضايا مختلفة، كنتُ ألاحظ تمسك الطرف الآخر بوجهة نظره ومحاربته لأجلها، حتى وإن قدمت له **الأدلة النقلية والعقلية** في ذلك، فهو ثابتٌ في مكانه وعلى رأيه لا يتزحزح، لكن هذا الثبات يسقط تماماً ويتحول إلى تسليم واستسلام وتراجع عندما أستحضر مقولة **لكاتبٍ غربي**، حتى إني أصبحتُ أعتني باستحضار المقولات الغربية وحفظها لاستحضارها إذا ما حمي وطيس النقاش مع هذه الفئة - **المثقفة** - من الناس !

أذكر في مراتٍ عديدة، كان النقاش يجري حول ممارسة ما في مجتمعنا العربي، فكانت الخصومة على أشدها، والألسن كالسيوف في معركة طاحنة، ثم انجلى كل هذا، وانتهى

النقاش لأنني فقط قلت : **في أمريكا يفعلونها** !

الغريب أن هؤلاء القوم هم أكثر الناس رفعاً لشعارات **تحكيم العقل**، وضرورة **النقد**، والحض على الخروج من دائرة **القطيع** ! لكن هذه الدعوات البراقة والتي توحي بعصامية وثقة بالنفس سرعان ما تنكشف في مثل هذه النقاشات.

والأغرب من هذا أن هذه الفئة من الناس تقف ملياً أمام كتب السنة مثلاً، وأقوال العلماء وإجماعات الأمة، وتقلبها ذات اليمين وذات الشمال وتنتقد أي خطأ حتى لو كان مطبعياً ! وتصنع من الخطأ الصغير فصولاً من الانتقادات، فإذا رأيت طريقتهم تلك ظننت أنهم نقاد من الطراز الرفيع، وكبرت عقولهم في عينيك، لكن هذه الوقفات الناقدة، وتلك الأعين الفاحصة تختفي تماماً عندما يكون الكتاب المنظور فيه **غربياً**، فهم يقيمون نقاط تفتيش دقيقة عند كل سطرٍ لكتاب **إسلامي**، لكنهم يلتهمون كتب الغربي التهاماً وكأنها الحق الذي لا شك فيه، والصدق الذي لا يعرف الباطل إليه طريقاً !

(٣)

تأمل معي هذا المثال الواقعي : في المجتمع الغربي تُنسب الأنثى إلى زوجها بمجرد زواجها منه، **فهيلاري** زوجة **كلينتون** أصبح اسمها منذ ارتباطها به **هيلاري كلينتون**، تمر هذه الظاهرة على أغلبنا مرور الكرام وبلا أدنى استغراب أو استنكار، لكن، ماذا لو كانت هذه العادة عادة عربية أو قيمة إسلامية ؟

سيتحول الأمر إلى هذا النحو : مقالات استنكار، مئات التغريدات في ذات الموضوع، كلمات من هذا القبيل : "**جعلوها سلعة وكأنه لا قيمة لها ! حتى اسم عائلتها سلبوه منها ! كأنها بضاعة من البضائع وليس بشراً إلخ**"، لكن لأن العادة **غربية**... فهذا كافٍ في أحسن الأحوال لأن تمر بلا نكير، ولوصفها على أنها عادة مجتمعية لا تدل على التقليل من مكانة المرأة ! وفي بعض الأحوال ربما تعتبر هذه العادة دليلاً على الرقي والتقدم والمدنية! هكذا تكتسبُ الممارساتُ - عند هؤلاء -

قيمتها الإيجابية والسلبية بالنظر إلى **مَن يفعلها** وليس بالنظر إلى صحتها أو فسادها في ذاته.

ثم هم يدورون مع الحراك الغربي حيث دار، فما يضعه الغربي على طاولة النقد والامتحان، يضعونه كذلك حذو القذة بالقذة، فإن كانت الفكرة غربية : سعوا بكل طريق **لعولمتها** ولو بحمل الأدلة الشرعية حملاً لتتفق معها، خذ مثالاً على ذلك "**الحريات**".

فإذا كان محل الدراسة شأناً إسلامياً كالحدود الشرعية مثلاً، سعوا بكل طريق إلى ترويضها لتتفق مع الرؤية الغربية، أما ما لا يتناوله الغربي بنقد : فإنهم لا يلتفتون إليه مطلقاً، فهم في الحقيقة لا ينطلقون من أنفسهم أو عقولهم أو ما تحتاجه أمتهم، فموضوع **الشذوذ الجنسي** مثلاً عندما كان محرماً عند المُشرع الأمريكي، كان غير مطروق عند أصحابنا وليس محل أخذٍ ورد، لكنه بعد التشريع الأمريكي للشذوذ تحولت أنظار المتعاقلين العرب نحو القضية، ولكن في **قطع يد السارق** تجد الهجوم والانتقادات لهذا الحد الشرعي المُحكم لأنه كما يقولون لا يتفق مع التطور الإنساني الحاضر، لكنهم في المقابل يصمتون عن التعرض لحكم **الإعدام** بالانتقاد - مع أن هناك حقوقيون في الغرب يقفون ضد حكم الإعدام - إلا أن أصحابنا لا يتعرضون إليه، لماذا ؟ ليس لأنه مشروع ومعقول، وإنما لأن المنظم الأمريكي لا زال يعمل به في بعض الولايات ولم يُجرم دستورياً بعد ! فما دام الأمريكي يراه معقولاً ومقبولاً فهو عند هؤلاء معقول مقبول!

(٤)

الأغرب من هذا والأقبح.. أن هذه الفئة المتعاقلة من الناس، يأخذون النظريات والأفكار الغربية **كمُسَلمات**، مع أنهم **نسبيين** إذا ما كانت المقولة شرعية أو شرقية !

ما لا يعلمه هؤلاء المُسبحون بحمد كل فكرة غربية؛ هو أن الفكر الغربي نفسه يضع فوق طاولته أمرين مهمين ودائمي الحضور: **النسبية** و**النقد**، فالنسبية تعني أن الفكرة أو الممارسة الغربية الحالية ليست مطلقة ولا قطعية، والنقد يعني أن ممارسة النقد للأفكار والممارسات والتعديل فيها بالزيادة والحذف والإلغاء والاستبدال هو أمرٌ ضروري ينبغي أن يكون حاضراً على طول الطريق.

هذا ما يفعله **الغربي** وما يتعامل به مع فكرته، لكن ما الذي يفعله **المتعاقلون** من قومنا؟ تجدهم يلفظون القيم الإسلامية، ثم يأخذون الفكرة الغربية كمُسَلمة وحقيقة مطلقة، ثم يدافعون وينافحون عنها، ويقفون بالمرصاد لكل مَن يتعرض لها بالنقد، فهم يقدسون أفكار الغربي أكثر من صاحبها نفسه، فليتهم إذ وجدوا في الفكرة الغربية بغيتهم وغايتهم أخذوا بطريقته في التعامل معها، أي بعرضها الدائم على طاولة النقد، لكنهم لم يفعلوا ذلك، فصاروا إنجليزاً أكثر من الإنجليز، وغربيين أكثر من الغربيين، أو كما يقول الفيلسوف **أبو يعرب المرزوقي** في مقالٍ تحدث فيه عن صفة أحدهم فسماها : "**آرية دونها آرية هتلر**" !

(٥)

وكثيرٌ من هؤلاء **المتعاقلين** غير مدركين للأفكار الغربية التي يخضعون لها، وغير متابعين لمراحلها وانعطافاتها. ولهذا فأنت تُلاحظ أن الفكرة الغربية التي نشأت في الستينيات مثلاً وأخذت صيتاً ثم انطفأت أو تطورت أو أزاحتها فكرة جديدة ؛ تجد أنها تصل إلى **المتعاقل** العربي بعد وفاتها بعقود ! فيأخذها بقوة ويروج لها وينافح عنها ويقاتل لأجلها، كل هذا تحت شعارات العقلانية والعلم، مع أن مُنتج الفكرة نفسه قد أعلن نبأ وفاتها منذ وقتٍ طويل !

وصنف آخر من هؤلاء **المتعاقلين**، يلمز وينتقص من النتاج العلمي الإسلامي لأنه مكتوب في القرون الماضية، ويبرر لمزه وانتقاصه بأنه بالتأكيد لا يناسب زماننا ولا أحوالنا، لكن هذا اللامز والمنتقص للقديم "**الإسلامي**"، يملأ كتاباته وحديثه بالنقولات عن **فولتير** و**هوبز** و**ديكارت** و**بيكون** وأضرابهم من فلاسفة الغرب في القرون الماضية ! وربما أبعد في الزمن ليستحضر مقالات **أرسطو** و**أفلاطون** وغيرهم، لكنه عند قفزته من التنوير الأوروبي عائداً إلى الفكر اليوناني أو من الفكر اليوناني إلى عصر التنوير : لا يحاول عند مروره بالعصر الإسلامي - الواقع بين العصرين – أن يأخذ من نتاجه وإبداعه، بل يرفضه أو يسترخصه ! لماذا ؟

لأنه قديم !

وماذا عن **أرسطو** ومَن معه، وفلاسفة التنوير ومَن معهم؟ أم أن زامر الحي لا يطرب !

(٦)

مـا هـو المعيـار عنـد المتعـاقلين؟

هنا وعند هذا الحد، يحضـر سؤالٌ ملـحٌ : مـا هـو المعيـار عنـد هـذا الصنف من الناس؟ ومـا هـو العقـل الـذي أرهقونـا ليـل نهـار مطـالبين بإعماله والثورة على **ثقافة القطيع** ؟ لماذا تحضر الصرامة النقدية الجاهلة بكـل قوتهـا عنـد النظـر في حـديث نبوي أو أثـرٍ إسـلامي لا يـتلاءم مـع الفكـرة الغربيـة ؟ وتغيـب تمامـاً عنـد النظـر في الأفكـار والممارسـات الغربية ؟ هل المعيار حقاً هو العقل والمنطق، أم أنه **الغرب نفسه** ؟ فـما يفعله الغـرب فهـو الحـق القطعـي، وفي حالـة كـان أقـبح مـن أن يُعـد صـواباً ؛ فـإن هـؤلاء النقـاد يتحولـون في لحظـة إلى متقبلـين لاخـتلاف الثقافـات، ولاسـتيعاب التصرفات والممارسات، مهـما كانـت تنضـح بالمغالطـات وتنـادي عـلى نفسها بالإبطال.

إن ما يدعيه هؤلاء وما يتزينـون بـه من دعوى تحكيم **العقـل**، وتقـديس العقلية **الناقدة** التـي تسـتوقف كـل مـا يمـر عليهـا وتحاكمـه، إنمـا هـي دعاوى يتزينون بها لا غير، لكنها عند اسـتعراض مـنهجهم لا تلبـثُ أن تكشـف عـن **عـدم وجودهـا**، وأن الـرافعين مـنهم لشـعارات العقـل والنقد هم أقـل النـاس إعـمالاً لهـا ! وأن كل ما في الأمر أنهـم مسـتقبلون الغرب وسائرون في فلكه ومُعظمـون لكل مـا يصـدر منـه، فهـو معيـارهم الوحيـد، وبوصـلتهم لا تحيـد عنـه، لكنهم يزينون قبح تبعيتهم بـدعاوى العقلانيـة والانفكـاك مـن الجمـود والثورة على القطيع !

خاتمة...

هل يعني هذا أن نلفظ كل غـربي أو أجنبـي؟ كـلا فـإن الحكمـة ضـالةُ المـؤمن أنى وجـدها فهـو أحـقُ بهـا، والحق والخير مُرادان للمؤمن يأخـذ بهـما سـواء كـان مصـدرهما شرقـي أو غـربي شـمالي أو جنـوبي، **فالعبرة بالقيمة**، فمتى كانت القيمـة حقاً وخيراً فهي مطلبٌ مـن مطالـب الشريعة، ومتى كانت القيمة فاسـدة حتى وإن فعلها بعضُ المسلمين فهي أجنبيةٌ عـن الشـريعة؛ لكـن مـا هـو معيـار الخـير والشـر؟ ومَـن هـو المُستحق لأن يحكُم على تصـرفٍ مـا بحسنه أو قبحه ؟ ليس لأحدٍ حقٌ إلا مَن له **الخلقُ والأمر**، فهما مرتبطـان، فالخـالقُ هـو وحـده المسـتحقُ لأن يُسـمع أمـره ويجتنـبَ نهيـه، وهـو وحـده العـالِم بـالخير والشـر، وقـد علمنـا إيـاه بطـريقين، إمـا بطريـق **الفطرة والعقل** إذ هما مجبولان على معرفـة الضـروريات، وإمـا في **شرعـه** الذي أرسل به خاتم أنبيائه صلى الله عليه وسـلم.. والكـلام في هـذا البـاب يطـول، وإنمـا أدرجنـاه لـئلا يتـوهم متوهمٌ أن المراد الانغلاق على الذات ورفض كل ما هـو أجنبـيٌ عنـا حتـى وإن كان خيراً.

" لا أعلم إذا هناك سر واحد للكتابة الناجحة، لكن إحدى الخطى المهمة هي الانتقال إلى ما وراء التقليد واكتشاف ما يمكنك كتابته ولا يمكن لأحد سواك كتابته. اكتشف من أنت واكتب ذلك بأسلوب سردي مناسب ومميز "

الكاتب الأمريكي : جيمس غن

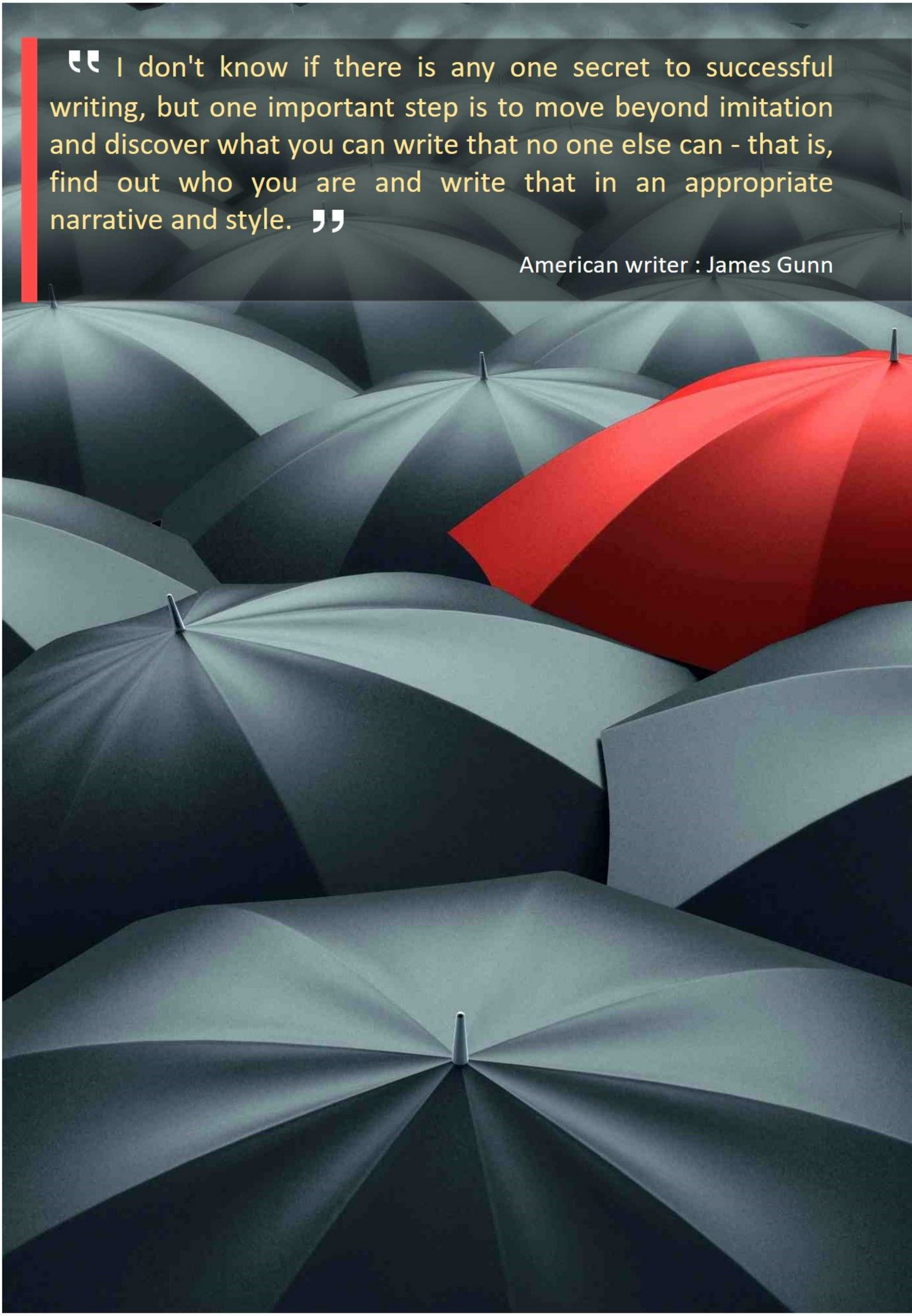
" I don't know if there is any one secret to successful writing, but one important step is to move beyond imitation and discover what you can write that no one else can - that is, find out who you are and write that in an appropriate narrative and style. "
American writer : James Gunn

" الفرح أصبح هو اللحظة غير الإنسانية التي يتم فيها استعراض الثروة والتباهي بها، وتزداد فيها حدة الصراع الطبقي " !
عبد الوهاب المسيري رحمه الله

حالتها المادية سيئة، زوجها مُحمل بالقروض، حياتها ينقصها الكثير، ومع هذا أقامت حفلة تخرج لا تعكس أبدًا وضعها المأساوي الذي أعرفه وتعرفه، ورغم أنها لم تعترف حرفياً ؛ لكن من خلال حديثها استوعبت أن تلك الحفلة كانت **لضغوط من مجتمعها المترف**، فقد تذمرت من حجم التكاليف وبدأت تحسب أمامي الضروريات التي لا زالت تجمع المال من أجلها.. وبينما كانت تتحدث : كنت أرى نموذجًا أمامي لما يسمى بـ "**ثقافة التباهي والمادية**" التي دفعتها للبذخ رغم عدم قدرتها..

لقد ذكرتني بحديث عالم الاجتماع الهولندي **زيجمونت باومان** حين شبه دوامة الاستهلاك بلعبة الكراسي الموسيقية التي تهدد ببقاء شخص خارجها دائماً، هكذا بدت لي في ركض مستمر حول الكراسي لتحجز لها مقعداً في سلم الطبقية عن طريق الإنفاق، وكل ذلك خشية الفشل في إرضاء المجتمع المترف، **فالسعادة لم تكن في تخرجها ولا فرحتها**، بل تم اختزالها في حجم التكاليف التي أُهدرت..

فقد صار يقاس نجاح الحفلة بعدد مَن انبهر، وحتى الهدايا التي وصلت كانت منزوعة المعنى مليئة بالتكلف والمباهاة، وكل هدية لا توافق معايير الترف الاستهلاكي المتعارف عليها كان يُنظر إليها بازدراء !

مثل هذا نراه كذلك في الصورة التي تم تناقلها في مواقع التواصل **لطفل صغير** يحتفل بنجاحه ولكن بمعايير لا يرتضيها المجتمع المادي، تلقف البعض صورته بتندر كونها حفلة خالية من كل معاني السعادة كما يعتقدون.

فحفلة الصغير البسيط لم يكن فيها إلا عدة أطباق من الحلويات منزلية الصنع، بحيث غابت الشموع والكعكة الكبيرة عن جوه الاحتفالي، ولم تكن هناك أي هدية فخمة بحجم الآيفون إلى جواره، هذا الطفل يُعد مثيراً للشفقة حسب معاييرهم الاستهلاكية، و**مهما ارتسمت على وجهه ملامح الفرح**.

هؤلاء ضحايا لمعاني الرفاهية المزيفة التي تقفز لنا من الدعايات والماركات الجديدة والأسواق المتزايدة، وهم مجرد تتمة لحالة إنسان السوق اليوم الذي تحول إلى كومة من الأشياء، ذلك الإنسان الذي بات يجمع نفسه وشخصيته من خلال

المولات الضخمة، ويعرف نفسه عن طريق المحلات التي يزورها، فها هي إحدى الفتيات تشتري حذاءً غاليًا بـ **٧ آلاف ريال**، لم يكن فيه شيء مميز سوى سعره الذي سيجعلها بفضله محط الأنظار، ثم تمر لتشتري حقيبة جلدية بمبلغ أقل هو **٤ آلاف** - فهي لا تحب التبذير- هكذا تقول لصديقاتها ! ثم تختم جولتها في السوق بشراء آخر إصدار للآيفون، رغم أن هاتفها لا زال يعمل، ولكن ثقافة "**التباهي**" تفرض نفسها.. وهوس الشكليات المُرهق يجعل الأمر في مقام الفريضة.

خرجت من السوق وقد جمعت نفسها بشكل جيد، لقد كونت **هويتها**، وتشعر أنها امتلكت قيمة بحسب المبلغ الذي دفعته. هؤلاء المستهلكون يتجولون في الممرات المتعرجة داخل مراكز التسوق يراودهم الأمل في أن يعثروا على علامة هوية أو علامة تجارية من شأنها أن تُحدث ذواتهم وفق آخر الصيحات[١].

ومما يؤكد على اتخاذهم لمقتنياتهم من السوق كعلامة هوية ؛ هو حرصهم على عرضها باستمرار حتى للأعين البعيدة، مثل متابعيهم في مواقع التواصل، فإذا لم تُعرض السلعة على أكبر عدد من العيون تفقد معناها الاستعراضي، وتخسر الهوية التي حُملت بها.

إن **الهوس الاستهلاكي** الذي تسلل للأفراد هو نتيجة حتمية لمجتمع عالمي غزته المادة، وبدت عليه مظاهر التسابق عند بوابات السوق، فما هي الثقافة والفكرة التي سيتركها مشهد هؤلاء الناس الذين يبهرنا اصطفافهم في المدن العالمية كطوابير، حتى يظفروا بأسبقية شراء جهاز لمجرد أنه يحمل هالة "**الجديد**"؟ لا شك أنها تُطبع في أذهاننا بشكل أكبر قيمة السلعة.

بل ولم تخلو مجتمعاتنا كذلك من السعار الاستهلاكي بشكل واضح مع قرب الشهر الفضيل "**رمضان**" ؛ حيث تتزاحم العائلات عند بوابات الأسواق وكأنها تستقبل هذا الشهر بالمنتجات التي تملأ بها عربة التسوق، حتى بتنا نحتاج لتذكير الناس أنه شهر للصيام لا شهر الإسراف في الشراء والأكل، وهكذا بطريقة لا واعية يصبح المعنى مساوٍ للسلعة، وتستغل الشركات الأمر في ضخ الجديد مع وهم التخفيضات الذي يظن المستهلك المسكين أنه نصر له.

ولو تمعنا لوجدنا أن **الثقافة الاستهلاكية** ما هي إلا نمط مستورد كنتيجة طبيعية للرأسمالية، وهذا النمط يحاول دمجنا مع العالم وفق سلوكياته، وقد نجح تقريباً في إعادة هيكلة تصوراتنا تجاهه بالإعلانات التي يبثها مروجاً لسلعه بشكل متكرر ومستمر، حتى باتت إعلاناته تتبعنا كالظل في كل صفحات التواصل وجميع الشاشات، وقد لا تكون قادراً على الإفلات من فخاخها التي تدعو للإنفاق.. فهذا **عبد الوهاب المسيري** رحمه الله يذكر وقوعه فيها قائلاً : " **كنت أحب السفر بالطائرة لأنه يحقق لي كثيراً من الهدوء، سواء في المطار أو في الطائرة، إذ لا يمكن لأحد الاتصال بي، أقرأ الجرائد وأتناول قدحاً من القهوة، وأجلس لأتامل في راحة وسكينة، وكنت أسافر بطبيعة الحال في الدرجة السياحية، إلى أن رأيت إعلان إحدى شركات الطيران الذي بدأ يتحدث عن مدى اتساع كراسي الدرجة الأولى، وتظهر صورة راكب ممدد على كرسيه الوثير مقارنة براكب الدرجة السياحية الذي تظهر صورته بعد ذلك وهو يتقلب في كرسيه من الألم، ويلكزه جاره بيده من غير قصد.**

منذ تلك اللحظة أصبح السفر بالدرجة السياحية مسألة مؤلمة بالنسبة لي"[٢].

هذا كان موقف **المسيري** رغم وعيه بالواقع التسليعي، فكيف بنا نحن الذين لا ندرك بعد حجم الاستهداف لجيوبنا، ونعيش تضخماً للأسواق والمنتجات التي لا تعد ولا تحصى، بينما ترفع الآلة الإعلامية من جهدها لتلميعها وإقناعك أن تلك السلعة تضيف لك "**قيمة**"، ثم لا تكتفي بذلك، بل تبدأ باختلاق أفكار تسويقية لتبرر رغبتك الاستهلاكية، فتراها تقتحمك عن طريق أفكار مثل فكرة "**الموضة**" التي تعني تحريك الملل والضجر من أشياء لم تعد حديثة أو عصرية، وقد عملت الموضة على ممارسة الضغط على الناس للشراء، ليس بدافع الحاجة، بل بدافع الأناقة[٣].

وحين تحضر مصطلحات مثل "**الموضة**" و "**الماركة**" وينخرط المجتمع فيها ؛ يتكرر موضوع الفقير الذي يضطر لتجاهل ضرورياته في سبيل الوصول لسقف التباهي المرتفع. فيصبح هؤلاء الفقراء ضحايا لبذخ

الأغنيـاء وحركـة السـوق التـي لا تتوقف، وهذا يتنافى مع القيمة التي يحاول **الإسلام** تعزيزها في المجتمع بالمساواة وعدم جعل الأفضلية مختزلة في المادة، هذا الإغراق في السلع بشكل مفرط يُنسي الغني واجبه تجاه أخيه الفقير، ويصبح الفقير يحدق في الغني وهو يتمنى ما في يده من ساعة، أو ما يملكه من سيارة فارهة، وإلى أن يفقد المجتمع ترابطه **الروحي** لا شعورياً.

لذلك نحتاج لثقافة نابعة من أولويات الفرد، توقف هذه **التمظهرات الاستهلاكية المفرطة**، فالإنسان المسلم نموذج إنساني للمقاومة، فهو لا يعتبر معدلات الاستهلاك هي النقطة المرجعية التي يستخدمها في الحكم على الأمور، وإنما مرجعيته هي مقدار تحقيقه لقيمه الإسلامية، وبذلك فإن المسلم إنسان " **مقاوم للاستهلاكية العالمية** "[٤] أو هكذا يفترض أن يكون.

في النهاية هذا المقال لا يعني رفض الشراء والترويح عن النفس بل هو محاولة لرفض ظاهرة "**تصنع الثراء**" و ظاهرة "**التباهي**" التي تخلق فوضى طبقية دخيلة علينا ولا حلول معلبة لها الآن لكننا نحاول لفت النظر لوجودها حتى لا نستمر منقادين لها بغير وعي وحتى لا تصبح حفلات التخرج وغيرها من المناسبات **كالأقنعة** التي نجبر على وضعها، وهي أقنعة باهظة الثمن لو تعلمون.

المراجع :

[١] زيجمونت باومان، الحياة السائلة ص ٦١.
[٢] عبدالوهاب المسيري، رحلتي الفكرية ص ٢٠١.
[٣] ريتشارد اتش. روبنز، المشاكل العالمية وثقافة الرأسمالية ص ٤٤.
[٤] عبدالوهاب المسيري، حوارات الهوية والحركية الإسلامية ص ٣٠.

> تقريباً كل التصرفات السخيفة تظهر عند تقليد أولئك الذين نعجز عن التشبه بهم

الكاتب الإنجليزي: صامويل جونسون

> Almost all absurdity of conduct arises from the imitation of those who we cannot resemble

English writer : Samuel Johnson

بين الصورة والخيال والذات المبدعة

د. وضحى مسفر القحطاني
أستاذ النقد والتنظير الإسلامي بجامعة الإمام عبدالرحمن بن فيصل.

الإبداع وتفتق الجمال والاتشاح بالتميز هو مطلب إنساني تتدافع الأعمار وتتسابق الهمم في طلبه، وتتفاوت القوى المبدعة بتفاوت ما لديها من القدرة على خلق الشغف لدى المتلقين لما تنتجه ؛ فالبصمة لم تعد تلك الخطوط التي ترتسم فوق البنان، وإنما اتسعت دوائرها لتحيط بالفكر، واللغة، والبسمة، والنظرة، والصوت، والفن، وكل ما يشير إليك أنك واحد لن تتكرر.

أو دعنا نعطيها التعبير الذي يليق بها (**الأصالة**).

فأنت أيها المبدع إنسان أصيل وأعمالك تشي بأصالتك " **وهذا يعني أن الأصيل هو ذلك العمل الذي لا يشبه أي عمل آخر في أي وجه من الوجوه، أو أنه الحدث المبتكر الذي نصطدم به، فلا نملك سوى أن نتعجب له ونندهش، فأصالته تجذب انتباهنا وتنتزع إعجابنا. والحق أن العمل الأصيل يكون بمثابة سر يذيعه علينا الفنان لأول مرة، فنعجب كيف أننا ظللنا نجهله كل هذا الزمن** "[١].

لقد انبهر العالم حين انبهر بروعة العمارة الأندلسية، وتغنى المتغنون بجمالها " **ولكن روعة البناء الأندلسي تتضمن معانٍ تختلف عما هو ظاهره في العمران فقط...**

فالجمالية الإسلامية تنبع من حقائق الإيمان، إذ تشكل الوجدان الإنساني بما تلقاه من أنوار عن رب العالمين الرحمن الرحيم "[٢].

والفنانون المعماريون الأندلسيون عاشوا العمارة ممزوجة بهمّ الإسلام وقيمه.

لذا تحضر النقوش الإسلامية في ثنايا زخارفهم.

فالشعب المسلم الذي يتزاحم مع الشعب الصليبي على أرض واحدة لن يسمح لغبار الأرض ولا لصحائف التاريخ أن تمحو بصمته.

ولعلي أعرض لك أيها القارئ الكريم مثالاً على امتزاج القيم بالفن...

انظر هذه الصورة :

فقد صممت بهذا الشكل كي تقوم مقام مكبرات الصوت في نقل صوت الآذان، لقد عاشوا الإسلام همًا وليس فناً فقط :

" لقد سخروا الزخرفة التي افتتنوا بها في التعبير عن فكرة الاتزان في البناء، وفي إبراز دوره النفعي الذي يقوم به "[٣].

ولا ينفك الإبداع عن الفكر، ومن هنا شدد د. **فريد الأنصاري** رحمه الله على مَن يحصر- إبداع العمارة الأندلسية في البناء، ويغفل عن القيمية الرائعة التي ارتفعت بهذه العمارة وامتزجت بها في نقوشها وخطوطها، بل أشار إلى إدراك المستشرقين لذلك، وإدراكهم أن المسلمين يميلون بطبيعتهم إلى الفن **التجريدي** لما في نص تعاليم الإسلام من البعد عن تصوير الأرواح[٤].

وهذا قول له جانب من الصحة ؛ فالفن التجريدي يرتكز على الخيال والبعد عن المباشرة، فالفنان يرسم ما يستكن في خياله، ومن هنا كان سر التميز والإبداع.

إن اللوحة التي تراها في الفن التجريدي تعكس خيال صاحبها تنقلك من المشاهدة الملموسة إلى الخيال برحابته. فإن " **الفنان العبقري الذي يطرح أفكارًا جديدة : لا يحاكي الطبيعة، وإنما ينبع إبداعه الفني على فكره. يقول كانط : سواء رسم الفنان الطبيعة بالريشة أو اليراع، شعراً كان أو نثراً، فهو ليس بعبقري مبدع لأنه يحاكي فقط، إنَّ فنان الأفكار وحده هو سيد الفنون الجميلة الحقيقي** "[٥].

ولعل هذا يجعلنا نتأمل في قول الله تعالى : { **خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ** } الرحمن ٣- ٤.

فالإنسان بما أوتي من قدرة على التعبير والإبانة عما يجول في نفسه[٦] هو دليل في ذاته على بديع السموات والأرض، والله خاطب الإنسان في كتابه وجعل كتابه معجزة خالدة تمتد لسائر العصور تكسر حاجز الزمن، فمسلم اليوم يلتذ بكلام الله وتحلق **روحه** في رحابه كما كان مسلم الأمس، فسطوة **القرآن** حاضرة في معانيه، وفي نظمه وجرس حروفه، وفي تصويراته التي تخاطب في الإنسان **مكامن الروح والعقل والخيال**، مما يجعله يُعمِل كل جارحة حينما يقرأ القرآن ويسرح بخياله ويبصر بنظره، أما الخيال : فإن الله قد عرض في كتابه أقبح ثمرة في أقبح صورة يمكن تخيلها :

{ **أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ** }

الصافات ٦٢- ٦٥.

لا شك أن شجرة **الزقوم** التي تنبت في أصل الجحيم ليست معلومة لدينا - أدام الله جهلنا بها في الدنيا والآخرة - ولا **الشيطان** - أعاذنا الله منه - معلوم أو مشاهد، ولكن استقر في الأذهان قبحه فضُرب به المثل في القبح، ومن هذا القبيل ولكن على سبيل الضد وصِف الملائكة بالحُسن والجمال، ولا ننسى صاحبات يوسف عليه السلام :

{ **وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ** } يوسف ٣١.

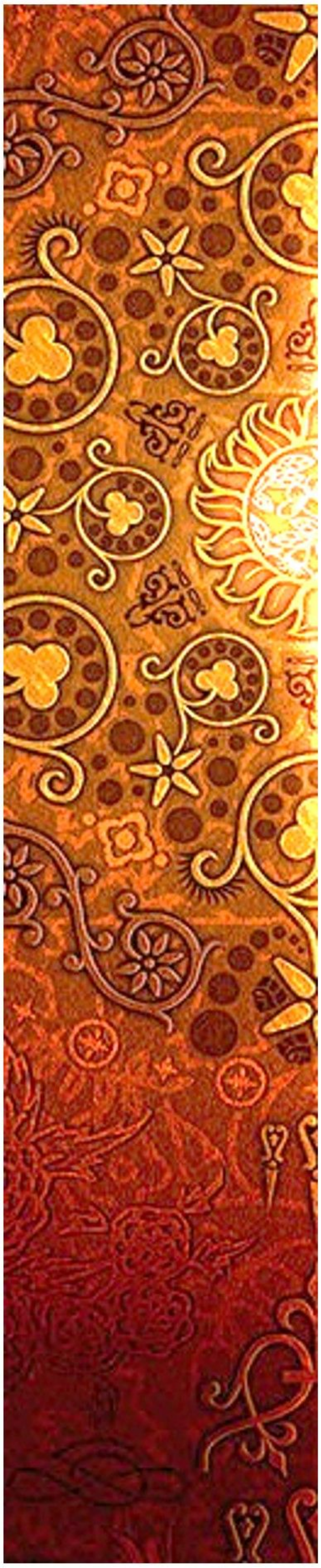

حيث أن العقول استقر فيها حُسن **الملائكة** فضربن به المثل، على الرغم من أن الملائكة لا تُرى أو تُشاهد. فالحسن الظاهر لم ينفصل عن معدنه الباطن في الملائكة، وكذلك في **الصورة الذهنية** للشياطين ؛ قبحها مرتكز في الأذهان لقبح فعائلها.

وهكذا يظل المؤمن يعيش مع **القرآن** بروح المتأمل والمتدبر لآيات الله الشرعية وآياته الكونية، يستحثه كلام الله على أن يتأمل ويتفكر في الكون من حوله :

{ **وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** } الأنعام ٩٩.

فرؤية الإنسان للمشاهدات المحسوسة **تولد الإيمان** لدلالتها على مبدع الأكوان، ومشاهدتنا المباشرة تجعلنا جزءًا من الكون، نمتزج بجماله حينما نشم الأزهار، وتعانقنا الأمطار، ونتأمل حركة السحاب، وتدافع الرياح، واضطراب الأشجار. بل لا أبالغ إذا قلت أنها تدفع بالمرء إلى **الإبداع** حينما ترق طباعه، وتروض جمالية الكون قريحته، فها هو **الفرزدق** كان إذا استعصى عليه الشعر ركب ناقته وطاف بشعاب الجبال وبطون الأودية.. ويسرع إلى الرياض المعشبة فيسرع إليه أحسنه[٧].

وكلما انفصلنا عن الطبيعة أصبح الإحساس أكثر انفصالاً عنها، فمشاهداتنا لها عبر التلفاز قد يعكس حركتها أو حقيقتها بألوانه، لكنه يفقدنا لذة **الامتزاج بها**.

وإذا كانت الصورة جامدة فلن تملك إلا انعكاسها المطابق للواقع، كأن العالم يطل عبر المرآة.

ويمكننا التأكد من ذلك بقياس انطباعاتنا عند كل حدث نمارسه **بحواسنا**، أو ينتقل إلينا عبر مقاطع **الفيديو**، أو تعكسه **الصورة**، ولست أهون هنا من أثر الصور الفوتوغرافية أو المتحركة في حياتنا، فقد سُمي عصرنا عصر الصورة، بل وتمادى بعضهم وجعلنا نعيش حضارة الصورة.

ولكننا لا ننكر أن **الواقع** يزدحم بثقافة الصورة، فهي وسيط يفرض علينا جميع المعاني فرضاً دونما تأنٍ أو روية، لذا كانت الصورة هي الوسيط المتناغم مع سرعة إيقاع هذا الزمان حيث :

" **يسعى الخطاب الثقافي المعاصر إلى تنظيم شأن الصورة بوصفها خطاباً واتصالاً فنياً خاصاً، فالصورة سلطة في التواصل الجمالي التداولي، ولها التأثير الجمالي التبليغي، فهي إذا لم تعبّر عن ثقافة ما تصبح جامدة... لقد عمّت ثقافة الصورة البشرية كلها، وتساوت العيون في رؤية المادة المصورّة مبثوثة على البشر، كل البشر، من دون رقيب أو وسيط، هذا تغير جذري من الكلمة المدونة التي هي روح الأدب وعنوان الثقافة الأصلية ؛ إلى الصورة التي هي لغة من نوع جديد، وخطاب حديث له صفة : المفاجأة، والمباغتة، والتلقائية، مع السرعة الشديدة، ومع قوة المؤثرات المصاحبة، وحدية الإرسال، وقربه الشديد حتى لكأنك في الحدث المصور من دون حواجز**"[٨].

وهذا مما يجعل للصورة خاصية العالمية، فهي لغة تترجمها النفوس البشرية دون الحاجة إلى رموز اللغة ومعرفة اختلاف الألسن، وليست داخلة في أطر معرفية خاصة، أي يفهمها **العامة والخاصة** [٩].

وتعد الصورة جزءًا من النقد الثقافي الذي يبحث فيما تهواه الجماهير ويبعثها على **التفاعل**، بل إنها زاحمت الكلمة وبدأت معها بالتدافع، ولمَن ستكون الغلبة ؟ فالصورة لا تدفعها إلا صورة مساوية لها في المقدار وقوة التأثير[١٠].

والصورة **خزينة الذاكرة**، تغيب وتظهر عند محاولتنا للشعور بما حولنا، فإن كانت المشاهدات أقوى من الصورة المختزنة غلبتها وإلا غلبت الصورة المختزنة. أما تدافع الصور العجيب الذي نعيشه فأظنه أورث الحس **البلادة**، فليست كل صورة تحمل **فكرة**، وإن كانت بعض الصور خير أمين يوم نقلت آلام القتلى والجرحى فهزت الإنسانية، وحركت الجماهير، ومارست دورها في **الضغط والحراك**، ولكن كم صورة في زخم الملايين الملايين من الصور حظت بمثل هذا القبول وأورثت ذاك الحراك ؟ إن العصر الذي يشهد تدافع صور

القتل والدمار سيشهد أنه خلد **البلادة** أيضاً تجاه ذلك كله، تتحرك ضمائر الناس التي ليس بيدها حل ولا ربط ثم تتبلد لكثرة ما تشاهد، فيتخدر الضمير بدلاً من أن يستيقظ في أحيان وأحايين كثيرة والأمر ليس مطلقاً - بلا شك - غير أن حديثنا على العموم. أما صور الموائد، والقصور، والبذخ فتورث **الحسرة الباطنة**، حيث أن الواقع قد لا يضاهيها أو يقاربها، فتظل تطرق بعصاها حتى يفرَّ **الرضا** هاربا من دائرة الشعور، ومن هنا المصيبة، ومن هنا جاء النهي الرباني :

{ **وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ** } طه ١٣١.

فإطالة النظر في الماديات البحتة تورث الحسرة، وتبلد الحس. وفي عالم الصورة المجردة تظهر احترافية التقني الصانع والمصور الماهر في **اقتناص اللقطة**، ويبقى دور المشاهد أن يفك عناصر الموجود بكل عقلانية، ودون أن تعمل العاطفة أو يلعب الخيال دوره، وليبرز إبداع الملقي والمتلقي.

وهذا مما تنفيه **الكلمة** عن نفسها، فالكاتب يحلق بكلماته ويرسم الصور والأخيلة، والقارئ يشاركه السباحة ويفوقه أحياناً، فعالم الخيال لا يفرض الحدود على مرتاديه، وذلك ما لا تصنعه الصورة مهما كانت ذات عمق وبعد، وصورتنا التالية عن هذا **الغزال** خير دليل.... فعلى الرغم مما قيل عنها بأنها لغزال **تودع** القطيع الشارد من أصحابها، أو أنها أم **ضحت بنفسها** كي ينجو صغيرها وظلت ترمقه مودعة، إلا أن هذا كله لا يعنينا، فالصورة لا تحكي غير مشهد نتفق عليه جميعاً، وهو **شموخ الضحية أمام قاتلها أو البرود في مقابلة الموت**... بكل تداعيات المعنى. ولكن أين هو من قول **المتنبي** :

وقفت وما في الموت شك لواقفٍ
كأنك في جفن الردى وهو نائمُ
تمر بك الأبطال كَلمى هزيمة
ووجهك وضاح وثغرك باسمُ

فأي نقلة شعورية وإحساس بالأمان والطمأنينة ينقلنا فيه قوله (**كأنك في جفن الردى وهو نائم**) - والردى يعني الموت - وأي معنى أقرب من أن يكون المرء في الجفن حتى يتمكن منه لقربه، وأي معنى يثيره فينا الإحساس بالأمن بأن طالبه (**وهو الموت**) نائم ! حيث صار رغم قربه منه : **لا يراه** ! إذ كيف يبصر مغمض الأجفان ؟ والمغزى من قوله : (**جفن الردى**) بيان مدى قربه من الموت، حتى لا يظن القارئ أنه نجا لجبنه أو تخلفه عن المعركة، لكن القدر إن لم يقع : فالمرء بمأمن من الطالب الأكيد في حياة كل إنسان.

ولم ينته الأمر عند **المتنبي**، بل المثير في الأمر ردة فعل **سيف الدولة** حيث أنه لم يهتز طرباً لمثل هذا الوصف، وإنما التفت لما بعده، واقترح عليه أن يبادل بين عجزي البيتين – أي الشق الثاني من كل بيت - ويستبدل البيت الأول بالثاني فصار[١١]:

وقفت وما في الموت شك لواقفٍ
ووجهك وضاح وثغرك باسمُ
تمر بك الأبطال كَلمى هزيمة
كأنك في جفن الردى وهو نائمُ

وهنا نعجب من الذات المتلقية المبدعة، حيث لا يقدر الفن الأصيل إلا الأرواح الأصيلة. وهذا مثال واحد فقط ضربته لك أيها القارئ الكريم لعلك تقتنع

معي بعالم الكلمة، وأنها الطريق إلى الذات المبدعة، بتفتق معانيها، وظهور القدرة على كسر المألوف، واجتلاب الجمال وتصنيعه في مصانع الخيال التي قال عنها **كلردج** : ((**قوة تركيبية سحرية**)) تتحقق فيها ثنائية الروح والمادة. ففي مجال الخيال يتحتم على الفكر التحليلي أو الإدراك العقلي أن يعمل تحت الإشراف المباشر للحدس. ومن ثم فإن أي عمل فني لابد أن ينبع من **باطن الفنان**، وألا يكون مفروضاً عليه من الخارج، كما أن روح الفنان في مجال العمل الفني الذي هو ثمرة من ثمار **الخيال** وأثر من آثاره لابد أن تكون متغلغلة ومنتشرة في جميع أجزاء العمل الفني، بحيث يشعر القارئ للقصيدة أو المسرحية أو غيرهما من أعمال الفن الأدبي بأن العقل والفكر والمنطق لا تعمل وحدها. وبحيث يدرك أن الذي يعرضه الفنان علينا ليس مجرد مجموعة من الأفكار أو الموضوعات التي ربط بين جزيئاتها فكر ((**مجرد**)) خال من إحساس الشاعر وعاطفته،

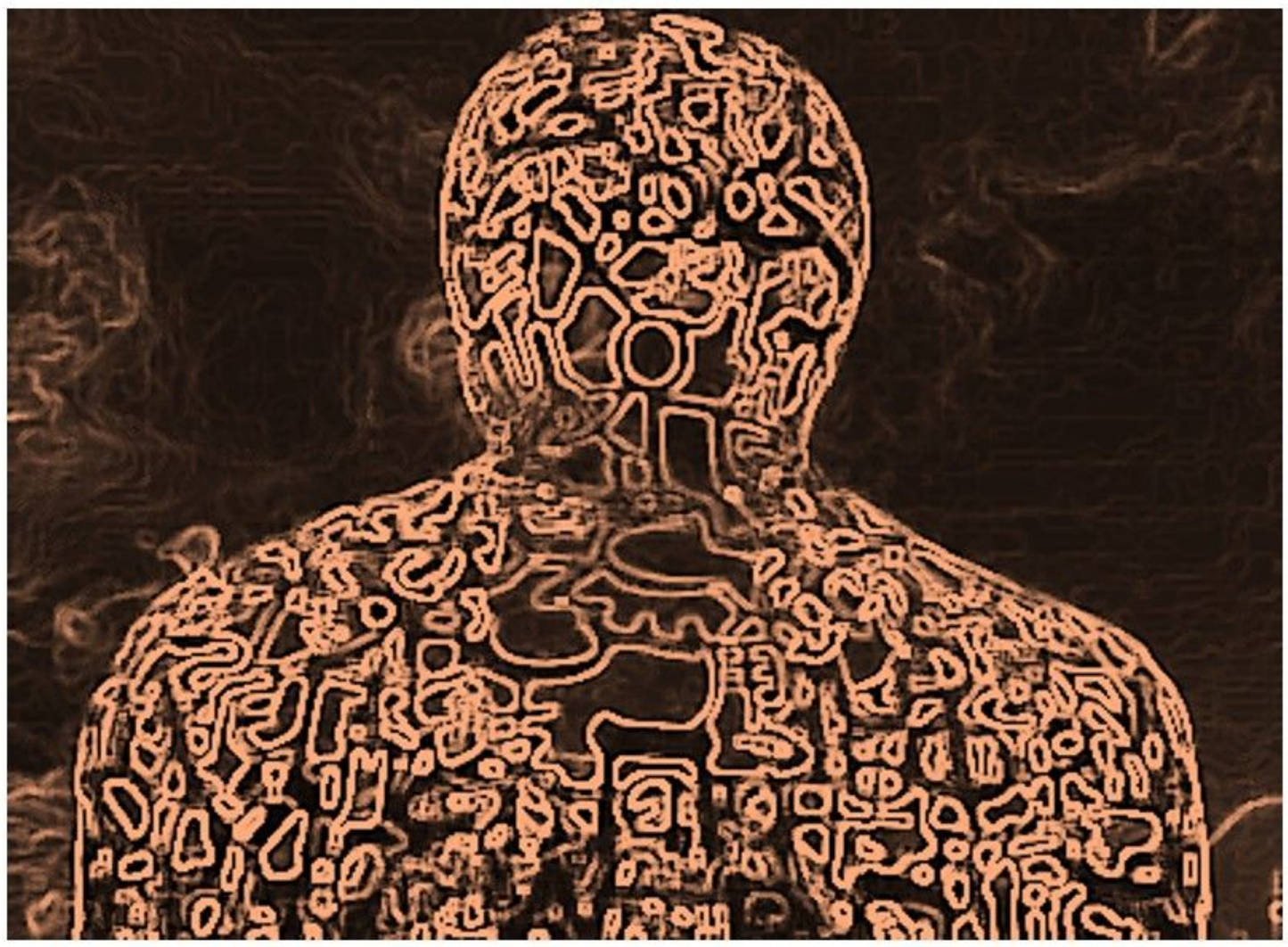

أو ذاكرة اختزنت الكثير من الصور[١٢].

فإلى الباحثين عن **التميز** في عالم **مزدحم**، حلق **بروحك** واطبع **بصمتك** واحفرها في ذاكرة الخيال ؛ لكي تظهر للكون بذاتك وتسمو بفنك، فتذوُّق الكلمة حاجة مُلحة في داخل كل **مبدع**.

إن الكلمات تلامس **الأرواح** كما تتسلل أنامل الأم في الليل تتلمس صغيرها، فتربت عليه برفق لتشعره أن شيئاً في روحه قد استيقظ، أما إلى أين؟ فذلك بحسب استجابتك للكلمة وصاحبها. لذا كانت معجزة **محمد** - صلى الله عليه وسلم – الخالدة **القرآن الكريم**، كلام الله لعباده، كلام الجميل الجليل، في طيه الجمال والجلال لمَن أحسن صحبته والعيش معه، وانطلاقة الروح المؤمنة والذات المبدعة إن لم تكن من القرآن فهي في غياهب التيه لا تزال ضائعة لم تسكن ولن تستقر.

المراجع :

[١] فلسفة الفن رؤية جديدة، د. علي عبد المعطي محمّد، دار النهضة العربية - بيروت، عام ١٩٨٥م، ص ٣٧.

[٢] جمالية الدين ومعارج القلب إلى حياة الروح، د. فريد الأنصاري، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ص١٤ (وأنصح بقراءة الكتاب).

[٣] الإسلام والفنون، د. بركات محمد مراد، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ٢٠٠٧، ص ٥٦٤.

[٤] ينظر: جمالية الدين ومعارج القلب إلى حياة الروح، د. فريد الأنصاري، ص ١٥-١٦.

[٥] كتاب فلسفة الفن رؤية جديدة، للمؤلف: د. علي عبد المعطي محمّد، ص٤٥.

[٦] ينظر تفسير أضواء البيان، للعلامة الشنقيطي، ج٧، دار الفكر ١٤١٥. حيث رشح أن المراد بـ (علمه البيان) هو الإفصاح عما في ضميره.

[٧] ينظر: العمدة لابن رشيق، ١/١٧٤-١٧٥.

[٨] دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، د. سمير الخليل، دار العلمية - بيروت، عام ٢٠١٦م، الطبعة الأولى، ص٩٢.

[٩] ينظر: الثقافة التلفزيونية، سقوط النخبة وبروز الشعبي، عبدالله الغذامي، المركز الثقافي، المغرب، ط٢، ٢٠٠٥، ص١١.

[١٠] المرجع السابق، ص٢٠.

[١١] شرح ديوان المتنبي للواحدي، ١/ ٢٧٦

[١٢] كتاب فلسفة الجمال في الفِكر المعاصر، للمؤلف: د. محمد زكي العشماوي، الناشر: دار النهضة العربية - بيروت، عام ١٩٨١م، ص٩٧.

" الإبداع لابد له من إعداد جيد، ومران مستمر، وجهد عنيف في التدريب، واكتساب المهارات اللازمة، كي يصير المرء قادراً على بلورة أفكاره، وتشكيلها، وتحقيقها في مجال معين "

أستاذ علم نفس الإبداع : شاكر عبد الحميد

الشهرة كقيمة مطلقة

بندر فراج الأسمري

معلم كيمياء، مهتم بالقراءة والاطلاع العام .

أمست ابنتي **الطفلة** ذات ليلةٍ متجردة من إنسانيتها، متخلية عن ذاتها الروحية، متأبطة جسديتها وحسب، وقد بدا لي أنها ترغب في أن تصبح **رقماً** من الأرقام المجردة في عالم رقمي، تكون فيه قيمتها الإنسانية بحسب **قيمتها العددية** في ذلك العالم، ولأُقرب لكم المسألة : فهي تريد أن تصبح **كسهمٍ مالي** يتطاير في سوق البورصة، ذلك السهم الذي تحدد قيمته عملياً أهواءُ الآخرين وأمزجتهم، فيوماً هو في صعود، وآخر في سقوط.

قالت لي : أريد أن أُنشئ قناةً في **اليوتيوب**، لم أسألها عن **المحتوى** بل سألتها عن **الغاية** النهائية والمآل المقصود، ولماذا يا ابنتي؟ ردت بلسان الطفلة التي لم تتجاوز سنتها التاسعة قائلة : **الشهرة** ! أريد **الشهرة** !، وما الشهرة يا ابنتي ؟ قالت : **أن يعرفني الناس** !

في تلك الليلة أرقتُ مفكراً : ماذا أصاب العالم حتى أصبحت الطفلة تتمنى شيئاً عسيراً لم يُصبه **مَن يستحقه** رغم عنائه وطولِ جهده وقوة حيلته، بل وتريده **بأبسط السبل**. أيقنتُ حينها أن ذلك **الغول الوردي المتوحش** قد أصاب ابنتي على حين غفلة مني.

لقد أصبح العالم كُله تحت رحمة أنياب **المادية البشعة** التي لا مجال فيها لعيش الإنسان كإنسان، تلك المادية المُختزِلة له في **الجسد** وحسب، بعيداً عن أية قيمة ثابتة مطلقة بعد أن أزاحت - بل نحرت - جانبه **الروحي** المُعتمِد على أرضٍ صُلبة من **القيم** الإنسانية **والدين** القويم، فتركت مكانها خاوياً تتكاثر فيه هوام **القيمِ اللذائذية** على أسسٍ هشة مزيفة بدعوى التحديث والتقدم والتكنولوجيا.

خلقَ اللهُ **الإنسانَ** ليكون مركزَ الكونِ وعليه تدور مداراتُ الفلكِ بعد أن تحمَّل **الأمانة** التي تحمَّلها، متوازناً بين مادة وروح، يأخذ من الطبيعة بقدر ويمنحها بقدر، إلى أن أوقعه جهله المغرور في بؤرة **النسبية المطلقة**، فأصبح لا فرق بينه وبين الطبيعة من حوله، فإن كان ما حوله عبارة عن **أشياء** فهو أيضاً **شيء** من تلك الأشياء، ثم تَرَدى مع الرأسمالية إلى **مادة استعمالية** لها قيمة شرائية تُحدَّد حسب أعدادٍ وأرقام، إما مالية أو هوائية، مالية كقيمة مرتبك الشهري، فأنت تساوي ما تُنتجه من عملٍ بعيداً عن قيمتك كإنسان، أو هوائية بأن يكون لك رقماً وهمياً، هوائياً، غير محسوس، كعدد مَن يتابعك على منصة **تويتر** مثلاً، وهذه هي القيمة التي بَحثتْ عنها تلك الطفلةُ تحت ضغط المواد **الإعلانية** الفاسدة والقنوات

المُعليةِ من شأن أصحابِ تلك الأرقام الهوائيـة فصَـورتهم عـلى أنهـم هـم **القادة العظماء** الـذين يُصـفق لهـم المجتمع ويسجد.

هنا يتضح كيف نُزعت القداسة عن المقــدس وأُلبســت القداســة غــير المقـــدس، فاختلطـــت الأوراق وأظلمـت الرؤيـة أمـام الطفلـة بـل وأمام أكبر رأسٍ في المجتمع.

الشــهرةُ الآن هــي عــدد الأرقــام **الهوائية** وحسب، تستمد مرجعيتها من ذاتها لا من مرجعيتها الإنسـانية العامـة، فتصـبح قيمـةُ الفـرد فيهـا بحسـبِ مـدى قدرتـه وكفاءتـه في تحديـد رقمـه مـن دون السـؤال أو التردد في البحث عن **الكيفية**، فالمهم هو الكم وحسب. وبعد ذلك تتوالى الدحرجـة ويُسـتغل صـاحبُ **الـرقم الأكـبر** فيوضـع كسـلعة دعائيـة لـه قيمـة شرائيـة، يُـدِر الـربح كضــرع الناقة حتى ينقبض ويستشن. وقبـل هذا وأثنائه تتوالد الصراعات الذئبية والبقاء للأصـلح عـن طريـق **الغايـة تــبرر الوســيلة**، ومــن دون القــيم الإنسانية فلا تحـدثني عـما سـيكون **الناتج**، إذ لا حرج حينها تحت هـذه المنظومــة الفكريــة المتوحشــة أن يخـرج أحـدهم ليعـرض أمـام المـلأ صورةً **لعورته** وقد اخترقتها (**أسياخ**) الزينة، فلا وجـود لمعياريـة **أخلاقيـة** تجرم هذا الفن المزعوم.

الشهرة ليست باطلة منبوذة من كل جهة، فالنفس الإنسانية لهـا نوازعهـا الفطرية التي لا يُختلف عليها، ولكن أن تُصبح الشـهرة بحـد ذاتهـا **قيمـة مطلقة** تعلو سماء الإنسـانية ؛ فهـذا هــو مـدار الجـدل ومركـز العطـب. ومن المعيـب أن عـدوى اللهـث وراء هذه الشهرة **الســرابية** أصـاب كبـار القوم قبل صغارهم، وأصـبح العـرضُ حسـب **الطلـب** لا بحسـب **الحاجـة**، ومتــى كــان العــرض يتبــع الطلــب فالنهاية الهاوية. إذ النفس الإنسـانية إن تغلبــتْ عليهـا غريــزةُ **الشــهوة واللذة والطلب** تردت في دركِ عبادة الــذات ولذائــذها. ومتــى جعــل الإنسـان قيمتـه بـين **أيـدي النـاس** فحتما سيكون سلعة يزداد سعرهُ مع زيادة الحاجـة إليـه، ويـنخفض عنـد اســتغنائهم عنــه، بــل ســيُلقى في القمامة لو جاءت سلعة جديدة.

الشهرة متى أصـبحت قيمـة مطلقـة زاد أوار **جنونهــا** ولهيــب حريقهــا، وتعاظم معها **الحسد** المؤرق والحقد المكشوف، فإن تحدثوا عن آخر غيرك ألمـتْ بـك الآلام فمتـى سـيتحدثون عنـك؟ وقمـت بإسـقاطهم في قفـص المحاكمــة لتــآمرهم عليــك وتعمــد الطرف عنـك، يقتلـك شـعورُ عظمـةِ **الأديــب** ولـو كنـت **صرصــارَ** ثقافـة، وتنفُخك قوافي شعرك ولو كنتَ قطرةَ حبرٍ يتسلى بك رأسُ قلـم، ومـن هنـا انتشـــر **الفســـاد الأدبي**، وماتـــت **القدوات المجتمعية** العالمـة بمكانتها الحقــة ومــا يســتوجب عليهــا مــن واجبات. الشـهرة إن أصـبحت قيمـة مطلقـة أخضـعتك لتحـدي القـوانين والتنقص من الآخـرين بـاللمز والنبـز والثلم. ثـم تعـود بعـد هـذا الشـقاء كعـــود الكبريـــت إذ انطفـــأ أو سحاب صيف قد مضى.

ننســى أثنــاء رضــوخنا تحــت غــول **الماديـــة** أن العقـــل يستســـلمُ إن ضـعفت **الأخـلاق** وانفصـلت **القـيم**. فالأخلاق تقوم ببنـاء عـالم الأشـخاص الذي لا يُتصور من دونه عالم الأشـياء ولا عـالم المفـاهيم، وهـو مَـن يقـرر الاتجـاه العـام للمجتمـع بتحديـد الدوافع والغايات، وكما قالها المفكـر الجزائري **مالك بن نبـي** رحمـه اللـه. أما القيم فهي ذلـك الجهـاز الإنسـاني الــذي نجابــه بــه الواقــع الشــرس المفروض علينا، والذي يحولنا بـالقوة إلى **ســلع تبــاع وتشــترى**، فنخلــع معـــه إنســـانيتنا، ونلـــج حلبـــة صراع **الداروينية** المحكـوم فيهـا عـلى الجميع بالموت.

نسوية وأم .. ومشاعر ذائبة ..

الزهراء سارة

مهتمة وباحثة في الفكر النسوي

نجمة سقطت من سماء الحلم إلى داخلها، هكذا كانت تظن.. هكذا كانت تتمنى، تلك الأنثى تسيل عاطفتها بكل رقة نحو **وجه الطفولة**، أن تكون **أماً**، أن تنجب **طفلًا**، تحمله بين يديها وتحمل قلبها معه، والجزء الأغلى من روحها، ترى في وجنتيه سعادتها، بينما تعكس عيناه جميع الآمال، **الأمومة** هي الوجه الآخر **للأنوثة**، للطبيعة، سواءٌ خاضت المرأة التجربة بيولوجياً وأنجبت أو لم تفعل، لأنني أؤمن أن الأمومة ليست مجرد عملية تبدأ بمجرد الولادة، **بل عاطفة داخلية تشعر بها دائماً**، الأمومة هي صورة آمنة تتشكل في الطبيعة لدى كل كائن حي، ألا نراها كثيراً ونتمتم بعدها تسبيحاً لباريها ؟ لكن سلسلة اختطافات **الفكر النسوي** المتتالية وصلت إلى تلك الغريزة التي لم أظن يوماً أنها قد تخون، النسوية لا تقف أمام الأمومة بموقف واحد، ولا قرار واحد، بل إنها تتهمها أحياناً كجرح غائر في خاصرة الأنوثة التي كان لزاماً عليها الانتصار، وتقدس صورتها بداعي الاستغلال كسلاح يرفع في وجه الذكورة أحياناً أخرى، فموقف النسوية يختلف باختلاف مدارسها وتياراتها، وبين مفكرات التيار الواحد أيضاً، المحيط الخارجي للمرأة، ذاتها وهويتها الجنسية التي تم اصطناعها، هو بمثابة **الصراع العنيف** الذي فتح بابه الفكر النسوي، مؤججاً ورافضاً أي هدنة ما لم تكن بصورة المرأة النسوية فقط، لن أتحدث عن **الصراع** الذي أضرموا نيرانه بين المرأة وذاتها، وهويتها الجنسية المصطنعة، ولا بين عملها، ولا في قرارتها المصيرية من زواج، أو ميول علمية، أو أدبية، ولا المناكفة المستمرة على كل حال

بينها وبين الرجل، والتي تستنزف المرأة أولاً وتجعلها في حالة **تأهب ودفاع دائمين** لأن الأمر فعلاً مستحق للدفاع في نظر الفكر النسوي.

ما يهمني هنا هو فقط المعركة المضللة **وغير المجدية** مع الطبيعة، والصراع الذي يقف على شرفة **الأمومة**، تلك الغريزة التي تولد مع المرأة وتجد فيها جزءًا مكمّلاً **لسعادتها**، لكنها تحولت إلى قلق وخوف كنتيجة حتمية **للضغط** الذي يُمارس على المرأة بصوره المختلفة، فمرة لأنها يجب أن تكون المرأة الناجحة الحديدية المكافحة والمتميزة في نفس الوقت، والتي في نهاية طريقها ستتمركز حول ذاتها، والتي تعد الدقائق المهدرة – في رأيها - على كل **عطاء تقدمه**، لوالديها، لعائلتها، ولطفلها الذي وصفوه **بالعائق**، هذا العائق صغير الحجم الذي جعلوه الجدار الفاصل الذي يقف بين المرأة والنجاحات المتتالية، في العمل، في وضعها المالي، في اكتشافاتها العلمية، ونتاجها الأدبي.

ها هي **فرجينيا وولف** الكاتبة والروائية والناقدة في أحد كتبها الشهيرة (**غرفة تخص المرء وحده**) والذي اعتنقت فيه قضايا المرأة، تصف العقبات الكبيرة والصغيرة التي تقف أمام تطوير المرأة لموهبتها، وأنها ستمر بأوقات عصيبة على أن تجد فسحة تسمح لها بذلك في خضم مهامها **كأم وزوجة وربة منزل**[١]، بينما تحتقر بعض المفكرات، **كسيمون دي بوفوار**، تجربة الأمومة[٢] : " **إن ثمن الحرية الممجدة من طرف الفيلسوفة هو الإنكار الغريب للطبيعة والأمومة والجسد النسائي بصفة عامة، باعتبارها المصدر الدائم للاستلاب الجسدي المحسوس** "[٣]، وربطت حرية المرأة كذلك بمدى تحكمها في خصوبتها، ثم انعطفت تلك الأفكار النسوية المتطرفة حتى وصلت لفردية المرأة في اتخاذ **قرار الإنجاب** بعيداً عن قرار الأب بل صادرت حقه فيه.

ثم تطورت عن طريق تقديم خدمات ووسائل جديدة تُسهل للمرأة حصولها على طفل لو رغبت، **كالتبني، والأم البديلة**، وتناست حقوق الطفل في الحياة، وفي العيش مع والديه **الأصليين**.

ولا تتمركز النسوية في صراعها مع الأمومة مع مجرد خيار الإنجاب فقط، بل تمتد إلى **تقييد تفكير المرأة** في إنجاب أطفالٍ يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة، برسائل مشوهة تتمثل لها في **قيود تربوية وصحية** بافتراضات كثيرة منها **تحديد النسل** والمسمى جوراً **بتنظيم النسل**، وترفع في وجه المرأة كل مرة نداء حقها في **الإجهاض**، والتي تنحي جانباً كل ضرر قد يصيب المرأة نفسياً أو جسدياً، وما قد يموت من **زهورها التي تعيش في داخلها** بسبب تلك الاختيارات القائمة على مبدأ الفردية والحرية المحسوبة لصالح احتياجاتها المادية فقط، والتي شوهت **المعالم الفطرية في الأنثى** دون أن تدرك، كما شوهت صورة الجنس البشري وحقوقه وساوت بين كل ما هو **فطري وشاذ**، وشوهت كذلك أنبل وظيفة في الطبيعة، والتي جعلت بعض النساء يصرحن بأن أجمل ما حدث لهن في هذه الحياة هو الأمومة، " **ومن ثم فأنا أُطالب برد الاعتبار للأمومة ولوظيفة المرأة كأم وزوجة، وأرى أن هذه الوظيفة "الإنسانية" و"الخاصة" تسبق أي وظائف "إنتاجية" و"عامة" وإن كانت لا تجبّها** "[٤].

المراجع :

[١] راجع : غرفة تخص المرء وحده، فرجينيا وولف، ص ٢٠٥، مكتبة مدبولي.

[٢] راجع : الأسس الفلسفية للفكر النسوي الغربي، خديجة العزيزي، ص ٣٠٩، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام.

[٣] انظر : سياسة الجنسين، سيلفيان أجاسينسكي، ص ٤٩، روافد للنشر والتوزيع.

[٤] انظر : قضية المرأة بين التحرير والتمركز حول الأنثى، د. عبدالوهاب المسيري، ص ٥٠، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

الرصاصة الفضية

نظرة في الأسس العلمية والمنطقية التي بُنيت عليها أدلة التطور

محمد صالح الهبيلي

مبرمج حاسوب، متخصص في قراءة كتب التطور، صدر له (التطور نظرة تاريخية وعلمية) .

تروي إحدى القصص **الأسطورية** التي لا تتكرر، أنه قبل أكثر من ١٨٠ مليون سنة، خرجت سمكة تمشي على اليابسة بعد أن **طورت أقداماً**..
لم تستطيع التنفس.. **اختنقت**..
ماتت...

عفواً، أعد القصة مرة أخرى...
خرجت إلى اليابسة بعد أن طورت أقداماً وجهاز تنفس مناسب لليابسة...
جاعت.. ماتت...

حسناً، أعد المحاولة.. وتأكد من وجود الطفرات المناسبة...
خرجت إلى اليابسة بعد أن طورت أقداماً وجهاز تنفس وجهاز هضم مناسب لليابسة...
لم تستطع مواكبة عملية **الإخراج** في البر.. ماتت...

نداء هام.. أرجو من الطبيعة التركيز...
أعد القصة ولا تنس إحضار أكبر كمية من **الطفرات العشوائية** المناسبة..
خرجت إلى اليابسة بعد أن طورت أقدام وجهاز تنفس وجهاز هضمي وإخراجي مناسب للبر.. لم تستطع التعرق لتحمل الحر.. **احترقت**..
ماتت...

المحاولة الأخيرة..
طورت كل الأجهزة المناسبة لليابسة وهي في الماء.. ماتت !
تبدو الأسطورة سخيفة جداً، فما رأيكم أن نتخلص من هذا الإحراج ونحاول دحضها علمياً ؟

لكن للأسف، حتى هذا لا نستطيعه، هل تعلمون لماذا ؟
لأنها **غير قابلة للإثبات** أصلاً..
عموماً، دعونا نفترض حدوث هذه القصة التي تعجز أقصى درجات الخيال عن ملاحقتها، ونقفز بالزمن إلى الأمام، فحسب السجل الأحفوري، ظهر الإنسان المعاصر قبل حوالي ٢٠٠ ألف سنة. ولأن التطور حقيقة (**مقدماً**)، إذاً لابد وأنه قد جاء من سلف حيواني سبقه في الظهور.
لماذا لابد ؟
لأن التطور حقيقة !!
لاحظ، هذا التفسير سببه الوحيد هو الالتزام المسبق بالتطور !
دعونا نتوقف عند هذه النقطة المفصلية، عندما تضع الافتراض الذي تريد إثباته كمقدمة، فإن النتيجة سوف تكون موافقة له حتماً، وهذا خطأ فادح منطقياً يسمى (**استجداء السؤال**)، حيث في المحاجات الاستنباطية (العلمية أو المنطقية) التي نحاول البرهنة عليها ؛ يجب أن تكون المقدمات (**مُسلَّم**) بصحتها وغير منحازة، وبذلك فإن النتيجة

سوف تكون صحيحة منطقياً. دعوني أعطيكم مثالاً على ذلك...

المقدمة ١ :

لكل حادِث مُحدِث (وهذا قانون منطقي مُسلَّم بصحته).

المقدمة ٢ :

الكون حادِث (أي له بداية تمثلت في الانفجار الكبير).

النتيجة :

إذاً الكون يحتاج إلى مُحدِث (بغض النظر عن ماهية هذا المُحدِث). ولا يوجد مَن يختلف على المقدمات هنا، وعليه فالنتيجة سوف تكون سليمة منطقياً.

دعونا الآن نطبق نفس الحُجة على ما جاء في بداية المقال.

المقدمة ١ :

إذا كان هناك تشابه بين الإنسان والقرد فهناك سلف مشترك.

المقدمة ٢ :

هناك تشابه بالفعل بينهما.

النتيجة :

إذاً هناك سلف مشترك.

مشكلة هذه الحُجة أن المقدمة الأولى **منحازة مسبقاً** إلى السلف المشترك بين الإنسان والقرد، فهي كما قلت في البداية تضعه كمقدمة لا تحمل صفة القانون. ولتوضيح ذلك دعونا نفترض أني أريد تقديم حُجة منطقية أستطيع من خلالها استنباط أن **بيل غيتس** (مؤسس شركة مايكروسوفت الشهيرة) هو مالك شركة سيارات **تويوتا**.

المقدمة ١ :

إذا كان **بيل غيتس** ثري، فإنه مالك شركة **تويوتا**.

المقدمة ٢ :

بيل غيتس ثري.

النتيجة :

إذاً **بيل غيتس** مالك شركة **تويوتا**.

تلاحظون هنا أني وضعت النتيجة مقدماً وبشكل منحاز لما أحاول إثباته، وعلى هذا خرجت بالنتيجة التي أريدها وهي أن **بيل غيتس** هو مالك شركة **تويوتا**، ليس هذا فقط، بل واستطعت العثور على الدليل عن طريق إثبات أنه ثري.

لكن السؤال، هل هذه النتيجة سليمة ؟ وهل لهذا الدليل أي قيمة حقيقية ؟

بالطبع لا، فكلنا نعلم أنه لا يملك شركة **تويوتا**، ورغم ذلك استطعت عن طريق مغالطة (**استجداء السؤال**) Begging the question الخروج بهذه النتيجة أنه مالك الشركة، وبغض النظر عن الحقيقة. ولذلك تسمى هذه المغالطة أيضاً بالـ (**مصادرة على المطلوب إثباته**).

وهذا بالضبط ما يفعله التطوريون، فهم يضعون السلف المشترك بين الإنسان والقرد **كحقيقة منحازة مقدماً**، وبالتالي فإن النتيجة ستأتي موافقة لها، بعد ذلك سيكون من السهولة أن يجدوا الأدلة، لأنهم سوف يبحثون عنها من خلال مقدمة (**محسومة مسبقاً**)، وهذه هي المغالطة التي لا يشار إليها عند تناول أدلة السلف المشترك أو تغيير الأنواع. ودعونا نواصل الآن مع ما جاء في بداية المقال، وأعني ظهور الإنسان المعاصر قبل ٢٠٠ ألف سنة في السجل الأحفوري.

كما ذكرت مسبقاً، هذه المشاهدة يُنظر إليها من خلال أنه وقع تطور في الأنواع الحية كحقيقة مقدماً، وعليه فإنه يجب أن يكون الإنسان قد جاء من سلف حيواني، فقط لأنه لديهم التزام **مُسبق** بسلامة تغير الأنواع، وهكذا يتم التعامل مع كافة المشاهدات في عالم الأحياء، بينما الإنصاف يتطلب **الحياد**، نحن لدينا مجموعة من المشاهدات يجب أن نصيغ عليها فرضية، ثم نسأل بعد ذلك بكل حيادية : هل هناك ما يثبت هذه الفرضية أم لا ؟ فإذا وجدناه (**بلا دليل نفي واحد**) نضعه تحت مجهر الاختبار والمشاهدة، ومن ثم التنبؤ والتكرار، فإذا اجتاز كل

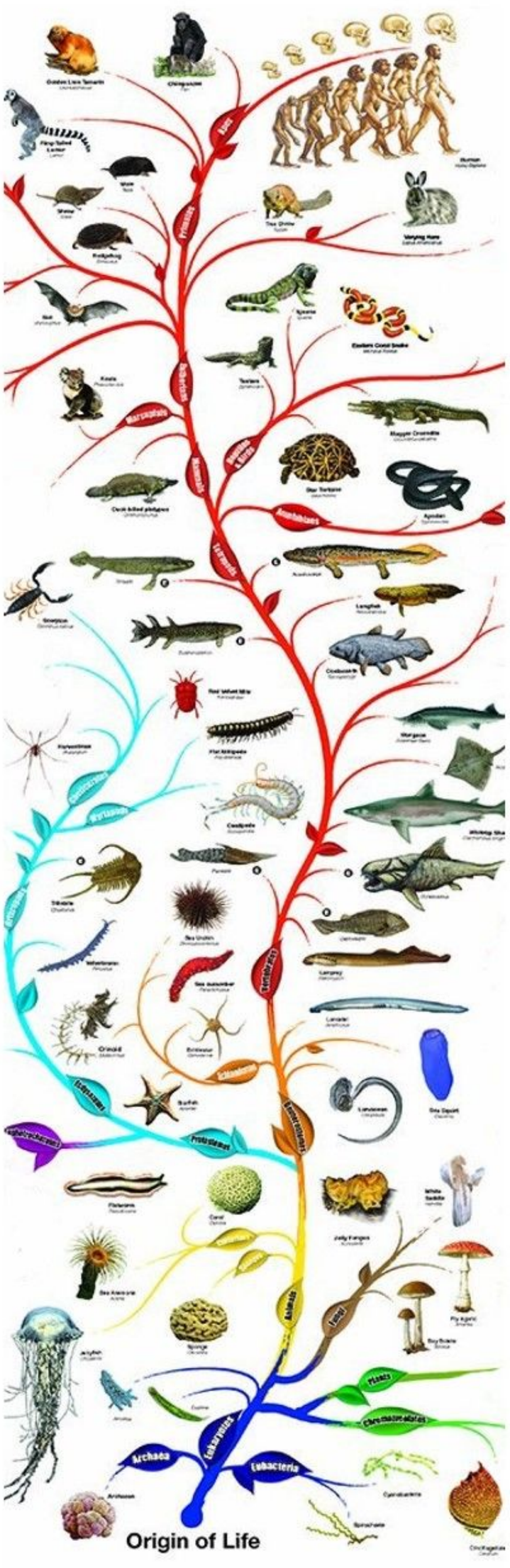

ذلك تحولت إلى نظرية علمية لها وزنها المعتبر، وفي كل هذه المراحل يجب أن تكون الأدلة هي التي تصيغ الفرضية وليس العكس كما تفعل الداروينية، وهذا ما لاحظه **هنري جي. ليبسون** في كتاب (فيزيائي ينظر في التطور) حين قال : " **تحولت نظرية التطور إلى دين يعتنقه الكثير من العلماء، وهم مستعدون لكسر أعناق الأدلة لجعلها متوافقة معها** "[١].

وهذا ما يحدث عند البحث عن الأدلة على هذه الفرضية المستندة أساساً إلى مقدمة خاطئة منطقياً، وعليه... سيكون من السهولة أن يجدوها كما وجدتها أنا مع **بيل غيتس** وشركة **تويوتا**.

كل ما عليك فعله هو البحث عن أحافير تشبه الإنسان سبقت ظهوره، وهنا لا يوجد سوى أحافير القردة، ولأن التطور حقيقة إذاً لابد وأنها أسلاف الإنسان !

ومع أكثر من ٣٠٠٠ نوع منقرض من القردة، ومع اختفاء السجل الأحفوري للشيمبانزي بالكامل، فقد تشكل لديهم ما يشبه **الكنز** الذي جعل الخيال الداروينى يسرح ويمرح بلا قيد.

فما عليك إلا أن تبحث في السجل الأحفوري عن الوقت التي ظهرت فيه أحافير القردة، ثم رتبها بما يوافق الزمن الذي سبق ظهور أحافير الإنسان المعاصر، واحرص على أن تمنحها اسماً علمياً مشتقاً من كلمة **هومو** (يعني إنسان باللاتينية) ليعطي الإيحاء بأنها متفرعة من بعضها : **هومو إركيتوس، هومو هابليس، هومو سابينس** إلخ، و... هنيئاً لك، أنت الآن تملك الدليل المطلوب !

لقد صار لدينا مقدمة منحازة تستجدي السلف المشترك، وبالتالي لن ينتج عنها إلا نتيجة موافقة للمقدمة المنحازة، ثم أدلة تُفسر من منظور نفس النتيجة الخاطئة ! وهذا لعمري كما قال **ابن كثير** رحمه الله : " **عجيبة من العجائب وآبدة من الأوابد** "!

وعلى نفس هذا النهج المتهالك، استطاعوا بناء جبل هائل من الأدلة والبيانات، والتي في حقيقتها لا تساوي الحبر الذي كتبت به.

يقول التطوري **هنري جي** كبير محرري مجلة **الطبيعة** سابقاً في كتاب (البحث في أعماق الوقت) : " **إن أخذ سلالة من الأحافير وادعاء أنها تمثل خطاً تطورياً ؛ لا يعتبر فرضية علمية قابلة للاختبار، بل هو إصرار يحمل نفس قيمة القصص التي تروى قبل النوم ! ربما مفيدة، ولكن ليست علمية**"[٢].

أضف إلى ما سبق أن عجز نظرية التطور (بمعنى تغير الأنواع) عن تحقيق قابلية المشاهدة والتنبؤ والتكرار، يجعلها في مصاف المواد الخام لصنع **العلوم الزائفة** ، والتي وضع معيارها فيلسوف العلوم الأشهر في القرن الـ٢٠ **كارل بوبر** حين أكد أن السؤال الحقيقي ليس هل لدينا نظرية ؟ بل : هل هذه النظرية علمية أم لا ؟ ولتحديد ذلك، قام بصياغة معيار (**التخطئة أو الدحض والتكذيب**) Falsifiability، فكل نظرية غير قابلة للتخطئة، هي بدورها غير قابلة للإثبات ولا يجب تسميتها

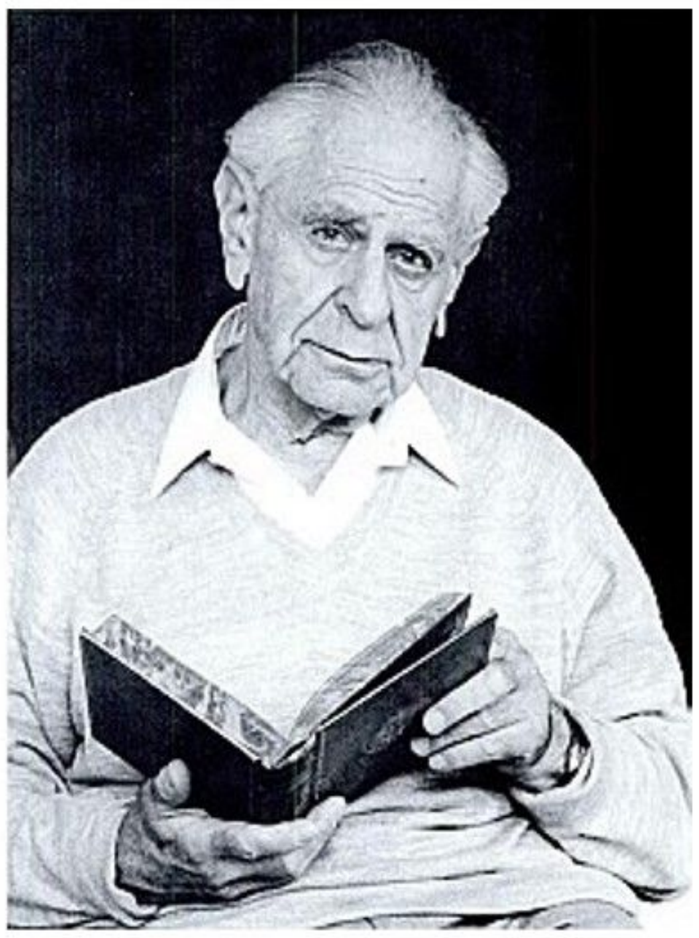

بعلمية، حتى أنه قدم ذلك على معيار التجربة، وهذه هي السقطة التي تقع فيها الداروينية بشكل متكرر، لذلك فقد فجر **بوبر** قنبلة هزت المجتمع العلمي آنذاك حينما قال : " **لقد توصلت إلى استنتاج أن الداروينية ليست نظرية علمية قابلة للاختبار، بل مجموعة أبحاث ميتافيزيقية** "[٣]، والميتافيزيقا أو ما وراء الطبيعة هي الغيبيات غير المادية وغير الخاضعة للتجربة والرصد، ولأن الداروينية لها سطوتها على المجتمع العلمي، فقد عاد ليثني على التطور ويخضع للنموذج الفكري أو القولبة الفكرية أو **البراديم** السائد، مثله مثل غالبية العلماء الذين يؤثرون السلامة الوظيفية والدعم المادي السخي لأبحاثهم ما دامت في إطار هذا البراديم لكن، بعد أن نجح في صياغة منهج التخطئة وصنع **الرصاصة الفضية** التي يمكن من خلالها قتل مسخ الداروينية، فبمراجعة صغيرة ستكتشف أنه بالفعل، يستحيل تخطئة فرضية تغير الأنواع، لأنهم يعتبرون الشيء وضده دليلاً عليها ! فالتشابه الشكلي قد يكون دليلاً

على السلف المشترك القريب، أو يكون تطوراً تقاربياً (**أي تكراراً لنفس الصدفة لكن في كائنات بعيدة عن بعضها البعض!**)، وكذلك الأعضاء الضامرة قد تكون بلا وظيفة أو تكون طورت وظيفة جديدة، وأيضاً الحمض النووي الخردة قد يكون ركاماً غير فاعل كيميائياً تجمّع عبر ملايين السنين، أو يكون فاعلاً كيميائياً، والطفرات هي الأخرى يمكن أن تكون ضارة أو نافعة ! بل إن التطور نفسه قد يعني اكتساب الصفات أو فقدانها ، فكل هذه **المتضادات** يعتبرونها **دليلاً على التطور** في تحد سافر ليس لمعيار التخطئة فقط، بل وحتى لقانون (**عدم التناقض**) !

ولو طبقنا نفس هذا المنهج غير القابل للتخطئة، نستطيع القول أن كل الأدلة التي تستخدمها الداروينية لإثبات وقوع تغير الأنواع يمكن أيضاً أن نستخدمها كدليل على **الصُنع المُتقن** (أو **التصميم الذكي** كما يسمونه في الخارج) أو حتى **الخلق المباشر**، فالتشابه المظهري كما يمكن أن يكون دليلاً على التطور من سلف واحد، فيمكن أن يكون دليلاً على وجود **خالق واحد**، وكذلك الترتيب الزمني في ظهور الأسماك أولاً ثم البرمائيات ثم الزواحف والطيور والثديات، يمكن أن يكون دليلاً على تطورها من بعضها البعض بنفس الدرجة التي يمكن أن يكون دليلاً على **خلقها** بهذا الترتيب **لحكمة التدرج**، وذلك حسب المنظور المُسبق الذي تنظر إليها من خلاله، وكما لم نشاهد الخلق : فنحن لم نشاهد أيضاً تحول نوع إلى آخر، لم نشاهد تكون أول خلية حية، ولا توجد تجارب تثبت أن الكائن يكتسب صفات جديدة لا توجد في الشريط الوراثي لأسلافه والتي تجعل **غريغور مندل**[٤] يتقلب في قبره، كل هذا مجرد فرضيات يحددها المنظور المسبق فقط.

بل إن **الخلق والحكمة** أقرب منطقياً للمعطيات المتوفرة لدينا، فنفس مكونات **البروتين** في الكائنات الحية أقرب للحكمة من التطور العشوائي كونه العامل الأهم في دورة **النيتروجين**، وكذلك اختلاف نسبة **التشابه الجيني** بالزيادة أو النقصان أقرب منطقياً للحكمة من العشوائية كونها العامل الأشد تأثيراً في **تنظيم السلم الغذائي**، ولولا هذا التفاوت الدقيق لتحول كل كائن إلى سم للآخر، ولما استطاعت الكائنات الحية الحصول على **المغذيات** Nutrient إلا من نفسها، وأيضاً **التركيب التشريحي المتشابه** بين الكائنات يمكن أن نفسره بسلف مشترك (عالمي) أو بكل بساطة **وحدة الخلق** تقتضي ذلك، حيث هذه المخلوقات تعيش على **نفس الكوكب** ولها **نفس المتطلبات البيولوجية**، وحتى الظهور **المكتمل** للأنواع الرئيسية **فجأة** في السجل الأحفوري ومن ثم **استقرارها** بلا تغيير جذري (وباعتراف الكثير من علماء التطور مثل **ستيفن جاي جولد**) هو أقرب منطقياً **للخلق المباشر** من التطور من بعضها البعض، وكل ما سبق غير قابل للدحض بنفس القدر وبشكل متساوي، ويستحيل إثباته **بالتجربة** لأن هذا يتطلب إما أن نخترع آلة السفر عبر الزمن، أو أن نأتي بالطبيعة إلى المختبر ونراقب عملها بلا

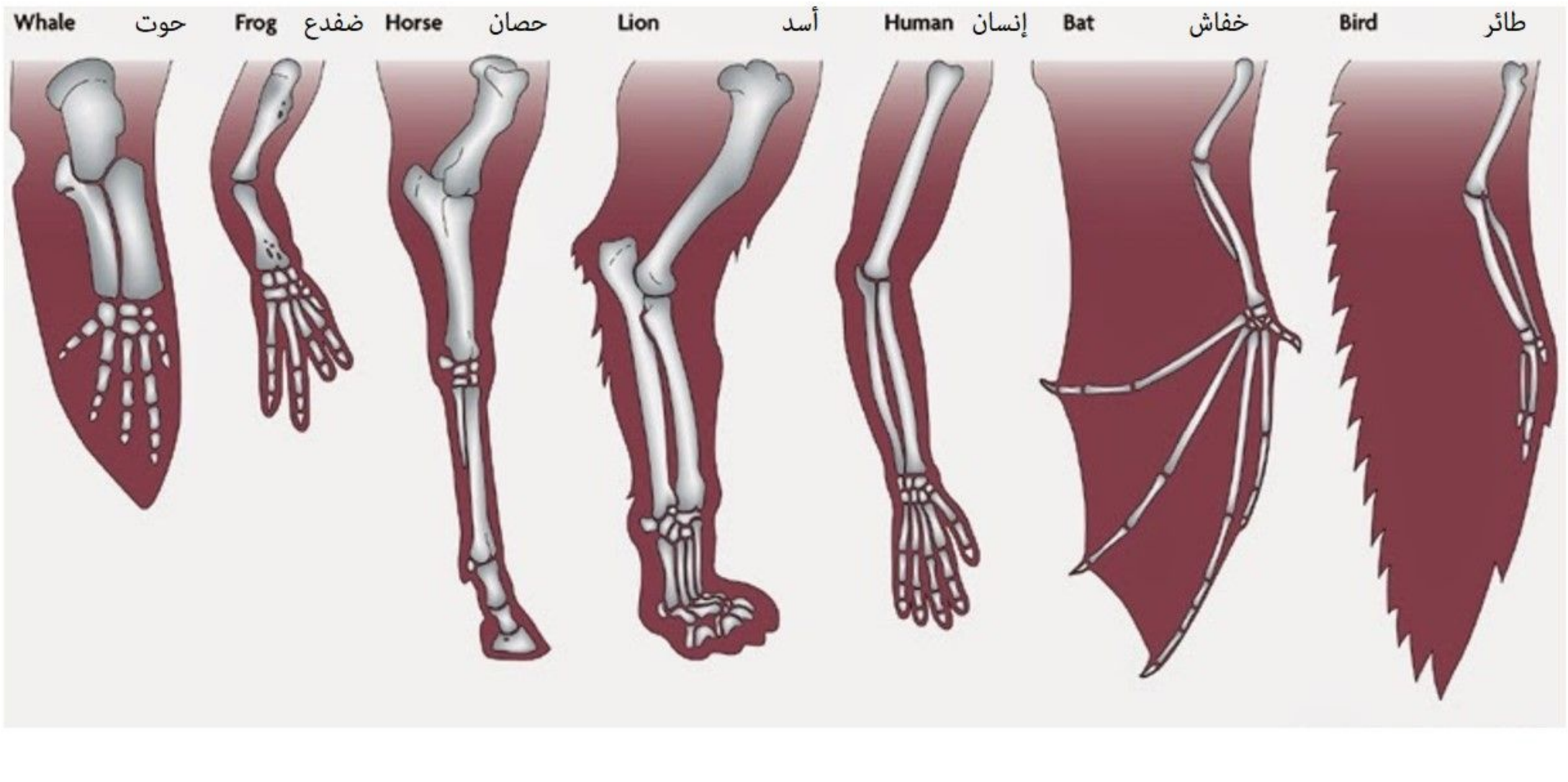

تدخل ومن ثم ننتظر لملايين السنين.
نعم، هناك نسبة من **تشابه مظهري وجيني** بين الإنسان والقرد، حسناً... ثم ماذا ؟! كيف يثبت ذلك أنهما من سلف مشترك ؟
مثل هذه النظرة السطحية لم تعد تليق بما نملكه من علم اليوم، فقد ثبت وجود تشابه شكلي بلا سلف مشترك، فعلى سبيل المثال : **الذئب التسماني** يرتبط بسلف مع **كلب البولدوغ** وليس مع بقية **الذئاب** رغم أنف التشابه الشكلي.
أما الاستدلال بزيادة ونقصان **نسبة التشابه الجيني** بين الكائنات كمؤشر على قرب أو بُعد السلف المشترك ؛ فيكفي أن نقدم نسبة التشابه المرتفعة التي تصل إلى ٧٠% بين **الإنسان** في رأس شجرة الأنساب وبين **الإسفنج** في ذيلها ! والصورة التالية توضح باقي هذه النسب بما يهدم الفكرة من الأساس[٥].
أيضاً عندما نتحدث عن **مئات الملايين** من السنين التي استغرقها تطور الأنواع فأنت تتحدث عن حكاية أقصى ما يمكن أن تقدمه لإثباتها هو مجموعة من **الفرضيات**، فلماذا إذاً يتم تقديمها لنا كحقيقة علمية لا تقبل الجدل ؟!
لماذا نحن مَن يجب عليه تخطئة هذه القصص مع أنها غير قابلة للتخطئة ؟
يقول أحد الظرفاء :
قابلني رجل فاستوقفني قائلاً : أين وسط الدنيا يا عالمنا الفذ ؟ قلت : وسط الدنيا تحت قدميك تماماً، وإن لم تصدقني فقس الأرض شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً.
أتذكر هذه الطرفة كلما قرأت **أدلة تغيير الأنواع** ! تغيير الأنواع حدث، وإذا لم تصدق فاثبت العكس واحصل على **جائزة نوبل** ! ألا يردد التطوريون هذه العبارة دائماً ؟
وكأن **جائزة نوبل** تمنح على نفي النظريات ! لكنها من ضمن المدخلات التي يرددونها بلا تفكير وكأنهم أجهزة تسجيل لا تعي ولا تفهم. يقول **كارل بوبر** في كتاب (منطق الاكتشاف العلمي) : " **هناك صعوبة في الداروينية، الاصطفاء الطبيعي هو أبعد ما يكون عن قابلية التخطئة** "[٦].
وعلى طريقة الأبطال في وضع أسباب النصر للأجيال القادمة، فقد قدم هذا الفيلسوف الكبير السلاح الذي يمكن من خلاله إثبات ان الداروينية مجرد **علم زائف**، أو مجموعة من القصص غير القابلة للتفنيد. لكن ماذا نفعل ؟ فكل الجامعات في العالم تقدم الداروينية كحقيقة مطلقة، كما كانت تقدم **التولد التلقائي** كحقيقة مطلقة (قبل سقوطه)، وإلى حين تقر المرافق العلمية بسقوط الداروينية، احبس عقلك في زنزانة مكتوب عليها (**تغير الأنواع حقيقة**)، وضع قفلاً غليظاً على الباب منقوشاً عليه وجه **داروين**، وارمي المفتاح في ظلمات الرغبة، وفي غياهب الهزيمة الثقافية، ثم ردد معي دون اعتراض : " **سمكة خرجت إلى اليابسة بعد أن طورت أقدام** "..

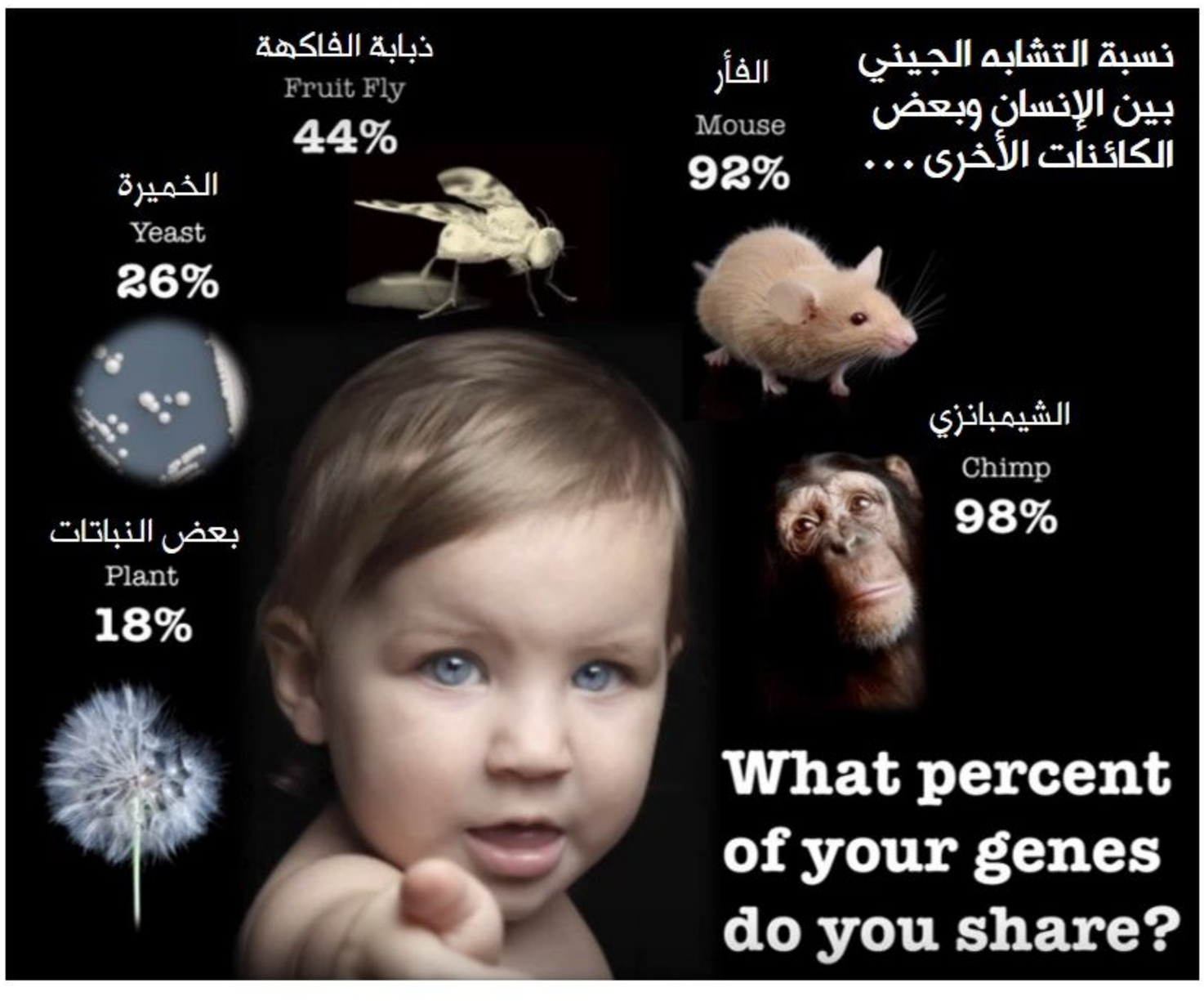

المراجع :

[١] H.J. Lipson, A physicist looks at evolution, Physics Bulletin, 1980, vol 31, p. 138
[٢] Henry Gee, In Search of Deep Time, The Free Press, 1999, pp. 32, 116, 117, 202
[٣] Karl Popper 1976 p. 168
[٤] غريغور مندل يعد أبو علم الوراثة الحديث منذ أواخر القرن التاسع عشر بتجاربه الشهيرة على النباتات.
[٥] www.23andme.com
[٦] Karl Popper, The Logic of Scientific Discovery, 1934

لقرابة ٥٠ عاماً ظلت جمجمة إنسان بلتداون رهينة أشهر المتاحف العالمية على أنها الدليل الدامغ على وجود أشباه الإنسان وأسلافه في الماضي البعيد، ثم تم اكتشاف زيفها وأنها مركبة من قحف جمجمة إنسان على فك حيوان أورانجتان، وبعظمة ضرس واحدة زعم التطوريون أنها لأشباه الإنسان وأسلافه وأسموه إنسان نبراسكا، ثم اتضح أنها كانت عظمة ضرس خنزير بري أمريكي منقرض، ثم قطعة من جمجمة حمار قالوا عنها أنها لأشباه الإنسان وأسلافه وأسموه إنسان أورك، ثم قطعة من ضلع دولفين قالوا عنها أنها ترقوة أشباه الإنسان وأسلافه على نفس المنوال ! فيعلق على ذلك الدكتور تيم وايت أستاذ الأنثروبولوجيا التطورية بجامعة كاليفورنيا قائلاً :

> ” المشكلة مع الكثير من علماء الأنثروبولوجيا هى رغبتهم المُلحة لإيجاد أسلاف الإنسان، لذلك فإن أي شظايا من العظام تصبح عظاماً لأسلاف الانسان “

> “ The problem with a lot of anthropologists is that they want so much to find a hominid that any scrap of bone becomes a hominid bone ”

Evolutionary anthropologist: Dr. Tim White

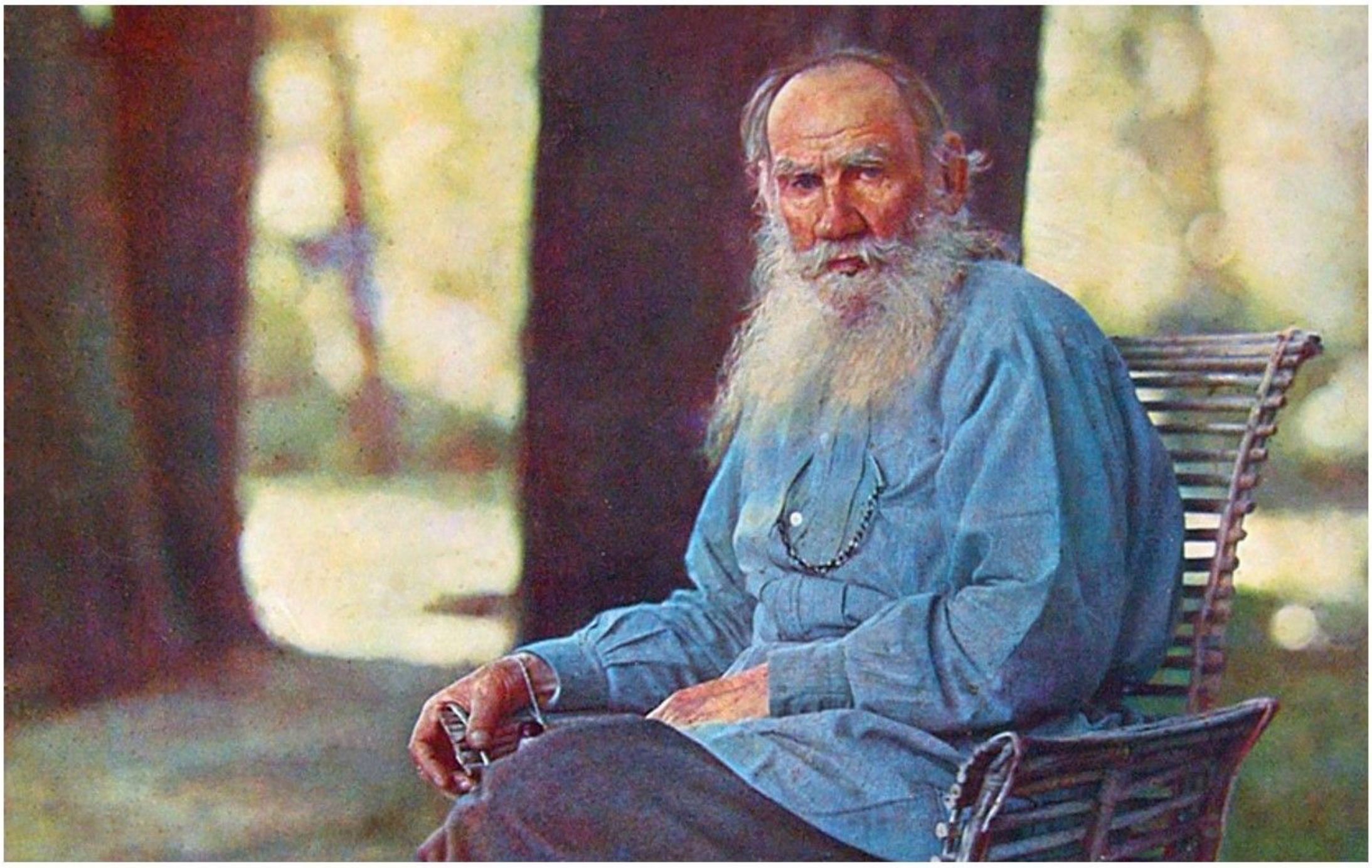

اعترافات أمير ...

أمل الصالح

باحثة ماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة، مهتمة بالشأن الثقافي.

لماذا انقطع عن الصلاة ؟ ولأجل ماذا استبدل قبعة **الأمير** بعصا الفلاح ؟ وكيف صار أحد أبرز كتاب العالم ؟ وبأي طريقة قاده الظلام إلى النور؟ تعرجت حياته صعوداً في مراقي القوة والتجبر، وهبوطاً في دركات الجسد والتلذذ، وتمدداً في معاقل الجهل والبساطة، وتخبطاً في وحل الريب والظنون والتحيّر، مروراً بسؤال البحث عن المعنى ورغبة العيش في النور، يقول **رونالد سترومبرج** أحد أهم مؤرخي الأفكار : " **ألهب خيال العالم فأخذ الناس يتوافدون عليه من جميع الأقطار، لأنه أصبح أسطورة وهو لم يزل على قيد الحياة، فروايتاه الرائعتان : " الحرب والسلام " ، و " أنا كارنينا " غمرته بأضواء الشهرة، مما جعله محط أنظار العالم** "[١]، ذلك أنه لا يكتب عن تجربة بشرية إلا وقد خبرها.

وحسب دراسة **بيتر زين** ٢٠٠٧م المنشورة في كتابه : (العشرة الأوائل : كُتّاب يختارون كتبهم المفضلة) التي استطلع فيها آراء ١٢٥ روائياً طلب منهم اختيار أهم ١٠ روايات في التاريخ : احتلت رواية " **أنا كارنينا** " المرتبة الأولى، ورواية " **الحرب والسلام** " المرتبة الثالثة، ما يشي بمكانة " **تولستوي** " العالمية.

فما هي قصة اعتراف هذا الأمير؟

التلذذ كغاية أبيقورية

جعل **تولستوي** في هذه المرحلة **اللذة** أعظم وسائله لبلوغ الكمال المنشود، يقول : " **اقتنيت لنفسي المنازل الفخمة وأنفقت الأموال الكثيرة على الولائم** "[٢]، و " **خسرت أموالاً كثيرة في المقامرة، وأنفقت الأموال الكثيرة التي وصلت إليّ بعرق الفلاحين** "[٣]، لقد تنامت رغبة اللذة في استجلاب مزيد من المال والمديح، حتى صارت هي الدافع الوحيد للكتابة يقول : " **فلم نعرف طريقة للحصول على المال والمديح بغير تأليف الكتب والجرائد** "[٤]، واستمر على هذا حتى صار باستسلامه لهذه الأهواء الجانحة مُمثلاً متأنقاً لأبناء طبقته النبيلة، فهل اكتفى بحياة اللذة ؟ بالطبع لا !

حياة القوة النيتشوية

يصدق على **تولستوي** القول : أنه ليس في قاموس الجرائم جريمة لم يرتكبها، كيف لا واجتماع

المال والقوة في يد لا تعرف الفضيلة هو إيذان باندلاع أشرس المعارك الأخلاقية، يقول في اعترافاته : **" كانت أسمى مراتب الأخلاق الصالحة في عقيدتي منحصرة في الطموح ومحبة القوة والحصول على الربح والكبرياء والغرور والغضب والانتقام "**[٥] ، حتى قيل عنه : إنه كان يرى نفسه كإله والعياذ بالله، فهل هذه هي الحياة التي ارتضاها **تولستوي**؟ دعونا نرى...

تمجيد الألم وسؤال المعنى

يعترف **تولستوي** بأن الإيمان المغروس في أعماقه قد تم اقتلاعه، وأن آثاره من قلبه قد زالت، لم يبلغ السادسة عشرة من عمره حتى انقطع عن **الصلاة** – وفق ديانته النصرانية - ثم أنكر ألوهية **عيسى** عليه السلام، وبدأ في مواجهة الطقوس الدينية معتبراً إياها قشوراً مُضللة منددا بجهل وعداوة أهل الملل ورؤساء الكنائس فكتب : **" أخبرني نخبة من رجال الدين من جميع الطوائف والملل أن ديانة كل منهم هي الحقيقية، وديانة الآخرين ضلال مبين، وأن كل ما يستطيعون فعله مع غير التابعين لديانتهم ينحصر في الصلاة من أجل ارتدادهم من الضلال إلى الحق "**[٦]. فهذا التحول من الإيمان إلى الإلحاد انفرج في قلبه عن أزمة روحية خلفت ثقباً هائلاً في حياته، وأيقظت رفيف الشك من مخدعه، لم يتنكر لوجود الخالق، لكنه لم يعرفه، ولم يستبين ماهيته يقول : **" أنا الرجل السعيد الصحيح العقل والجسم : صرت أشعر في أعماقي أن الحياة مستحيلة علي... إن قوة جبارة كانت تقودني إلى الهرب من الحياة "**[٧]، إذن لا التجبر والقوة النيتشوية ولا اللذة والمتعة الأبيقورية استطاعت أن تسعد الأمير **تولستوي** !!

ها قد جاء سؤال المعنى ينقر باب قلبه من جديد ويلكز نافذة عقله، فكيف سيجيب ؟

ثلاث طرقات لا تفتح الباب

يسأل : لماذا أعيش ؟ ما الغاية من حياتي ؟ حصدت مالاً وشهرة وقوة، ولكن... ما الفائدة من هذا كله ؟ ما الغاية ؟

ومع هذه الأسئلة احتشدت مواقف ومشاهد أشعلت القلق والحيرة في نفسه التواقة للبحث عن الحقيقة، لقد تأثر للغاية حين رأى آلة **الإعدام** وهي تطيح برأس إنسان في أحد ميادين باريس، وموقف آخر أثر فيه عندما مات أخوه **ديمتري** الذي ارتهنه **المرض** عاماً كاملاً قبل أن يطويه الموت من غير أن يعلم لماذا عاش وما هي حقيقة **الموت** ؟ ثم يرتد إليه صدى السؤال بلا جواب !

لم تكن هذه الاستفهامات مجرد

أسئلة عابثة، بل هي الحقيقة الشاملة لأعمق أسرار الحياة البشرية، والتي عجز **تولستوي** بكل ما أوتي من المعرفة والوجاهة والمال أن يجيب عنها. فأين التمسها ؟

راح يفتش عن **الله** في خزائن الأدب والفن والشعر كي يعوض الإيمان الذي تخلص منه فلم يجده، أخبرته العلوم الطبيعة أن الحقيقة هي محض ذرات تفاعلت ثم تراكمت في صورة إنسان، لكن **تولستوي** يرد : " **الإنسان الذي يسأل بحرارة كيف يجب أن أعيش ؟ لا يستطيع أن يقتنع بالجواب الذي تقدمه العلوم الطبيعة** "[٨].

وبقيوده التي ترن مع كل وثبة قصد ميادين التحليل الفلسفي، فلم تضعه هي الأخرى إلا في عتمة التخمين وعشوائية الظنون : " **لم أجد لي ملجأ في نور العلوم الرياضية والطبيعية التي كانت سبلها مفتوحة أمامي، ولا في ظلمة الفلسفة التي كانت تقودني كل خطوة فيها من السيء إلى الأسوأ** "[٩] إذاً مجالات الفن والعلم والعقل لا تجيب، فمَن يُجيب ؟

الاقتراب من النور

يقال: إن الذين يكونون خارج المحنة، وخارج المأساة والمعاناة، هم الذين ينبثق من بينهم الشكوكيون والملحدون، هنا ترجّل **تولستوي** من غناه واستبدل القبعة بالعصا، وراح ينشد الجواب من نفس الحياة، من صميم المعاناة، يقول في ذلك :

" **أدركت أن الذي يتكلم عن الحياة يجب أن ينظر إليها نظرة عامة وقد أدركت بوضوح أن على الراغب في إدراك معنى الحياة أن يعيش هو أولاً حياة بعيدة عن الشر، وممتلئة بالمعاني الصالحة** "[١٠]. لقد تحسس نسائم اليقين تهب على أتون قلبه، إنه يقترب من حياة الفلاحين، فحياتهم مليئة بالتضحية والألم، إنهم راضون في وجه الشقاء، هادئون في تلقي ضربات القدر، إنهم يعيشون ويموتون من غير أن تفارقهم الثقة بحكمة الحياة، فـ " **الموت الذي يرافقه التذمر واليأس، لا أثر لوجوده بين الطبقات الفقيرة**"[١١].

إنهم يعيشون بهناء، ويموتون بطمأنينة، وسرهم في ذلك " **هو الإيمان... فقد كانت الحياة منذ وُجدت على الأرض رفيقة للإيمان الذي لا لذة فيها بدونه**"[١٢].

الإيمان يمد يده

لقد ظهر **لتولستوي** عبث السعي وراء المعرفة العقلية وحدها، فإن أي جواب تقدمه هذه المعرفة يؤدي إلى جواب مستحيل فـ " **الأجوبة التي يقدمها الإيمان مهما خالفت أحكام العقل وتمردت على شرائعه ؛ فهي تمتاز بأنها تقدم لكل سؤال العلاقة بين المحدود (المخلوق) وغير المحدود (الخالق) وبدون هذه العلاقة لا يمكننا الحصول على جواب ما** ". فالإيمان الذي اقتلعه **تولستوي** من قلبه في أول حياته ها هو يؤوب إليه بعد سنين طوال ليستنبته في قلبه من جديد، ويؤثث به أقاليم يأسه.

حكمة المقال

الاعتضاد بالعقل وتمجيد العلم ليس كل شيء، فهذا عتيد روسيا الذي تقلب في أطوار الحياة وخبر كل الظروف وجرب كل الطرق ؛ كان يظن أن الإيمان للتافهين البلداء وأنه لم يُخلق إلا للبسطاء الجهلاء حتى اعترف بأن : " **قضايا الإيمان التي لم يكن لها أهمية في نظري أظهر لي الاختبار أنها دون غيرها هي القوى الحقيقية في الوجود التي تمنح الحياة معناها الأسمى**"[١٣].

وفي خطوة لا يقدم عليها سوى العظماء عرّى **تولستوي** حياته على صفحات الكتب، وكشف عن معالم نفسه وخبايا قلبه، رصد تحولاته وانقلاباته وكيف أنه افتتح حياته بحب نفسه فقط، وأنهى حياته بحب الفلاحين والبسطاء وتوزيع أمواله عليهم وبيع قصره لمحتاجيهم، تاركاً لنا واحدة من أعظم حِكمه التي يقول فيها : " **إن الأجوبة التي يقدمها الإيمان تحتوي على أنقى ينابيع الحكمة البشرية ولا يجوز رفضها لمجرد تمرد العقل عليها فهي وحدها الكفيلة بحل قضية الحياة** "[١٤].

المراجع :

[١] تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، رونالد ستورمبرج، ترجمة أحمد الشيباني، ص ١١٥.
[٢] اعتراف تولستوي، ترجمة أنطونيوس بشير، ص ١٨، ومن نفس المصدر المراجع التالية :
[٣] ص١٦ [٤] ص٢١ [٥] ص١٥
[٦] ص١١٩ [٧] ص٣١ [٨] ص٤٦
[٩] ص٦٠ [١٠] ص٩٢ .
[١١] ص٨٨ [١٢] ص٧٩ .
[١٣] ص١٠٦ [١٤] ص٨٣ .

" ففي القلب شعث : لا يلمه إلا الإقبال على الله ، وعليه وحشة : لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته، وفيه حزن : لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته ، وفيه قلق : لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار منه إليه ، وفيه نيران حسرات : لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه ، وفيه طلب شديد : لا يقف دون أن يكون هو وحده المطلوب ، وفيه فاقة : لا يسدها إلا محبته ودوام ذكره والاخلاص له ، ولو أعطى الدنيا وما فيها : لم تسد تلك الفاقة أبدا "

ابن القيم من (مدارج السالكين)

يوتيوبيا

معنى الحياة عندهم

سامي أحمد الزين

باحث إرتيري راصد لحركة الإلحاد الجديد منذ ٢٠٠٨م، صدر له كتابان (قطيع القطط الضالة) و (نظرة خلف الستار).

حينما لاحظ الماديون العدميون أن عبارة " **ليس للحياة أي معنى**" لا تصلح لأن تكون قاعدة حياة، فضلاً عن أن تكون **جذابة** لأصحاب الفكر السوي (غير المادي) قرر بعضهم أن يستبدلها بعبارة : " **ليس للحياة أي معنى حقيقي ولكن...**" ، وهذا باختصار ما سأناقشه في هذا المقال.

كنت قد ذكرت في كتاب (**نظرة خلف الستار**) مقابلة بروفيسور الأحياء الملحد الانجليزي **ريتشارد دوكنز** مع الفيلسوف الملحد الأمريكي **دانييل دينيت** في منزل الأخير، وذلك ضمن سلسلة حلقات تلفزيونية صورها **دوكنز** لحساب القناة البريطانية الرابعة تحت عنوان " **عبقرية تشارلز داروين** "، وكان (**معنى الحياة**) هو موضوع الحوار، وقد تطرق **دوكنز** خلاله إلى ما كان قد تعرض له **دينيت** قبل مدة من ذلك اللقاء من انفجار شريانه الأورطى الذي تطلب إجراء جراحة استبدلته بشريان اصطناعي[١].

في البداية استوقفتني **المفردات** التي استخدمها المتحدثان، وكذلك انتبهت إلى **نبرة صوتيهما** أثناء محاولاتهما إقناع نفسيهما أولاً والأخرين ثانياً بمنطقية ما كانا يقولانه، فزدت تركيزي للوقوف على **الخطوات** التي أدت بهما إلى تلك النتيجة العجيبة التي وصلا إليها منذ البداية ! ففي مرحلة ما من مراحل ذلك الحوار قال **دوكنز** منتقداً بعض المؤمنين الذين يحتجون على آرائه وكتاباته : " **لمّا يقول لي البعض كلاماً من قبيل: لقد سلبتني مصدر عزائي ؛ أشعر بأني أريد أن أقول : ماذا تريدون أكثر من هذا؟ ما الذي يمكن أن يكون أكثر روعة من أن تجد**

نفسك على هذا الكوكب - بالمناسبة على الرغم من ضآلة احتمال وجودنا إحصائيا - نجد أنفسنا هنا، نجد أنفسنا ولسنا فقط نستطيع أن نقدّر [نستوعب] ما يحدث حولنا ؛ بل أيضاً نستطيع أن نقدّر حقيقة أننا نقدّر ذلك، وما هو مصدر ذلك الوعي". لاحظ الآن أن ما سبق هو حسب كلام **دوكنز** أفضل من وجود خالق رحيم، ومن وجود جنة الخلد، ومن نعيم الآخرة حتى لو كان حقاً. **دينيت** طبعاً أدلى بدلوه هو الأخر بقوله : " **أنا أشعر بالإلهام أكثر من فكرة أنني جزء حي مُمتن [شاكر] من هذه البنية العظيمة من الخلق والاستكشاف والتي هي عملية التطور، ذلك أكثر إلهاماً بالنسبة لي من فكرة أنني.. أنني شيء.. دمية صنعها الله لكي تعبده** ".

يقولها مُتبعها بضحكة ساخرة، وفي نفس الوقت يهز **دوكنز** رأسه بقوة وهو يقول : لا مجال للمقارنة، ثم يعقب **دوكنز** على كلام **دينيت** السابق قائلاً : " **ذلك مهين جدا أليس كذلك ؟** " فيجيب **دينيت** : " **أعتقد أنه كذلك** ".

إذا نجحت الطريقة السابقة في إقناع أحد، فلعلي أغتنم الفرصة بسرعة وأطلب من المقتنع أن يرسل لي كل الأموال والذهب والمجوهرات (السخيفة) التي يملكها، وسأعطيه عوضاً عن ذلك غصن شجرة (رائع) أنتجته التطورية الداروينية (المذهلة) عبر بلايين السنين !

لاحقاً سأل **دوكنز دينيت** عن أحدهم لما تنزل به مصيبة الموت قائلاً : " **هل نحصل على العزاء من العلم أم من داروين أم من أين؟** "، فأجابه **دينيت** بأن أحد أساتذته كان قد توفي قبل أيام من ذلك اللقاء، وأنه كان يفكر في الأمر بعض الشيء، ثم قال : " **فكرة كونه يعيش في الجنة إلى الأبد لا تشكل أي عزاء بالنسبة إليّ، بل فكرة أن ذكراه ستبقى مع أبنائه وأصدقائه وزملائه. وبالطبع هو لديه عمله ؛ أو كان لديه عمله، وذلك سيظل باقياً، ولا يملك الكثيرون مثل ذلك الإرث** ". ثم تكلم عن الأموات بشكل عام زاعماً بأن أفضل عزاء لذويهم هو : " **أنهم حصلوا على فرصة، وكان لهم أن يتواجدوا على هذا الكوكب المذهل، وأن يعيشوا لفترة ثم .. ربما عانوا** [يقولها بصوت منخفض] **وأعتقد أنه لما نرى معاناتنا من خلال الكون بكامله ؛ فإن ذلك قد يجعلها تبدو أقل أهمية وتأثيراً** ". ولما فرغ **دينيت** من كلامه ذاك شاركنا **دوكنز** برأيه قائلاً : " **أنا شخصياً متأثر باحتمالية عدم وجودي الهائلة ؛ لمّا تفكر في احتمالية قدومنا إلى هذا العالم** [هنا صوت موافقة من دينيت] **إنه امتياز عظيم أن نكون هنا، وأرغب أيضاً في أن أرد على الناس الذين يقولون بأنهم يشعرون بالملل بقولي : لا يمكنك أن تشعر بالملل ! أنت موجود ! هناك عدد لا نهائي من البشر الذين كان من الممكن أن يتواجدوا بدلاً منك، وكثير منهم كانوا سيكونون أفضل منك، لذلك توقف عن التذمر**". ثم يقول لاحقاً : "**..حينما نفقد شخصاً قريباً منا، شخصاً كان جزءًا من حياتنا ؛ فإن ذلك فظيع، ولا توجد طريقة لتفادي هذا، يمكن أن يكون ذلك مثل فقدان طرف من الأطراف، وعلينا أن نحصل على العزاء بقدر ما نستطيع، ويمكننا أن نحصل عليه من تذكّرهم، رؤية قصائدهم المفضلة، الاستماع إلى الموسيقى التي كانوا يفضلونها، وأمور مثل هذه. أعتقد أن هناك عزاء يمكن أن نحصل عليه من فكرة أننا جميعاً جزء من العملية التطورية** ". نلاحظ هنا إصرار **دوكنز** على تشبيه أثر المصائب بفقدان أحد الأطراف لكي يحشر تطورية **داروين** في الموضوع، تماماً كما أصر على استخدام التطور البكتيري كتشبيه للتبادل بين الثقافات في بدايات تلك المقابلة ! على أية حال سأكتفي بهذا القدر من النقل، ولكن سأضيف فقط أن الخلاصة التي توصل إليها الاثنان من كل ما سبق هي أن التأمل في الكون واحتمالات وجوده ؛ والتأمل في التطورية الداروينية : هو أفضل من وجود الإله الخالق، ومن وجود الدار الأخرة، وأنها أقوى أثراً في تحمل المصائب، ودافعاً أكبر لطمأنينة النفس.

ولولا أهمية هذه القضية في حياة البشر لما تكبّد أصحاب الفكر المادي عناء الالتفات إليها، لأن الحقيقة الواقعة هي أنهم ينزلون بمرتبة **الإنسان** من المخلوق المُكرّم المُسخّر له ما في الأرض جميعاً، إلى رتبة **حيوان ناطق** وُجد بمصادفة محضة من خلية أحادية، ثم تطور تدريجياً إلى حيوانات أكثر تعقيداً، حتى انتهى به المطاف إلى الحال الذي هو عليه اليوم، فكيف لهم أن يجدوا قيمة لمثل هذا الكائن الوضيع؟ ومن هنا نعلم أن تكرار جملة

كارل ساغان أن الإنسان ليس أكثر من (غبار نجمي) : لم تكن من فراغ وهو الملحد التائه في الحياة ! وكذلك لم تكن رؤية **ستيفن هوكينغ** الملحد بلا سبب عندما قال أن الجنس البشري ما هم إلا (حثالة كيميائية) على سطح أحد الكواكب ! فتلك هي الرؤية المادية الإلحادية على حقيقتها. ولا أنسى الممثل والمخرج الأمريكي **وودي ألان** الذي صرّح مراراً [كما في أحد مؤتمرات مهرجان كان السينمائي عام ٢٠١٥م] أنه ليس للحياة أي معنى، وأن تلك حقيقة لا يمكن العيش معها إلا بـ (**تشتيت الانتباه عنها**)، لأن التركيز على الواقع حسب قوله سيكون أثقل من أن يحتمله الإنسان، ولذلك ينبغي أن يركز المرء على عمله أو أي مُشتت آخر للذهن حتى لا يصاب بالاكتئاب وربما الجنون ![٢].

ورغم كون **وودي ألان** أكثر شفافية من **دوكنز** و**دينيت** في هذا الشأن ؛ إلا أنه يعود في لقاء آخر ليقول أن الطريقة المثلى للتعامل مع هذه الحياة التي لا معنى لها : هي أن يجد كل إنسان المعنى **الذي يناسبه**، دون أن يعطي نفسه جنة وناراً مزيفتين، ودون أي هراء مماثل ![٣].

لطالما ردد **دوكنز** وغيره من الملاحدة كلاماً مماثلاً لكلام **ألان**، ولطالما راودني أنا نفس السؤال : إذا كانت الحقيقة هي أن ليس للحياة أي معنى، وكان الخياران المطروحان للتعايش مع تلك المشكلة هما :

١- القول بالحياة الآخرة.

٢- اختراع أي معنى مادي للحياة يشتت الانتباه عن تلك الحقيقة ؛

فعلى أي أساس نرفض الحل الأول ونقبل الثاني ؟

إذا كانت الحقيقة هي المقصد ؛ فذلك يستلزم أن نرفض معنى الحياة الذي اخترعناه أيضاً، لأن الحقيقة الواقعة هي أن **ليس للحياة أي معنى حقيقي في النظرة المادية**، بدليل أننا شهدنا اختلاق المعنى المزيف الذي قررنا أن نعيش به، ومهما اجتهدنا في إقناع أنفسنا بأن المعنى الذي وضعناه هو معنى حقيقي : فإن ذلك يبقى خداعاً للنفس لا يختلف بأي شكل عمّا يزدريه الملحد نفسه من غيبيات لا يؤمن بذرة منها، لأنها حسب زعمه خرافات غير واقعية !

لا يمكن الخروج من النظرة المادية القاتمة إلا بشيء مشابه لما أتى به **دوكنز** و**دينيت** كأن يقول المرء لنفسه : أن أكون جزءًا من التطورية الداروينية خير من أن أكون دمية صنعها الخالق ! فيسمي احترامه لعقله في اعترافه بأدلة وجود الخالق واتباع شرعه وأخلاق الإيمان (**دمية**)، في حين يقبل أن يكون نتاج (**عبثي**) لتطور أعمى عشوائي بلا هدف ولا غاية ! وعلى ذلك يمكن للمقتنع بمثل تلك الآراء أن يختبرها بسهولة على نفسه أو على غيره، لكنني أشك في أن هناك **عاقل** يمكن أن يقول لأم فقدت ولدها أو لشخص فقد بصره أياً من الكلام الخادع الذي جاء في تلك المقابلة. لذلك حينما يتعلق الأمر بالحياة الحقيقية فإن **اللاديني** يعلم أن أفكاره لا تصلح للتطبيق - ولذلك تعجز عن إنقاذ صاحبها من الاكتئاب أو حتى الانتحار في كثير من الأحيان - وسيتنحى جانباً موكلاً أمر العزاء لغيره ممَن يملكون أدوات فعالة (وإن كانت وهماً حسب ظنه) لكي يتعاملون مع تلك المواقف الصعبة. ثم تأمل أيها العاقل الفرق بين عبث هؤلاء الملاحدة في هذه المسألة الهامة وبين الأثر الذي يُحدثه تدبر قول الخالق سبحانه :

{ **وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** } البقرة ١٥٥- ١٥٧.

المراجع :

[١] المقطع قد يكون محظوراً في بعض البلدان بسبب حقوق الملكية :
Daniel Dennett - The Genius of Charles Darwin: The Uncut Interviews :
https:/www.youtube.com/watch?v=5lfTPTFN94o

[٢] وودى آلن معنى الحياة مترجم :
https://www.youtube.com/watch?v=ndUKDCFDqFc

[٣] مقطع غير مترجم :
Woody Allen about meaning and truth of life on Earth
https://www.youtube.com/watch?v=2MsuqvLIttk

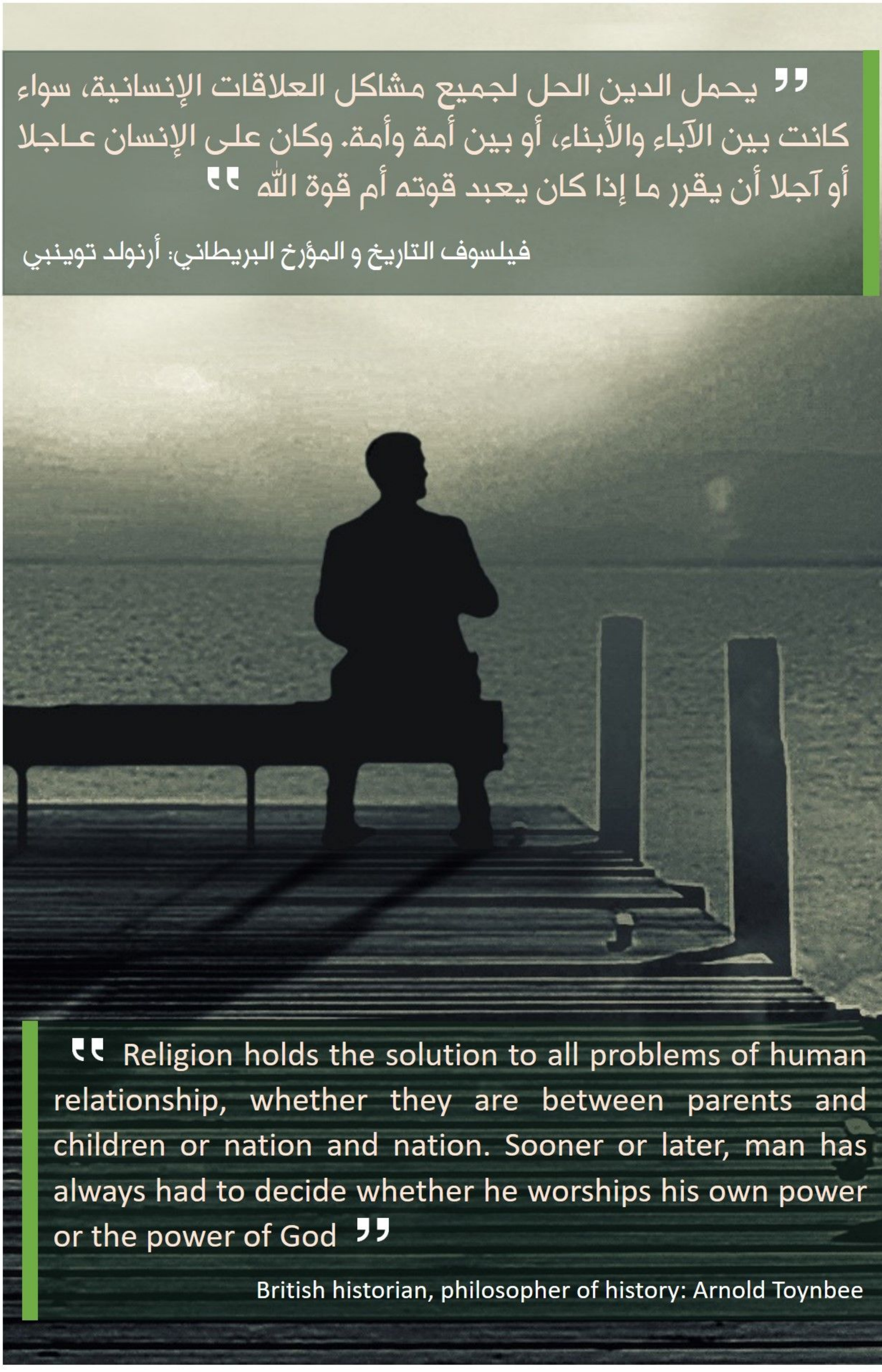

" يحمل الدين الحل لجميع مشاكل العلاقات الإنسانية، سواء كانت بين الآباء والأبناء، أو بين أمة وأمة. وكان على الإنسان عاجلا أو آجلا أن يقرر ما إذا كان يعبد قوته أم قوة الله "

فيلسوف التاريخ و المؤرخ البريطاني: أرنولد توينبي

" Religion holds the solution to all problems of human relationship, whether they are between parents and children or nation and nation. Sooner or later, man has always had to decide whether he worships his own power or the power of God "

British historian, philosopher of history: Arnold Toynbee

إبداعات
الفنون
رسم - شعر - تصوير

التصوير

يُعد فن التصوير الفوتوغرافي هو ذاكرة التاريخ البصرية، وذاكرة الأحداث والأماكن التي يمكن نقلها من جيل إلى جيل... صادقة مؤتمنة على ما التقطته عدسات الكاميرات في تلك اللحظات العابرة من سفرٍ أو ترحالٍ أو سكنٍ مقيم، إنها الذاكرة التي نصنعها اليومً في مكانً ما، ليتلًقاها شخص في مكان أو زمان آخرين !

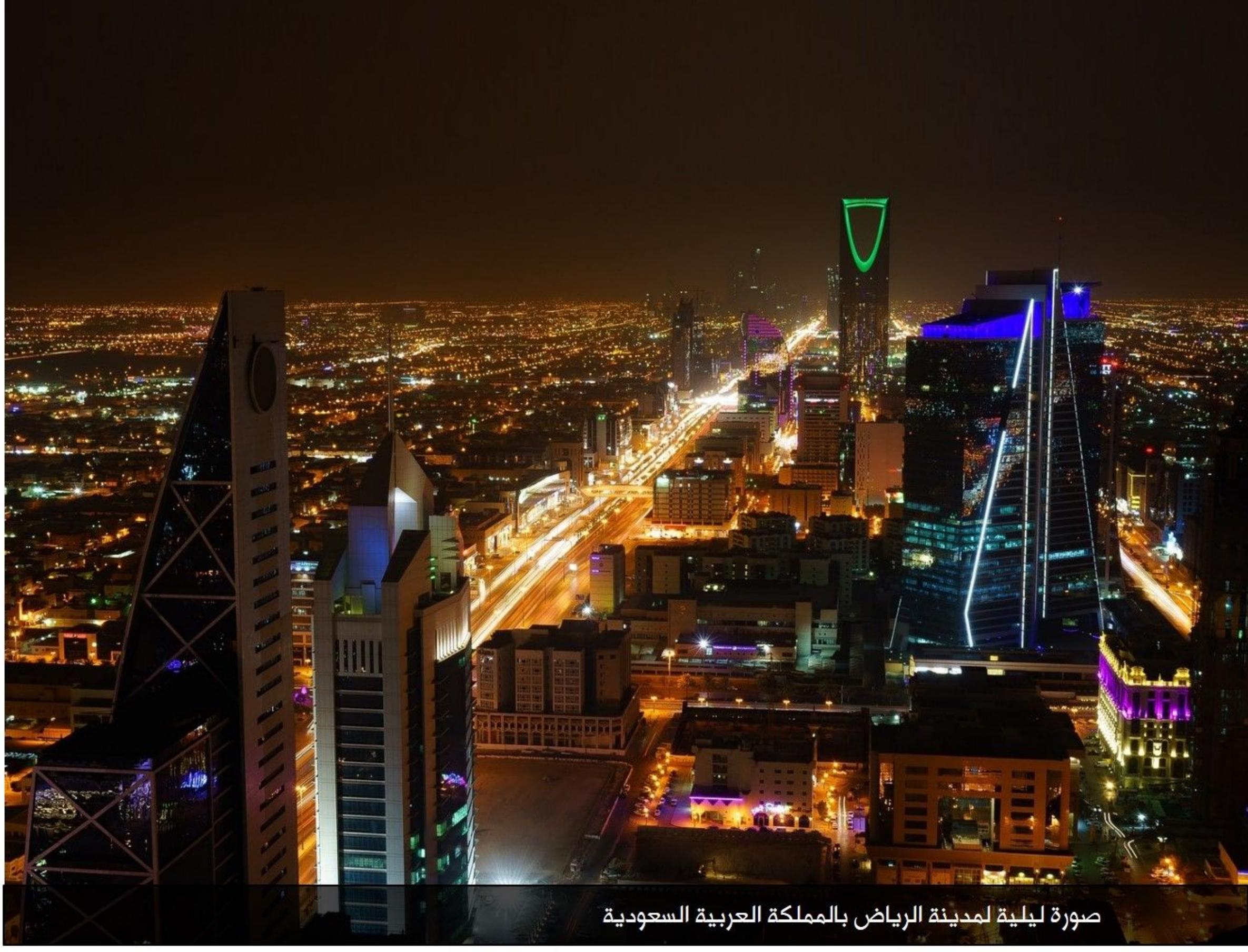

صورة ليلية لمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية

لقطات من جزر المالديف جنوب الهند في المحيط الهندي.. وهي دولة مسلمة منذ ٥٤٨هـ/١١٥٣م تقريبا، وتمتاز بطبيعتها وسواحلها الخلابة.

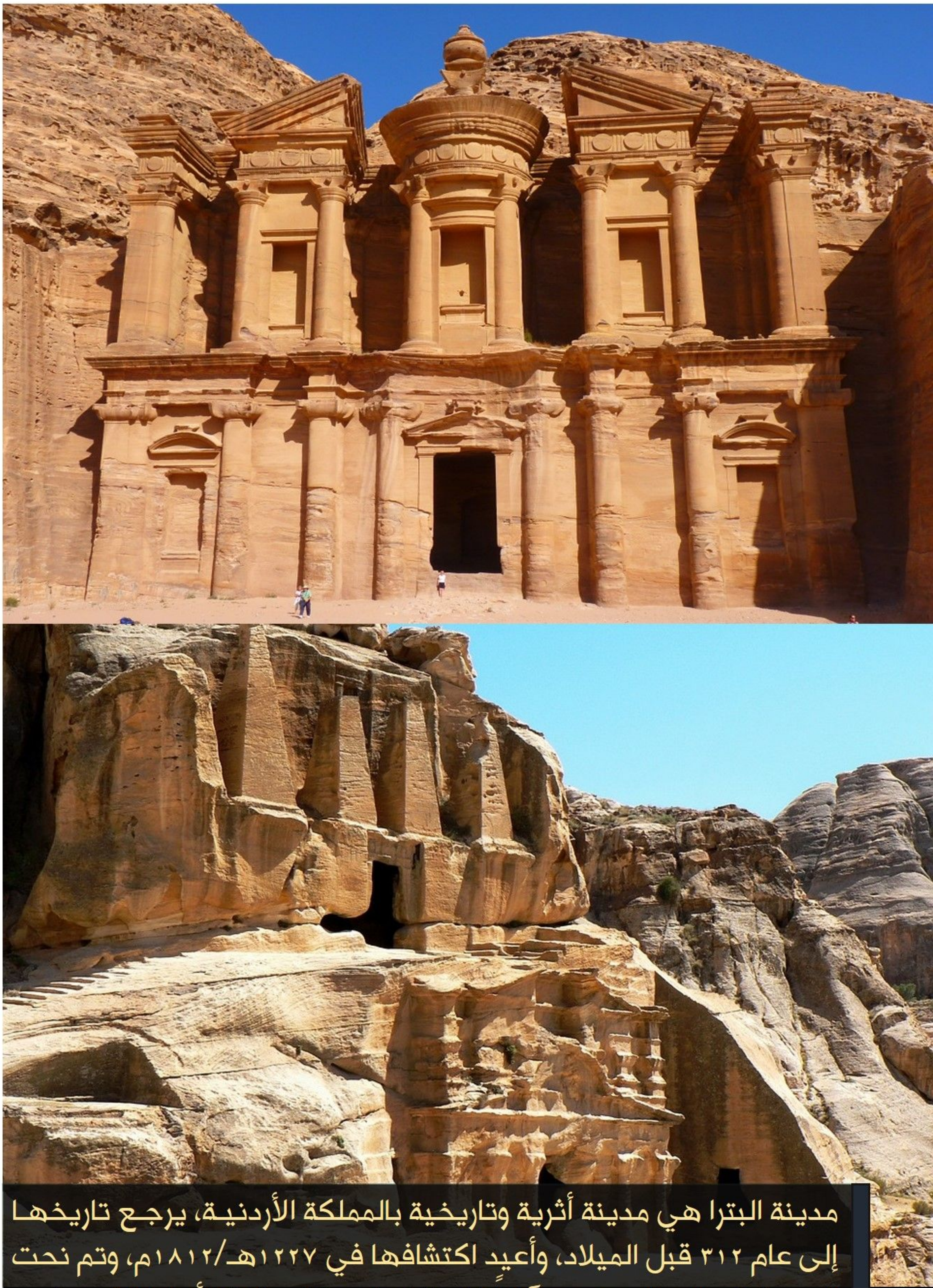

مدينة البترا هي مدينة أثرية وتاريخية بالمملكة الأردنية، يرجع تاريخها إلى عام ٣١٢ قبل الميلاد، وأعيدِ اكتشافها في ١٢٢٧هـ/١٨١٢م، وتم نحت المدينة في الجبال وتحوي آثاراً كثيرة كعاصمة لمملكة الأنباط القديمة.

لقطة للحرم المكي والكعبة من برج الساعة (أعلى برج في أبراج البيت السبعة المطلة على الحرم) حيث يبلغ ارتفاعه أكثر من ٦٠٠ متر ويعد أطول برج ساعة في العالم، وهو برج فندقي يوقف ريعه للنفقة على الحرم.

لقطة لأحد مناطق كورنيش مدينة جدة غرب المملكة العربية السعودية

برج الذهب أو بالإسبانية Torre del Oro وهو برج حجري أثري إسلامي قام ببنائه آخر أمراء دولة الموحدين بالأندلس وهو أبو العلاء إدريس الكبير في سنة ٦١٧هـ /١٢٢١م على نهر الوادي الكبير في مدينة إشبيلية جنوب إسبانيا.. كان الغرض الرئيسي منه المراقبة، لكن تم استخدامه بعد ذلك استخدامات متعددة، منها تخزين المعادن الثمينة الآتية من الهند ومن اكتشاف الأمريكيتين، يبلغ ارتفاعه ٣٧ م تقريبا، وترجع تسميته لاستخدام بلاطات خزفية ذات طلاء ذهبي في إنشائه، وهو الآن متحف شهير وبه آثار بحرية.

صورة لطيور النورس المنتشرة على ساحل مدينة الصويرة المغربية ويظهر من خلفها السور التاريخي لقلعة السقالة لحماية المدينة الساحلية.

مسجد الميناء الكبير بمدينة الغردقة المصرية على ساحل البحر الأحمر.

وتمتاز مياه الغردقة بالصفاء والشفافية مما يجعلها تحفة جمالية وخاصة في سواحلها ومنتجعاتها المنتشرة في جزرها وخلجانها البحرية الفريدة.

صورة لبرجي بترونـاس (ارتفاع ٤٥٢ مترا)، أحد أشهر معالم مدينة كوالالمبور عاصمة ماليزيـا الإسـلامية، تلـك الدولـة التـي يقسـمها إلـى نصـفين بحـر الصين الجنوبي، وتمتاز بتنوعها الرائع على المستوى الحيواني والزراعي.

لقطة لجسر لانكاوي سكاي المعلق بولاية كيدا على ارتفاع ٧٠٠ متر من البحر.

الرسم

هو اللغة التي يتم فيها استخدام الفرشاة والألوان لنقل المعاني والأحاسيس بدلاً من الكلام...

بين الحدود..!

أقف على الاحتمال .. بين الحدود ..

على الجسر الواصل بين سقوطين ..

في الوسط الرمادي بين الأبيض والأسود !

أمل آل شبلان (عقد الجمان)

قسم اللغة العربية بجامعة الإمام، مُعدة دورات في التفكير الإبداعي

فنانة تشكيلية، مؤلفة كتاب (جناح الليل).

الجرح..!

الهجرة من الموت .. إلى الموت !

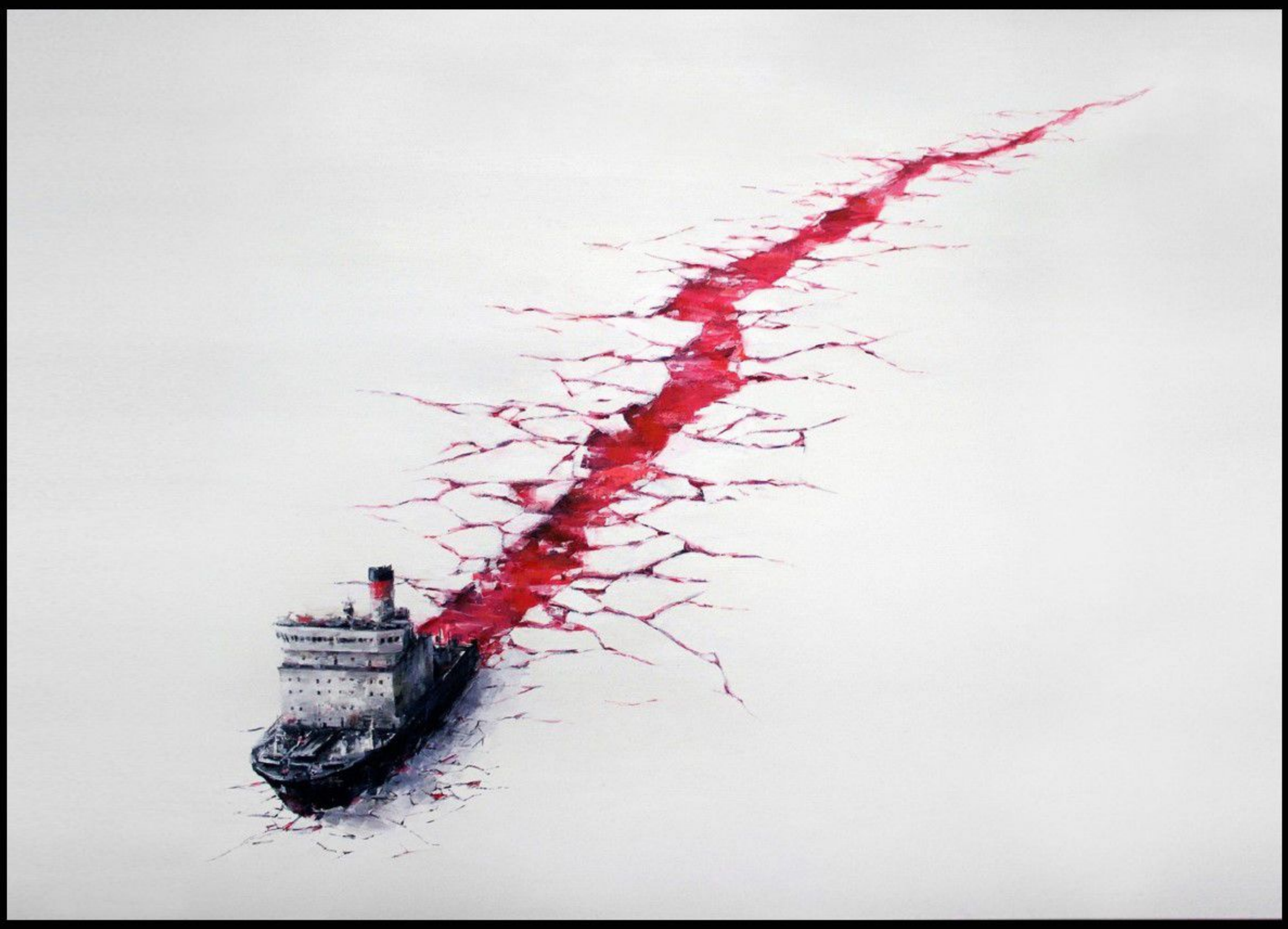

اللوحة للفنان الإسباني Pejac

باسم : الجرح Wound

٢٠١٦م

قبيلة أسماء غير ممكنة ..!

أجمع المنافي وأنثرها على الرؤوس والأفئدة ..
بنيت داري من الهوامش : فصارت متوناً خاوية ..
أنا تجربة الهاوية .. أنا خلاص مهزوم !

أمل آل شبلان (عقد الجمان)

نشكر كل مَن راسلنا بمقالاته ومساهماته في مجلتنا (أوج) ونجدد الدعوة لاستقبال أعمالكم الكتابية أو الفنية (رسم – شعر – تصوير) على البريد التالي : Dalailcentre@gmail.com

ملف خاص للتعريف بكتب مركز دلائل

بمناسبة قرب إطلاق مشروع المتجر الإلكتروني لإتاحة نسخ PDF و EPUB بإذن الله.

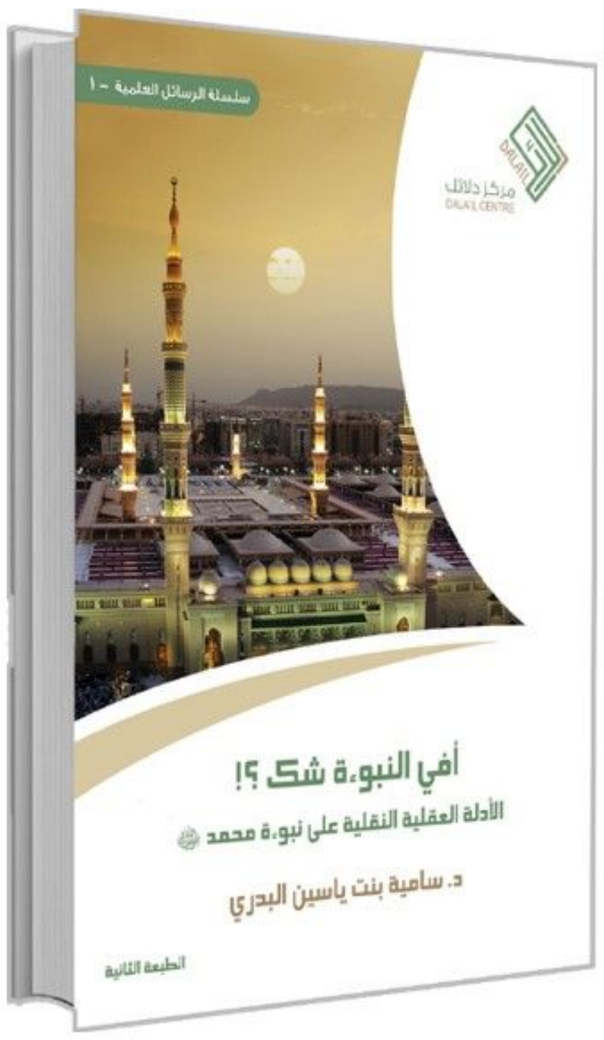

أفي النبوءة شك ؟

الأدلة العقلية النقلية على نبوءة محمد صلى الله عليه وسلم.

د. سامية بنت ياسين البدري.

في هذا الكتاب نبحر معاً في جانب لم ينل حقه بعد من الدراسة والبحث رغم أهميته البالغة، ألا وهو جانب الأدلة العقلية النقلية في القرآن على نبوءة محمد صلى الله عليه وسلم، وبما يكفي القارئ المنصف وكل طالب حق للتيقن من صدق رسالته إذا أعمل عقله فيما سيطالعه من حقائق.

الكتاب من سلسلة (**الرسائل العلمية**) ويقع في ٤٧٢ صفحة من القطع الكبير ١٧ × ٢٤ سم، وهو رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة أم القرى قسم العقيدة بتاريخ ٢١/ ٨/ ١٤٣٥هـ، وقد حصلت على درجة الامتياز.

صدر الكتاب في معرض الرياض الدولي للكتاب ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م.

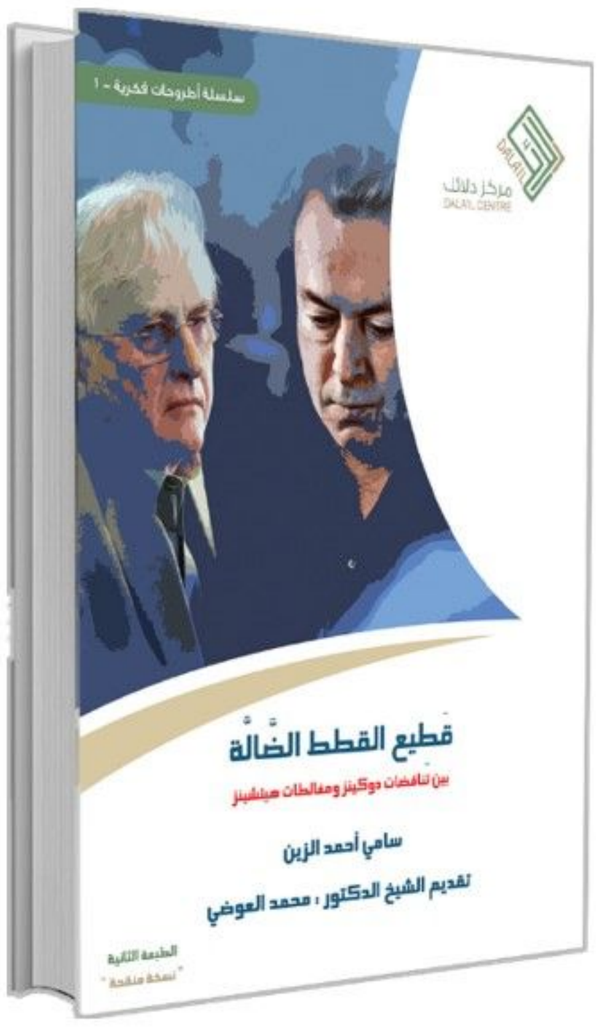

قطيع القطط الضالة

بين تناقضات دوكينز ومغالطات هيتشينز.

سامي أحمد الزين.

في هذا الكتاب يتجول بنا أحد أصحاب الأقلام الواعدة الشابة أ. سامي أحمد في تناقضات ومغالطات اثنين من رموز (الإلحاد الجديد) التي تصدرت الساحة الإعلامية العالمية في العقدين الأخيرين، مستخدماً في تقييمهما أمام الناس وأتباعهما ؛ نفس الأدوات التي استخدموها مع غيرهم !

الكتاب من سلسلة (**أطروحات فكرية**) ويقع في ٢٠٤ صفحة من القطع الكبير ١٧ × ٢٤ سم، وقد قدم له الدكتور محمد العوضي.

صدر الكتاب في معرض الرياض الدولي للكتاب ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م.

ولمؤلفه كتاب آخر صدر في نفس العام وهو :

(نظرة خلف الستار).

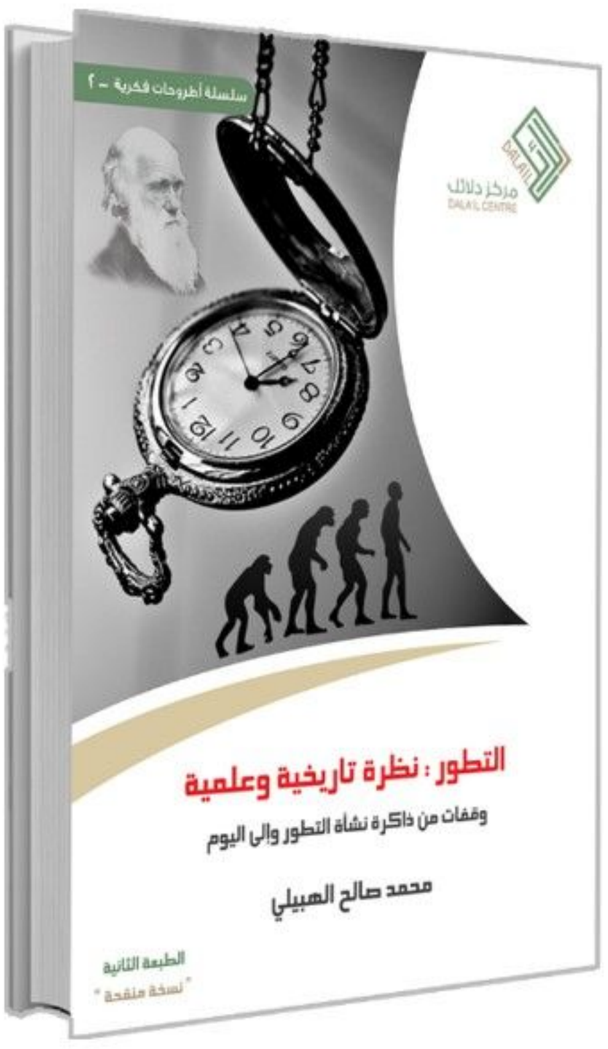

التطـور نظـرة تاريخيـة وعلمية

وقفـات مـن ذاكـرة نشـأة التطـور وإلى اليوم.

محمد صالح الهبيلي.

في هـذا الكتـاب يتجـول بنـا أحـد أصحاب الأقـلام الشـابة في موضـوع التطور ليقدم لنا ما يشبه الموسـوعة التاريخية والعلمية المُصغرة لكل مـا يمس موضوع التطور مـن قريـبٍ أو بعيد، وذلك في شكل نقـاط مـوجزة قصيرة قد يطالعها أغلبنـا لأول مـرة، حيث اتسم عمله بالتقصـي والـربط بين العناصر التي قد يظن بعضنا أنه لا رابـط بينهـا. ولـذلك لـن يخلـو الكتاب من مفاجآتٍ للقارئ العـادي أو المتخصص.

الكتـاب مـن سلسـلة (**أطروحـات فكرية**) ويقع في ٢٢٤ صـفحة ألـوان من القطع الكبير ١٧ × ٢٤ سم.

صـدر الكتـاب في معـرض الريـاض الدولي للكتاب ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م.

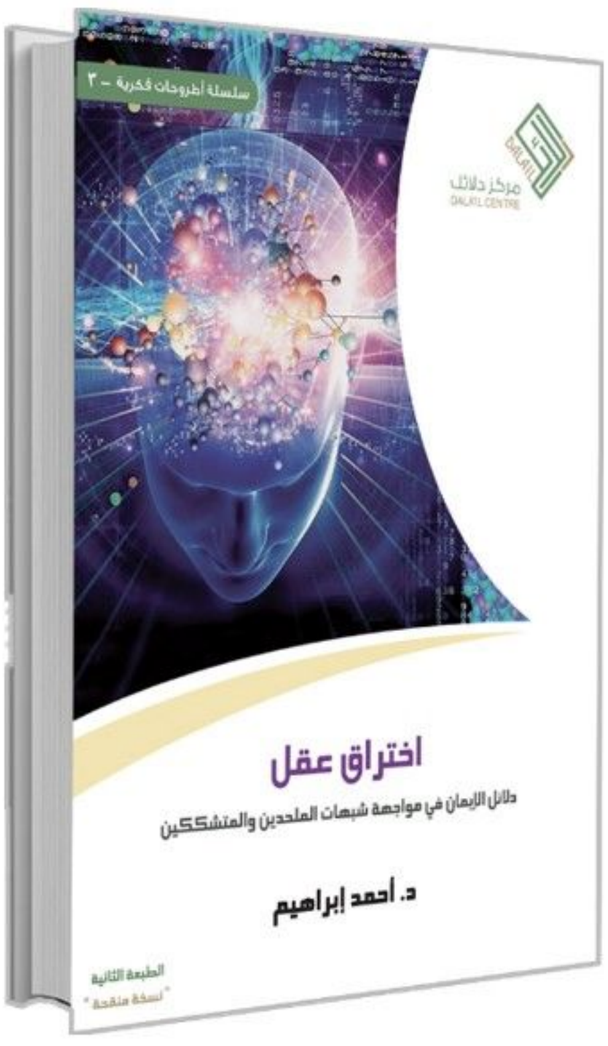

اختـراق عقل

دلائـل الإيمـان في مواجهـة شـبهات الملحدين والمتشككين.

د. أحمد إبراهيم.

في هـذا الكتـاب يتجـول بنـا أحـد أصـحاب الأقـلام الشـابة د. أحمـد إبراهيم في دلائل الإيمـان المتنوعـة ؛ للـرد عـلى شـبهات الملحـدين والمتشـككين العِلميـة والفكريـة والشرعية كما سنرى معـاً، وبأسـلوب يجمـع بـين قـوة الطـرح، ودقـة التوثيق، ومنطقية الحُجة، مـع سـعة الاطـلاع العلمـي في البيولوجيـا والفيزيـاء والرياضـيات. وإتقـان تـام لواحدة من أكبر نقاط ضعف نظرية التطـور رغـم عـدم اشـتهارها بـين منتقـديها ألا وهـي مأسـاة المـوارد المشـتركة. الكتـاب مـن سلسـلة (**أطروحـات فكريـة**) ويقـع في ٣١٦ صفحة مـن القطـع الكبـير ١٧ × ٢٤ سم. صدر الكتاب في معرض الريـاض الدولي للكتاب ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م.

نظرة خلف الستار

بائعو التشكيك تحت المجهر.

سامي أحمد الزين.

في هذا الكتـاب نتقابـل مـرة أخـرى مع أ. سامي أحمد بعـد كتابـه الأول (قطيـع القطـط الضـالة)، حيـث يتجول بنا في خبايا نفس ٨ من أشهر الشخصـيات الإلحاديـة في العصـر الحـديث، بعـد أن تشـبع بمشـاهدة أكـثر لقـاءاتهم ومنـاظراتهم وقـراءة كتابـاتهم، ليقـف بنـا عـلى نقـاط التنـاقض واللامعقوليـات التـي قـد تخفـى عـلى مَـن لا ينتبهـون إليهـا. وهم : كريستوفر هيتشينز، ريتشارد دوكينـز، سـام هـاريس، عبـد اللـه القصـيمي، لـورانس كـراوس، دانيـل دينيـت، فيكتـور سـتينغر، أي سي غريلينـغ. الكتـاب مـن سلسـلة (**أطروحـات فكريـة**) ويقـع في ٢٠٠ صفحة مـن القطـع الكبـير ١٧ × ٢٤ سم. صدر الكتاب في معرض الريـاض الدولي للكتاب ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م.

الميديا والإلحاد

السينما واللاوعي، الخطاب الشعبي للإلحاد.

م. أحمد حسن.

في هذا الكتاب يستعرض معنا م. أحمد حسن العديد من أمثلة الوسائل والمُغالطات المنطقية المُستخدمة في الميديا العالمية اليوم (من أفلام ومسلسلات ورسوم متحركة ومواقع التواصل الاجتماعي) لنشر الإلحاد الشعبي أو إلحاد الهواة الذي لا يعتمد على نقاش أو حوار متساوي الطرفين، وإنما التأثير من طرف واحد بالمشهد والصورة والكلمة والعاطفة. ولا شك أن الوقوف على مثل هذه الوسائل هو من أهم طرق الوقاية منها.

الكتاب من سلسلة (**أطروحات فكرية**) ويقع في ١٢٨ صفحة ألوان من القطع الصغير ١٤ × ٢١ سم.

صدر الكتاب في معرض الرياض الدولي للكتاب ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م.

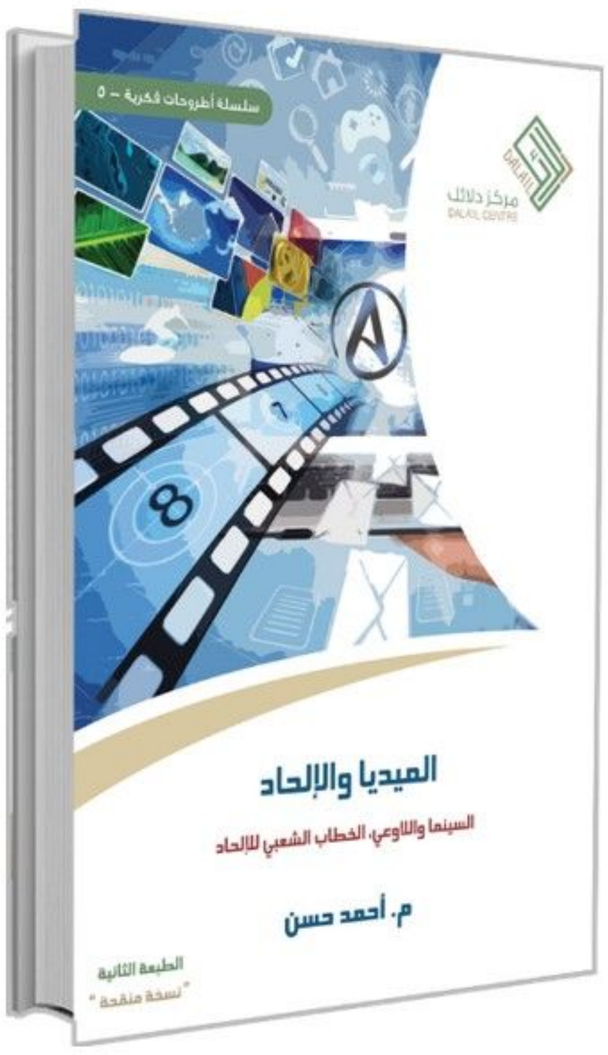

معبد داروين

صفحات من التاريخ المنسي لأفكار داروين.

خالد بن عبدالرحمن الشايع.

في هذا الكتاب نفسح المجال لنظرة جديدة في موضوع التطور قلما تطرق إليها أحد، حيث يخوض بنا الباحث الشاب أ. خالد بن عبدالرحمن الشايع في تاريخ أفكار التطور (أو التحول كما كانوا يسمونه) والتي كان ختامها داروين في العصر الحديث. إنها صفحات منسية بالفعل غفل عنها الكثيرون رغم أهميتها وتشكيلها لرؤية داروين للحياة وأصل الأنواع.. حيث تبدأ رحلتنا قبيل الثورة الفرنسية بقليل..

الكتاب من سلسلة (**أطروحات فكرية**) ويقع في ١١٢ صفحة من القطع الصغير ١٤ × ٢١ سم.

صدر الكتاب في معرض الرياض الدولي للكتاب ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م.

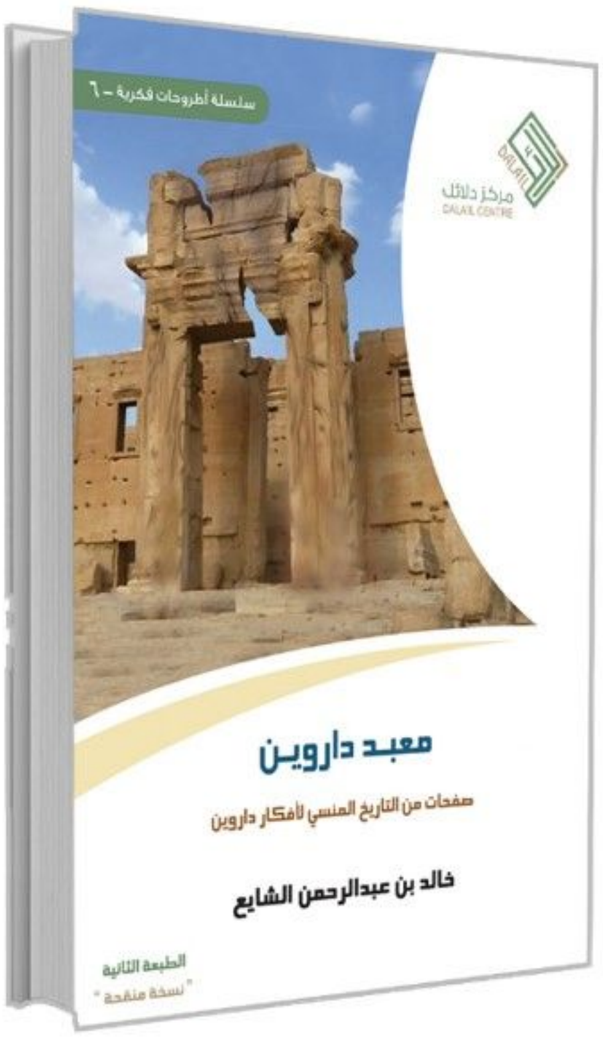

وهم الشيطان

الإلحاد ومزاعمه العلمية.

ديفيد بيرلنسكي.

ترجمة وتعليق وتوثيق :

د. عبد الله الشهري

في هذا الكتاب تم اختيار أشهر أعمال المفكر الأمريكي ديفيد بيرلنسكي في نقد مزاعم الإلحاد العلمية، وهو الذي جمع بين تخصصات الفلسفة والرياضيات والبيولوجيا الجزيئية، ليصبح بذلك كاتباً ومؤلفاً له وزنه في الخارج، وخصوصاً مع انتقاداته الحادة العلمية والفكرية لكتابات وأقوال أشهر الملحدين الجدد بغير مواربة، لاسيما وهو علماني يهودي الأصل ولا يُصنِف نفسه كمؤمن أو متدين.

الكتاب من سلسلة (**الترجمات**) ويقع في ٢٧٢ صفحة من القطع الكبير ١٧ × ٢٤ سم.

صدر الكتاب في معرض الرياض الدولي للكتاب ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م.

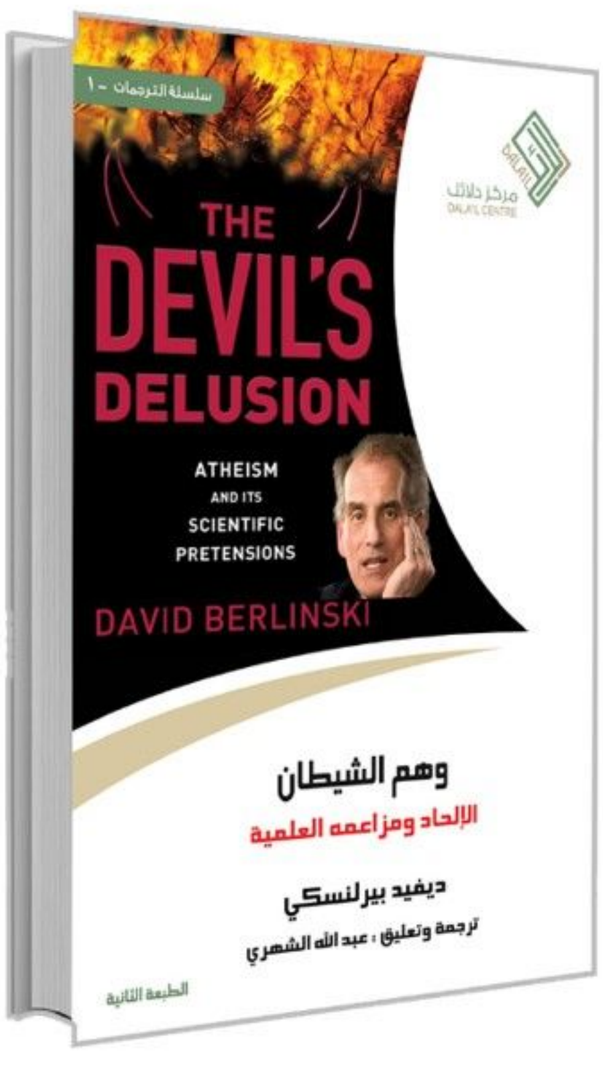

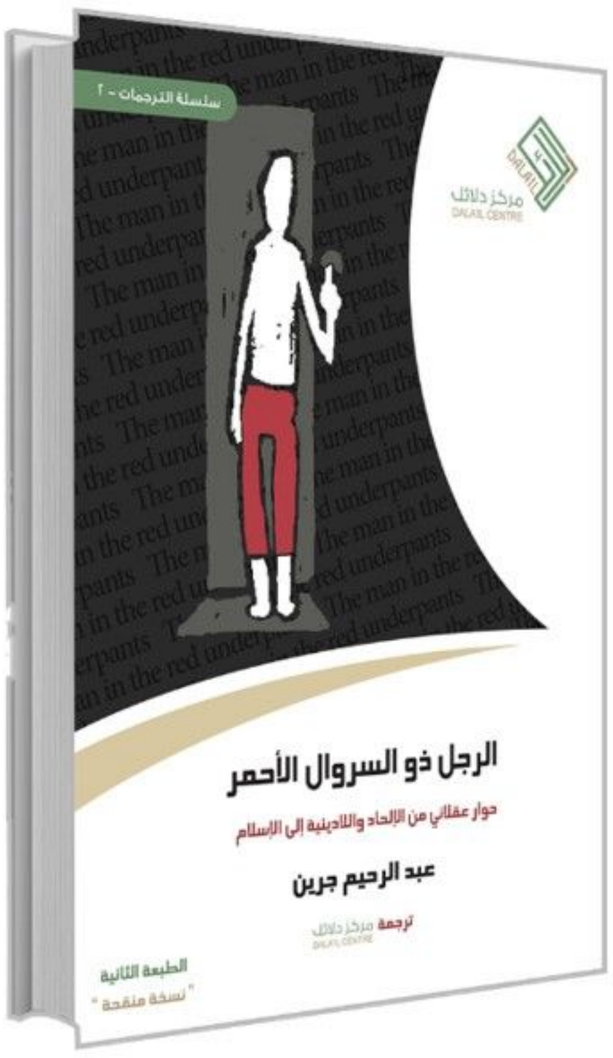

الرجل ذو السروال الأحمر

حوار عقلاني من الإلحاد واللادينية إلى الإسلام.

عبدالرحيم جرين.

ترجمة : **مركز دلائل**، مع شكر خاص للدكتور : **كرم إسلام**.

في هذا الكتاب سنخوض معاً تجربةً حواريةً فريدةً وخفيفةً بين الكاتب البريطاني (عبد الرحيم جرين) وبين القارئ الكريم، حيث يتناول فيها بالتسلسل العقلي والمنطقي والعلمي البسيط رحلة الوصول إلى إثبات وجود الخالق عز وجل، ثم إثبات صحة الإسلام. والكاتب نفسه اعتنق الإسلام وهو مؤسس أكاديمية البحث والمنهج الإسلامي iERA.

الكتاب من سلسلة (**الترجمات**) ويقع في ٨٨ صفحة من القطع الصغير ١٤ × ٢١ سم.

صدر الكتاب في معرض الرياض الدولي للكتاب ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م.

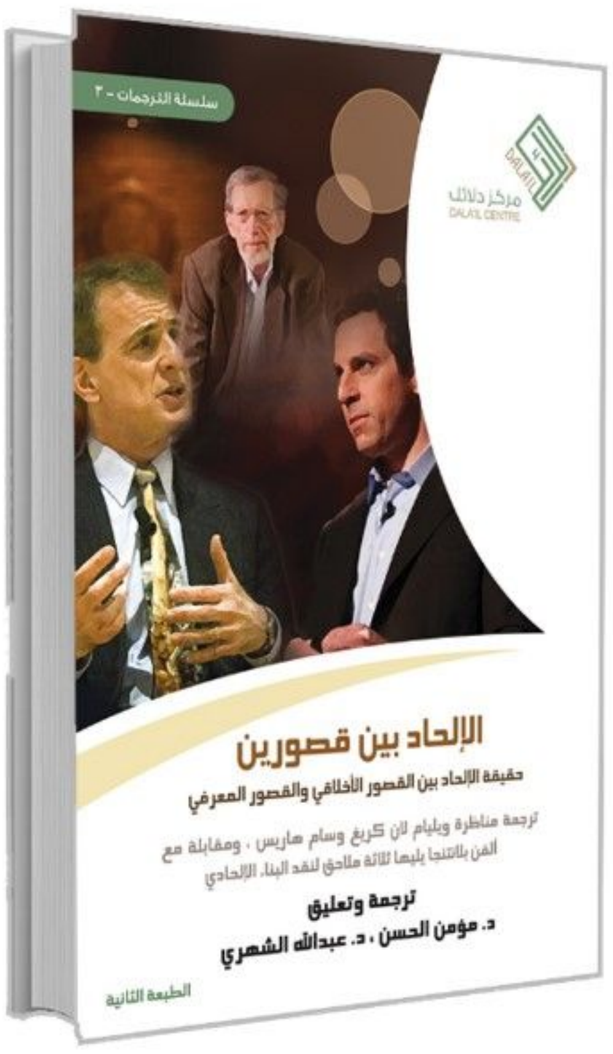

الإلحاد بين قصورين

حقيقة الإلحاد بين القصور الأخلاقي والقصور المعرفي.

ترجمة مناظرة أصل الأخلاق بين : **ويليام لان كريغ**، و**سام هاريس**، يليها : ترجمة مقابلة **غاري جتنغ** مع المفكر الفيلسوف **ألفن بلانتنجا**. ومعها ثلاثة ملاحق لنقد البناء الإلحادي معرفياً.

ترجمة وتعليق : د. **مؤمن الحسن**، د. **عبد الله الشهري**.

وفي هذا الكتاب نرى كيف يسرد الملحد سام هاريس الآلام والشرور والمتاعب التي في العالم تهرباً من الإجابة على سؤال ويليام لان كريج : هل يمكن التقعيد لأصل الأخلاق في المنهج المادي أو الإلحادي ؟

الكتاب من سلسلة (**الترجمات**) ويقع في ١٣٦ صفحة من القطع الصغير ١٤ × ٢١ سم.

صدر الكتاب في معرض الرياض الدولي للكتاب ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م.

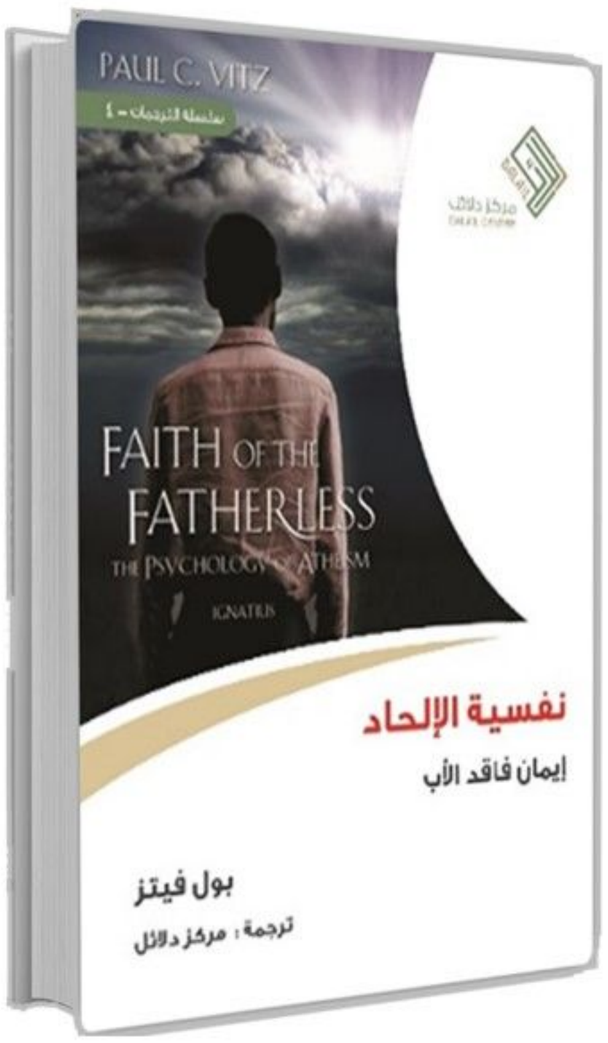

نفسية الإلحاد

إيمان فاقد الأب.

بول فيتز.

ترجمة : **مركز دلائل**.

في هذا الكتاب سنتجول مع عملٍ فريدٍ في بابه، نادرٍ في تخصصه، يلمس قلب مشكلة الإلحاد الحقيقية بعيداً عن الشبهات السطحية التي يحاول الملحدون التخفي من ورائها، ألا وهو المشكلة النفسية لدى أغلب الملحدين ولاسيما مشكلة الأب، حيث سيتجول بنا بول فيتز في أغلب جوانب هذه الظاهرة التي تكررت عند أشهر ملحدي العالم. جدير بالذكر أن المركز حصل على الطبعة الجديدة من الكتاب والتي تم إضافة جزء الأم فيها كذلك. الكتاب من سلسلة (**الترجمات**) ويقع في ٢٣٢ صفحة من القطع الكبير ١٧ × ٢٤ سم. صدر الكتاب على هامش معرض الرياض الدولي للكتاب ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م.

مؤشرات التطرف لدى الشباب

دراسة ميدانية : اقتصادية واجتماعية ونفسية وفكرية.

د. عبدالعزيز بن عبدالرحمن الهليل.

في هذا الكتاب يتناول معنا د. عبدالعزيز بن عبدالرحمن الهليل إحدى أهم قضايا الساحة اليوم بالدراسة والتتبع ألا وهي مشكلة التطرف عند الشباب، حيث يرجع بنا خطوات إلى الوراء قبل أن يقع المحظور ليبحث معنا عن سُبل استكشاف مؤشرات التطرف في بداياتها، وبما يُبصِّر المهتمين أفراداً وأُسر ومؤسسات بما يمكنهم ملاحظته ثم إصلاحه في هذا الصدد.

الكتاب من سلسلة (**الدراسات**) ويقع في ٨٠ صفحة من القطع الصغير ١٤ × ٢١ سم.

صدر الكتاب في معرض الرياض الدولي للكتاب ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م.

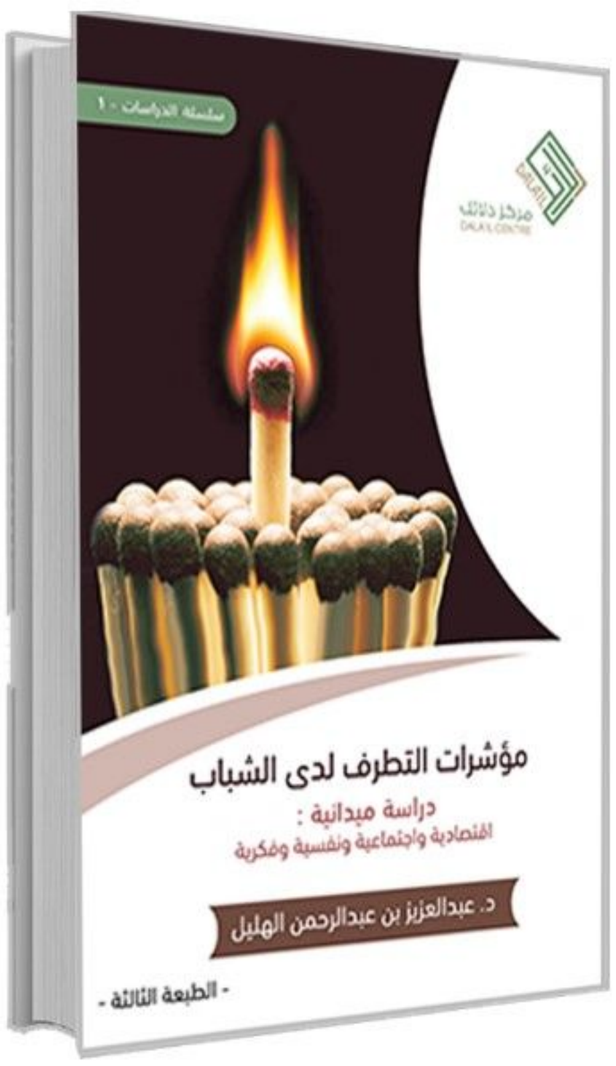

أقوى براهين د. جون لينكس

في تفنيد مغالطات منكري الدين.

جمعه وعلق عليه : **م. أحمد حسن.**

شكر خاص للدكاترة والأساتذة : **محمد القاضي - زيد الهبري - موسى إدريس - مؤمن الحسن - محمود المغيربي - أبو البراء.**

في هذا الكتاب يتجول بنا م. أحمد حسن في ثلاثة من أشهر وأقوى كتابات د. جون ك. لينكس في نقد الإلحاد الجديد وأشهر رؤوسه مثل ريتشارد دوكينز وستيفن هوكينج، وذلك عن طريق تجميع واختيار أقوى الفصول من هذه الكتب الثلاثة لتقديمها مع التعليق الشرعي والعلمي عليها.

الكتاب من سلسلة (**المختارات والمنتخبات**) ويقع في ٥٨٨ صفحة من القطع الكبير ١٧ × ٢٤ سم.

صدر الكتاب في معرض الرياض الدولي للكتاب ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م.

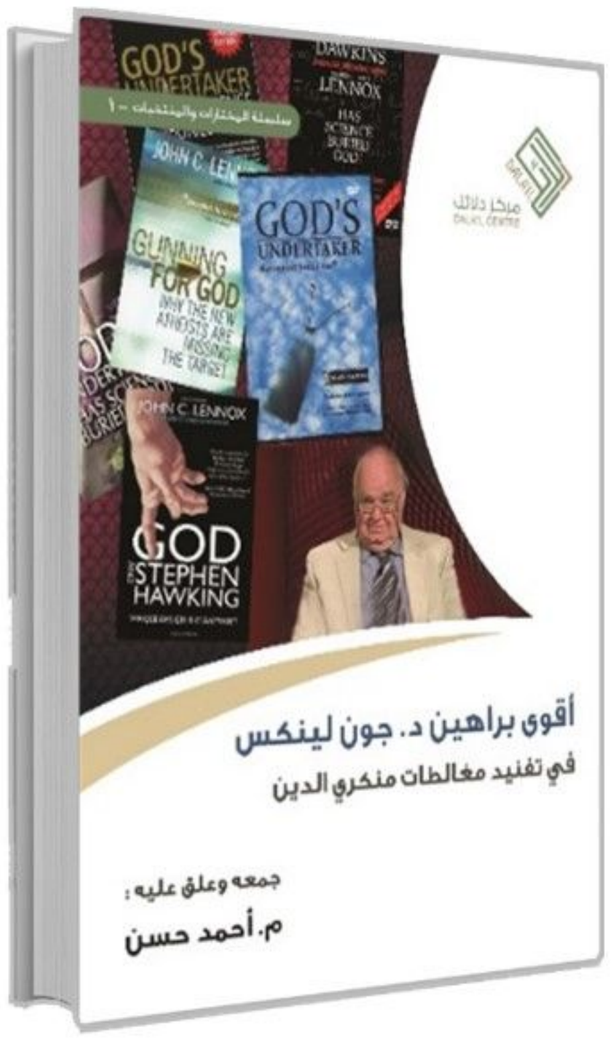

العائدون إلى الفطرة

٧١ عائداً وعائدة من الإلحاد واللادينية إلى الإسلام.

تجميع وترتيب وتوثيق.

في هذا الكتاب لم نر أفضل مَن يعرض تجربة الإلحاد أو اللادينية أو اللاأدرية أو التشكك: ممَن خاضوها بأنفسهم بالفعل، حيث سنعيش معهم كيف كان حالهم قبلها وأثنائها وبعد أن عادوا إلى فطرة الإسلام، كل ذلك فسحنا لهم المجال تماماً بنقل نص كلامهم وبأساليبهم ولهجاتهم لم نتدخل فيها إلا يسيراً. وذلك لتبقى مليئة بنفس العاطفة والمشاعر التي تحدثوا بها.

عسى الله تعالى أن ينفع بهذه الكلمات الصادقات.

الكتاب من سلسلة (**التراجعات**) ويقع في ٤٧٢ صفحة من القطع الكبير ١٧ × ٢٤ سم.

صدر الكتاب في معرض الرياض الدولي للكتاب ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م.

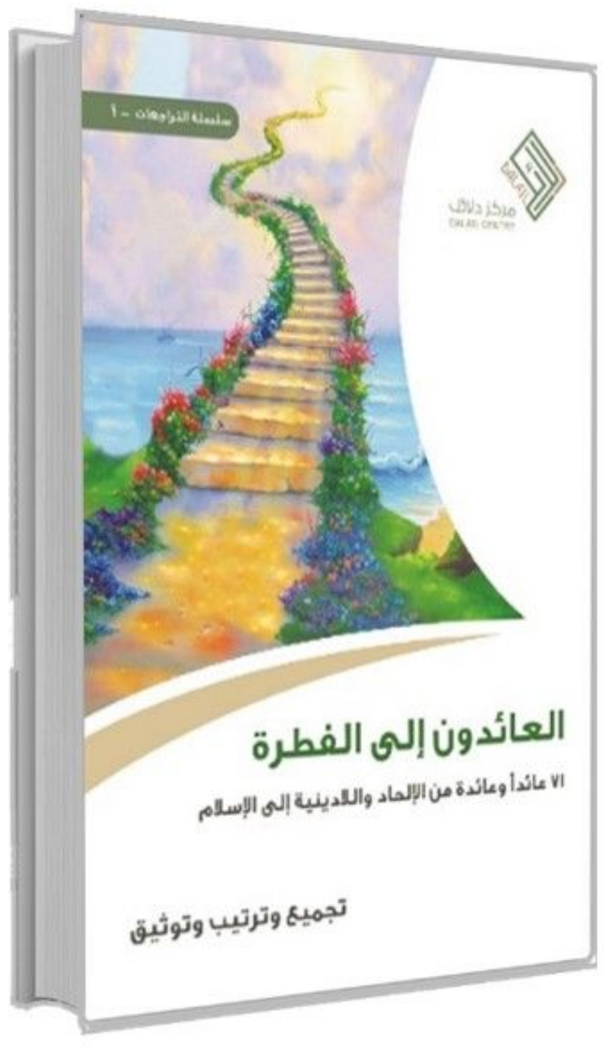

أسئلة الأطفال الإيمانية

نماذج عملية للإجابة عن أسئلة الأطفال المتعلقة بأركان الإيمان.

عبدالله بن حمد الركف.

تقديم : **د. عبدالعزيز بن عبدالله المقبل، د. منى رجب صابر.**

في هذا الكتاب يتناول الأستاذ عبدالله بن حمد الركف موضوعاً أساسياً في التنشئة الإيمانية السليمة لأطفالنا، حيث يستعرض في نصفه الأول الأسس والقواعد التربوية للتعامل مع أسئلة الأطفال الإيمانية، ثم يعقبه في النصف الثاني من الكتاب أمثلة عملية لإجابات عن أكثر الأسئلة المثارة من الأطفال، والتي يمكن للوالدين الاستفادة منها في الإجابة على أبنائهم. الكتاب من سلسلة (**قضايا الطفل**) ويقع في ١٧٧ صفحة من القطع الصغير ١٤ × ٢١ سم. صدر الكتاب في معرض الرياض الدولي للكتاب ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م.

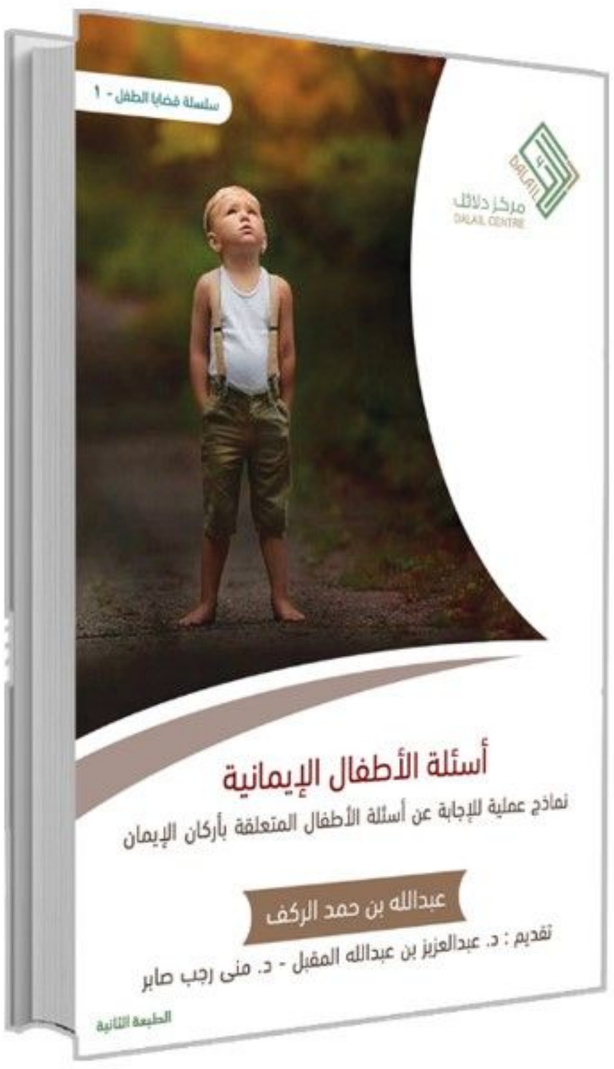

المرأة بين الداروينية والإلحاد

٤ مقالات عن المرأة في التعاليم الداروينية والمنهج المادي.

د. جيري بيرغمان.

ترجمة : **مركز دلائل.**

مع مدخل للأستاذة : **ملاك الجهني.**

في هذا الكتاب نعرض بعض الرؤى الغربية الحديثة في قضايا المرأة والنسوية والتي لها تعلق بالمنهج المادي للإلحاد والداروينية، حيث تكتب لنا الأستاذة ملاك الجهني مدخلاً لهذه الرؤى من وجهة نظر مختلفة، وهذه الرؤى هي ترجمات لأربعة مقالات بحثية تصف بعض الجوانب الخفية للمرأة بين الداروينية والإلحاد.

الكتاب من سلسلة (**قضايا المرأة**) ويقع في ١١٣ صفحة من القطع الصغير ١٤ × ٢١ سم.

صدر الكتاب في معرض الرياض الدولي للكتاب ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م.

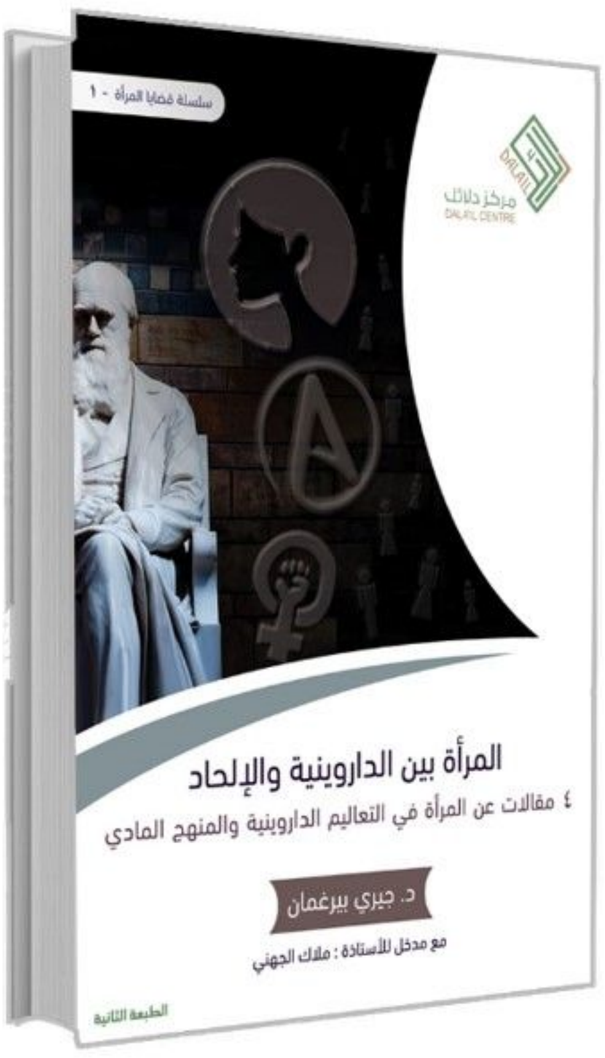

الإيمان بالخالق والعلم

اقتباسات موثقة لمشاهير العلماء في العصر الحديث.

جوردون ليدنر.

ترجمة : **مركز دلائل.**

في هذا الكتاب جمع لنا الكاتب الأمريكي المخضرم جوردون ليدنر اقتباسات عشرات المشاهير من العلماء الذين تركوا بصمات معروفة في العصر الحديث شرقاً وغرباً، ليستعرض بها معنا كيف كانت نظرتهم إلى الآيات الدالة على وجود الخالق فيعترفون بها ولا ينكرونها، بل وكثيراً ما كانت هي الدافع في إنجازاتهم العلمية ودليلهم إلى البحث العلمي الذي تؤكد قوانينه وانتظامه أن للكون رباً حكيماً عليماً خبيراً. الكتاب من سلسلة (**الترجمات**) ويقع في ١٦٣ صفحة من القطع الكبير ١٧ × ٢٤ سم. صدر الكتاب في معرض الرياض الدولي للكتاب ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م.

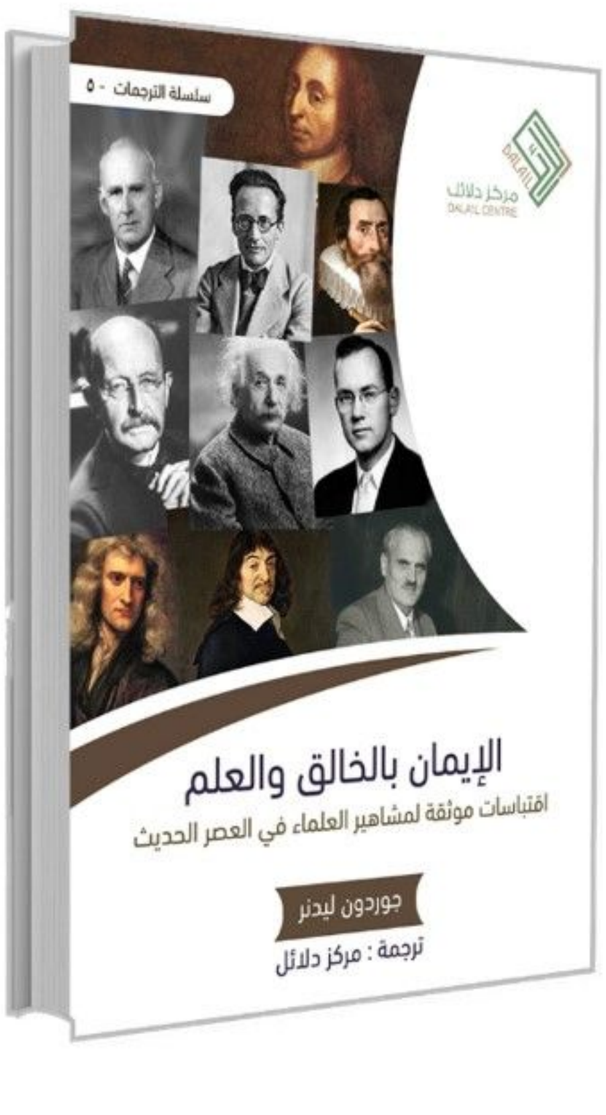

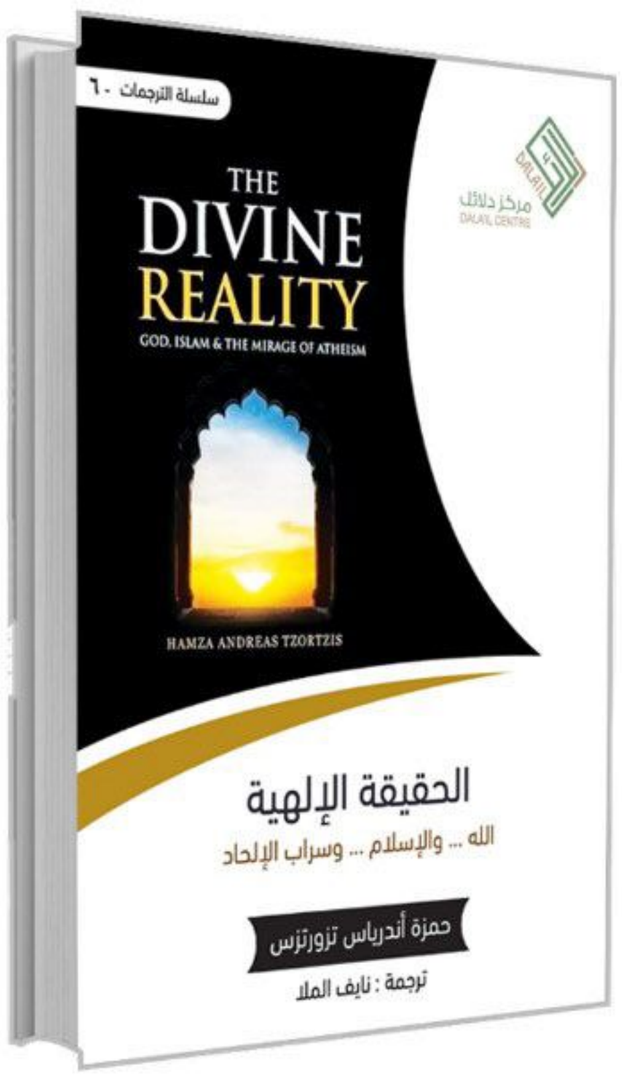

الحقيقة الإلهية

الله .. والإسلام .. وسراب الإلحاد.

حمزة أندرياس تزورتزس.

ترجمة : **نايف المُلا.**

في هذا الكتاب يتجول بنا أحد أشهر المحاورين في بريطانيا اليوم، الشاب حمزة تزورتزس، بين أدلة الإيمان وبطلان الإلحاد، وهو الذي خاض أكثر من مناظرة وحوار مع مشاهير الإلحاد واللادينية مثل لورانس كراوس وبيتر سايمونز وإيان برايز وريك لويز وغيرهم، لم يولد حمزة مسلماً، وإنما اهتدى إلى الحق بعد بحث وتفكير، وهذا أول كتاب له نترجمه إلى العربية بعد عدة سنوات من الدعوة والعمل في أكاديمية التعليم والبحث الإسلامي iERA.

الكتاب من سلسلة (**الترجمات**) ويقع في ٨٠ صفحة من القطع الصغير ١٤ × ٢١ سم.

صدر الكتاب في معرض الرياض الدولي للكتاب ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م.

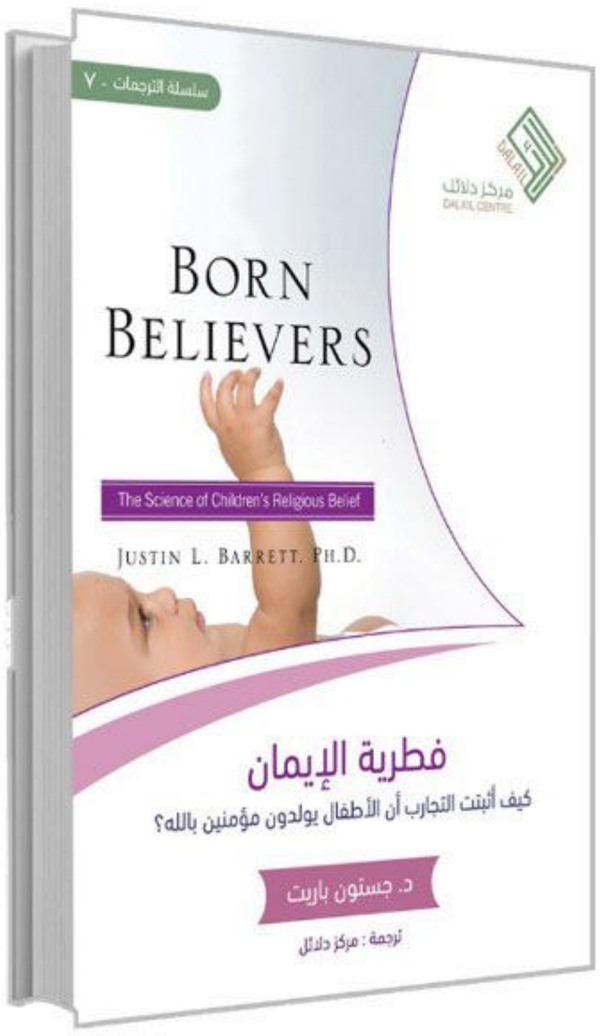

فطرية الإيمان

كيف أثبتت التجارب أن الأطفال يولدون مؤمنين بالله ؟

د. جستون باريت.

ترجمة : **مركز دلائل.**

في هذا الكتاب يستعرض معنا د. جستون باريت أستاذ علم النفس ومختص علم نمو الإنسان، عدداً كبيراً جداً من التجارب التي تم إجراؤها في السنوات الأخيرة على الأطفال من سن ٩ أشهر إلى عدة سنوات وتثبت أن الأطفال يولدون بمؤهلات عقلية للوصول إلى الخالق والسؤال عنه، وهو ما نسميه بالبدهيات الأساسية في التفكير، سواء تجارب له أو لغيره من المختصين التي جمعها مع الشرح والتعليق.

الكتاب من سلسلة (**الترجمات**) من القطع الكبير ١٧ × ٢٤ سم. وهو لم يصدر بعد، ومتوقع صدوره بإذن الله في أواخر هذا العام أو العام القادم ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م.

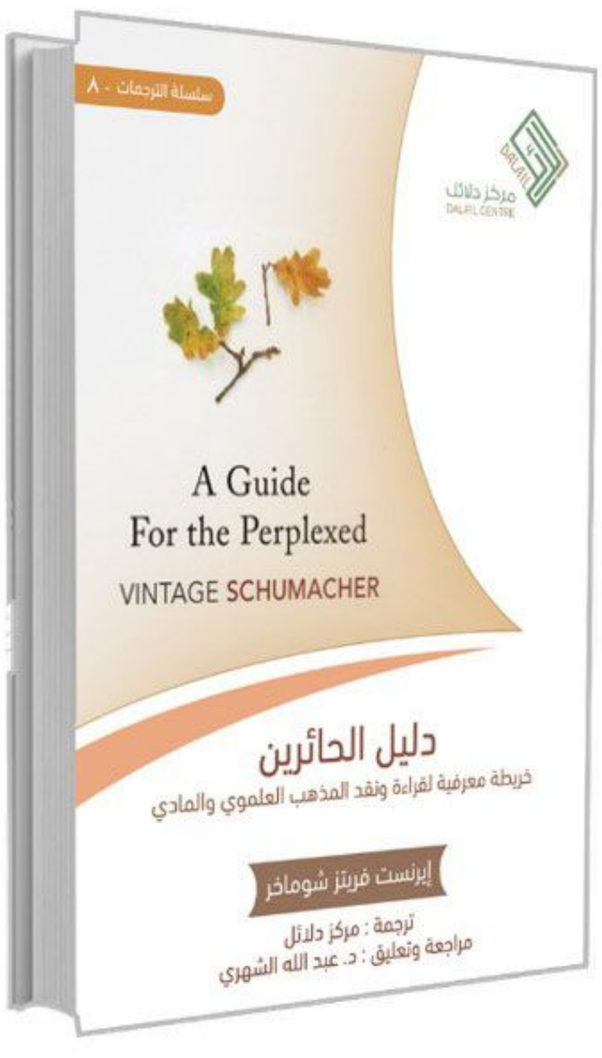

دليل الحائرين

خريطة معرفية لقراءة ونقد المنهج العلموي والمادي.

إرنست فريدز شوماخر.

ترجمة : **مركز دلائل.**

مراجعة وتعليق : **د. عبدالله الشهري.**

في هذا الكتاب سنقرأ معاً رؤية إرنست شوماخر أحد المفكرين الغربيين لكيفية تناول الإنسان الحديث للمعرفة وأدواتها في العصر الحالي، لا سيما مع انتشار المنهج المادي وسطوته على التفكير والعلم، وهذا المؤلف قد تنقل في حياته الفكرية بين الإلحاد واللاأدرية ثم عاد إلى الإيمان، فوضع لنا خريطةً أو دليلاً للحائرين أمام هذه المتغيرات.

الكتاب من سلسلة (**الترجمات**) ويقع في ٢٥٥ صفحة من القطع الكبير ١٧ × ٢٤ سم.

صدر الكتاب في معرض الرياض الدولي للكتاب ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م.

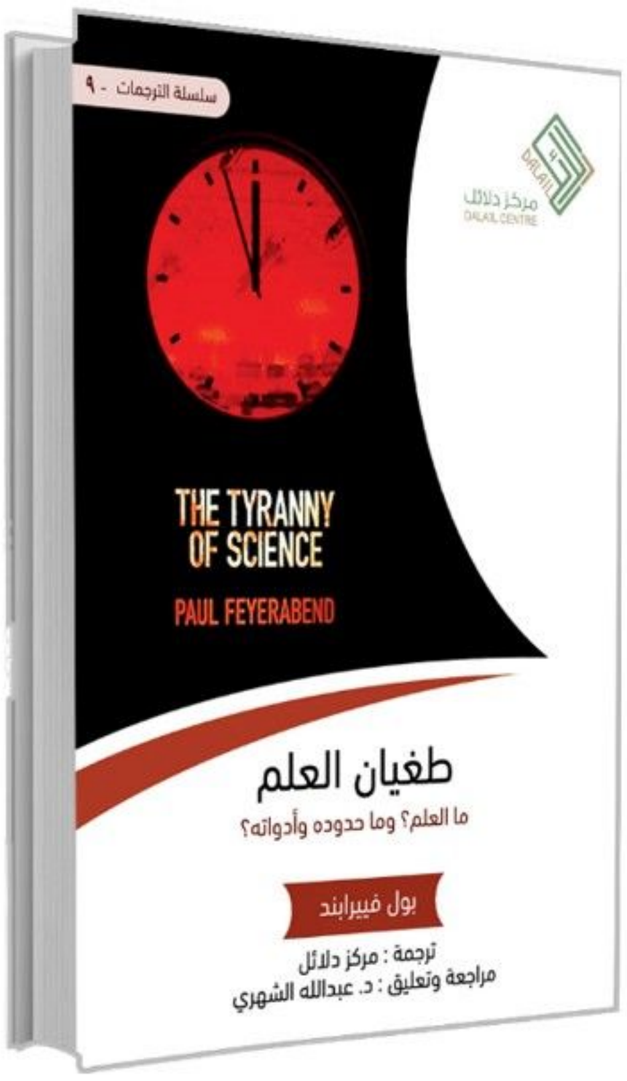

طغيان العلم

ما العلم ؟ وما حدوده وأدواته ؟

بول فييرابند.

ترجمة : **مركز دلائل.**

مراجعة وتعليق : **د. عبدالله الشهري.**

في هذا الكتاب يخترق بنا بول فييرابند حواجز القداسة التي تم إحاطة المنهج المادي التجريبي بها وكذلك الفلسفة الوضعية الحديثة، حيث كان أحد معتنقيها في فترة من فترات حياته ويراها السبيل الأوحد للعلم والمعرفة، ثم اكتشف مع الوقت ثغرات هذا الفكر الذي ساهم في طغيان ذلك النوع من العلم في العصر الحديث، والذي يزعم أصحابه قدرته على تفسير أي شيء وكل شيء. الكتاب من سلسلة (**الترجمات**) ويقع في ٢٣٠ صفحة من القطع الكبير ١٧ × ٢٤ سم. صدر الكتاب في معرض الرياض الدولي للكتاب ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م.

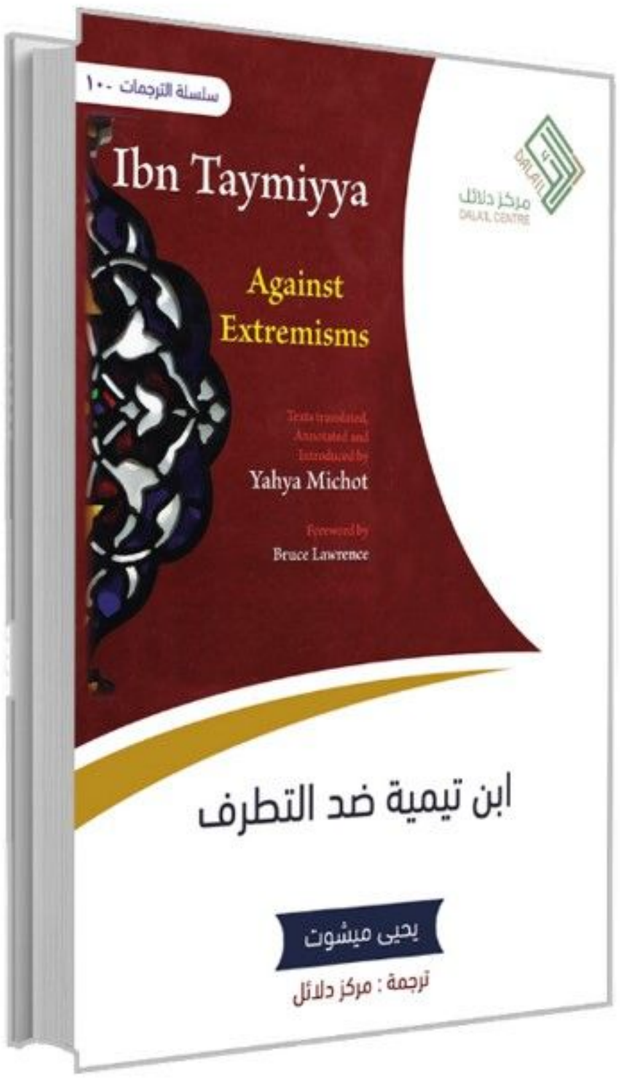

ابن تيمية ضد التطرف

يحيى ميشوت.

ترجمة : **مركز دلائل.**

في هذا الكتاب يستكشف القراء نواحي غير مشهورة عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وغير التي يصبغه بها الكثيرون اليوم من صبغات الإرهاب أو التطرف، وذلك بقلم من خارج بلاد العرب، إنه أستاذ الدراسات الإسلامية البلجيكي المسلم يحيى ميشوت، حيث يجلي لنا نواحي الوسطية والمحبة الإلهية عند ابن تيمية، ووضعه لأسس الاعتدال فيها بلا إفراط ولا تفريط، ويبرهن لنا كذلك على تفهم شيخ الإسلام لطبيعة الظروف التي قد تحيط بالمسلم من ظلم أو كفر وضرورة احتكاكه بها. الكتاب من سلسلة (**الترجمات**) ويقع في ٣٢٨ صفحة من القطع الكبير ١٧ × ٢٤ سم. صدر الكتاب في معرض الرياض الدولي للكتاب ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م.

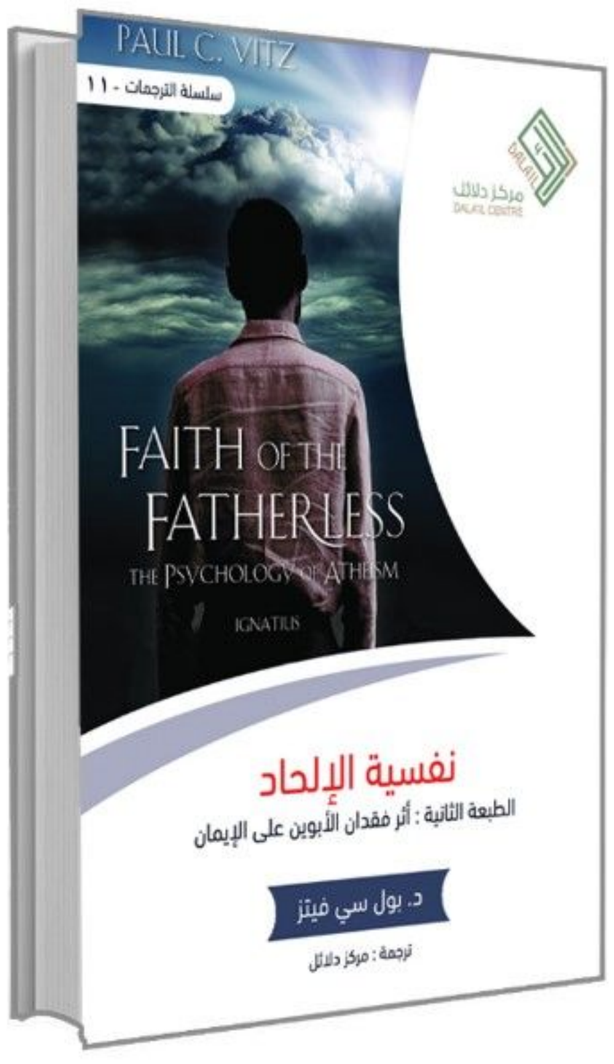

نفسية الإلحاد

الطبعة الثانية : أثر فقدان الأبوين على الإيمان.

د. بول سي فيتز.

ترجمة : **مركز دلائل.**

في هذا الكتاب سنتجول مع عملٍ فريدٍ في بابه، نادرٍ في تخصصه، يلمس قلب مشكلة الإلحاد الحقيقية بعيداً عن الشبهات السطحية التي يحاول الملحدون التخفي من ورائها، ألا وهو المشكلة النفسية لدى أغلب الملحدين ولاسيما مشكلة الأب والأم، حيث سيتجول بنا بول فيتز في أغلب جوانب هذه الظاهرة التي تكررت عند أشهر ملحدي العالم. هذه الطبعة من الكتاب تحتوي زيادات كاملة عن الطبعة الأولى (ومنها زيادة فقدان الأم). الكتاب من سلسلة (**الترجمات**) من القطع الكبير ١٧ × ٢٤ سم. يصدر آخر هذا العام أو العام القادم ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م.

الإسلام ومصير الإنسان

موقف المسلم في العالم الجديد.

تشارلز جي إيتون.

ترجمة : **مركز دلائل.**

مراجعة وتعليق : **د. عبدالله الشهري.**

في هذا الكتاب يتناول المفكر والسياسي البريطاني تشارلز جي إيتون (تسمى بعد إسلامه بحسن عبدالحكيم) رؤيته للمسلم في العصر الجديد وخاصة مع اقتراب عدد المسلمين من ربع سكان العالم، ورغم بعض المآخذ الصوفية التي نتداركها في التعليقات، إلا أن رؤيته العميقة تركت أثراً على رؤية المثقفين الغربيين للإسلام من خلال تحليلاته لجوانب هامة من الدين.

الكتاب من سلسلة (**الترجمات**) من القطع الكبير ١٧ × ٢٤ سم. وهو لم يصدر بعد، ومتوقع صدوره بإذن الله في أواخر هذا العام أو العام القادم ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م.

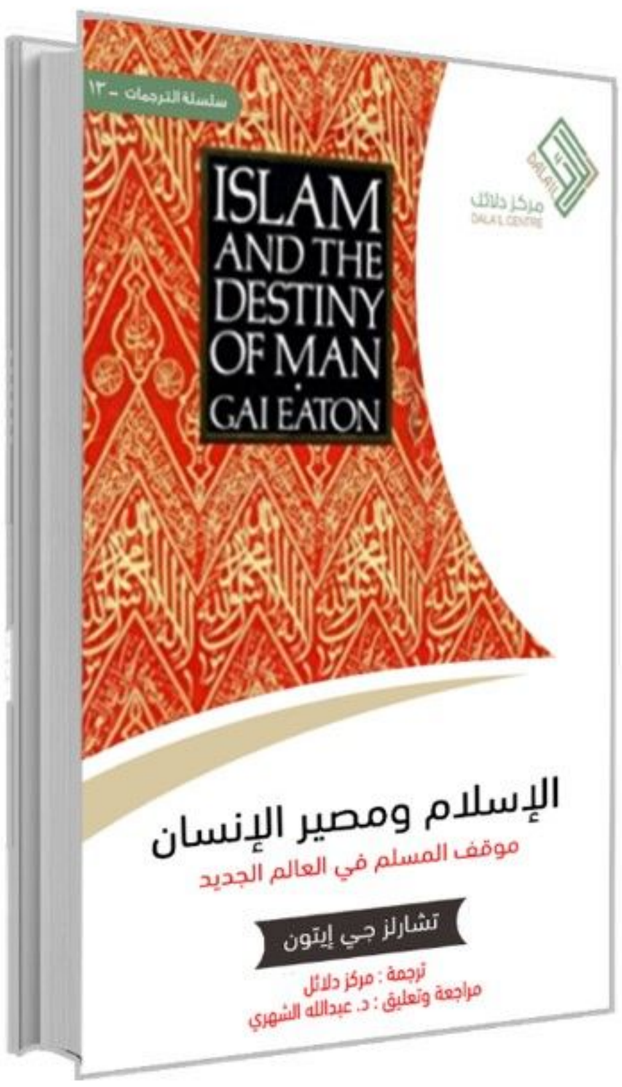

وهم العلمانية

كيف يتفاعل الطلاب المتدينون مع إيمانهم في السياق الجامعي ؟

د. ليديا جين ريد.

ترجمة : **مركز دلائل.**

في هذا الكتاب تستعرض معنا الدكتورة ليديا جين ريد عدة استطلاعات للرأي جمعتها من عينات تغطي مختلف الأديان في جامعة مانشيستر، وذلك بهدف الوقوف على مظاهر التعامل بين الطلاب المؤمنين وبعضهم البعض حسب اختلاف العقيدة والنشاطات والاهتمامات، وكذلك علاقتهم بالإلحاد الجديد ومظاهر انتشاره في الجامعات، مع مقارنة ذلك بالإطار العلماني الجامعي.

الكتاب من سلسلة (**الدراسات**) من القطع الكبير ١٧ × ٢٤ سم. وهو لم يصدر بعد، ومتوقع صدوره بإذن الله في أواخر هذا العام أو العام القادم ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م.

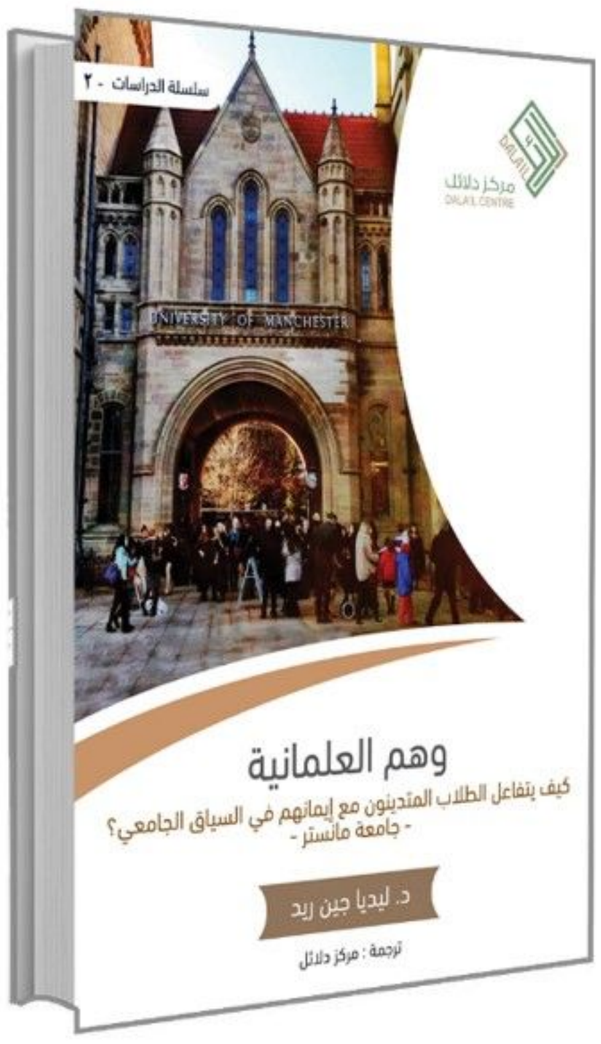

أوهام الإلحاد العلمي

هل تتعارض الكشوفات العلمية مع الإيمان بالخالق ؟

أ. د. محمد باسل الطائي.

في هذا الكتاب يتجول بنا أ. د. محمد باسل الطائي أستاذ الفيزياء الكونية بجامعة اليرموك بالأردن بين أساسيات العلم التجريبي، وتاريخ أهم الاكتشافات العلمية التي كان للمسلمين فيها القدم الراسخة، ويشرح لنا بأسلوب واضح أهم مصطلحات الفيزياء الحديثة وميكانيكا الكم، ويوضح لنا نوع العلاقة مع الإسلام والدين الحقيقي ؛ هل هي علاقة اتفاق أم صدام، وذلك بالتعرض لأهم مزاعم وأوهام الإلحاد الذي يتستر بالعلم.

الكتاب من سلسلة (**أطروحات فكرية**) ويقع في ٢٥٨ صفحة من القطع الكبير ١٧ × ٢٤ سم.

صدر الكتاب في معرض الرياض الدولي للكتاب ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م.

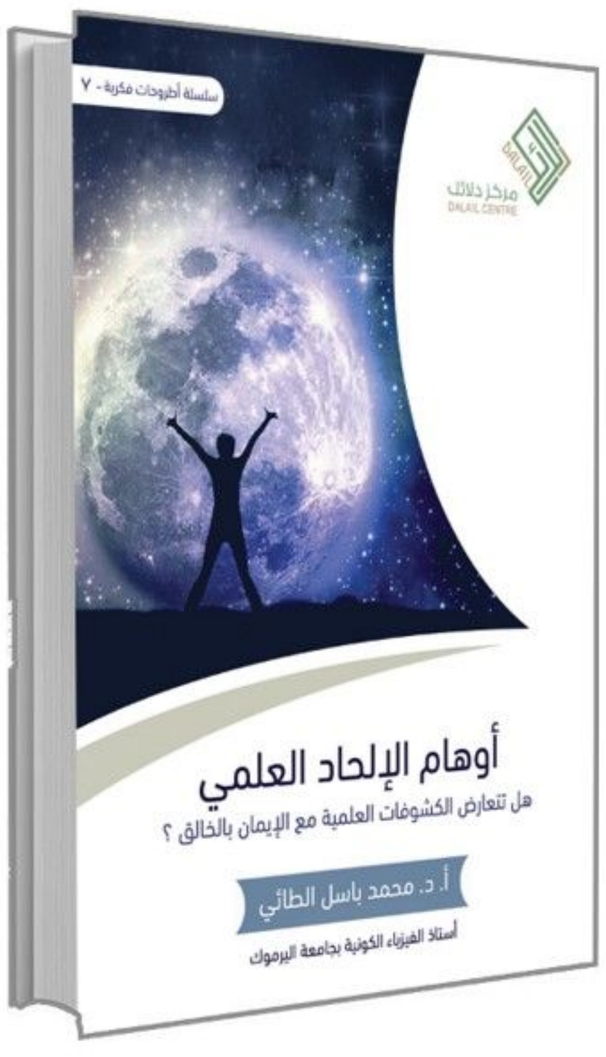

تناقضات منهجية

نقد رسالة د. عدنان إبراهيم للدكتوراه : القتال، الذمة، الجزية، وقتل المرتد.

يوسف سمرين.

في هذا الكتاب يناقش الأستاذ يوسف سمرين رسالة الدكتوراه للدكتور عدنان إبراهيم، فقام بتحليل منهجية البحث ونقدها، وبيان الأخطاء المنهجية التي وقع فيها الدكتور أثناء كتابة البحث، حيث استخدم الدكتور عدنان الأدلة في بحثه بطرق غير صحيحة ؛ فيعمل الكاتب هنا على إثبات - من كلام الدكتور نفسه - ما يظهر تضارب طريقته، وتناقض منهجه في قبول أو رفض الأحاديث والروايات والأحكام. الكتاب من سلسلة (**أطروحات فكرية**) ويقع في ١٣٠ صفحة من القطع الصغير ١٤ × ٢١ سم. صدر الكتاب في معرض الرياض الدولي للكتاب ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م.

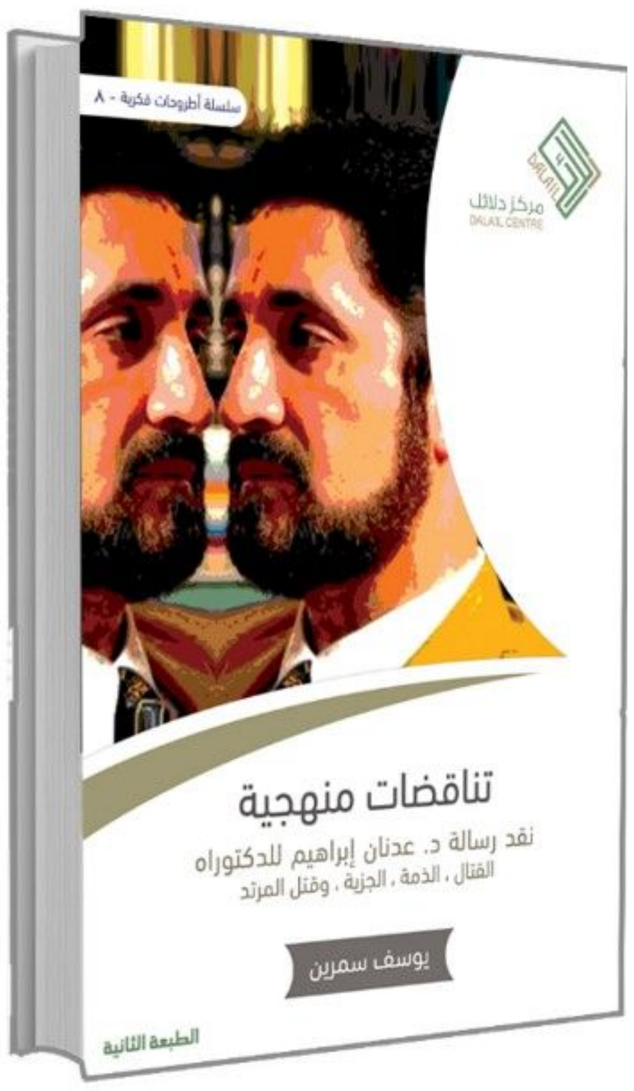

لماذا نحن هنا ؟

تساؤلات الشباب حول الوجود والشر والعلم والتطور.

إسماعيل عرفة.

في هذا الكتاب نستعرض معاً أشهر الأسئلة الوجودية في حياة البشر، حيث يتجول بنا الكاتب بين أجوبة تلك الأسئلة لنصل في النهاية إلى السبب الحقيقي للوجود، متناولاً في أطروحته الإجابة عن أسئلة الحِكمة والقضاء والقدر ووجود الشر والابتلاء، وكذلك القول بتطور الكائنات الحية وتطور الإنسان (أو وجود بشر قبل آدم عليه السلام)، موضحًا أسباب تفرد الدين الإسلامي عن باقي الأديان، تاركاً الحكم النهائي للقارئ الكريم الذي يبحث عن الحق. الكتاب من سلسلة (**أطروحات فكرية**) ويقع في ٢٥٩ صفحة من القطع الكبير ١٧ × ٢٤ سم. صدر الكتاب في معرض الرياض الدولي للكتاب ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م.

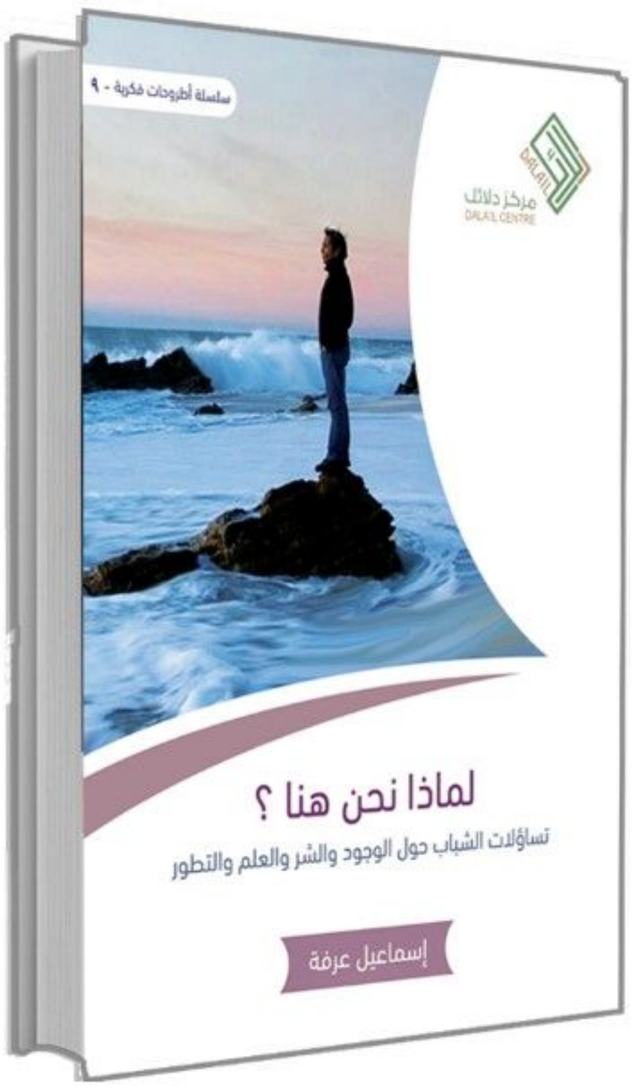

كيف تحاور ملحداً ؟

دليلك المنهجي لمهارات الحوار.

أمين بن عبدالهادي خربوعي.

في هذا الكتاب يقدم لنا الأستاذ أمين خربوعي منهجية في التعامل الحواري مع الملحدين، وذلك بالنظر إلى أنواعهم النفسية، وكذلك إلى أشهر الحجج المنطقية أو المغالطات التي تكثر في مثل تلك الحوارات، مبيناً المفاهيم والمنهجية والحيل التي يمارسها بعضهم. وهو إذ يفعل ذلك فينطلق من تجاربه الشخصية لسنوات في حوارات الملحدين والمتشككين، وكذلك من قراءاته واطلاعه الواسع على آراء وتحليلات الكتاب المختصين في هذا المجال العربية والأجنبية. الكتاب من سلسلة (**أطروحات فكرية**) ويقع في ١٠٩ صفحة من القطع الصغير ١٤ × ٢١ سم. صدر الكتاب في معرض الرياض الدولي للكتاب ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م.

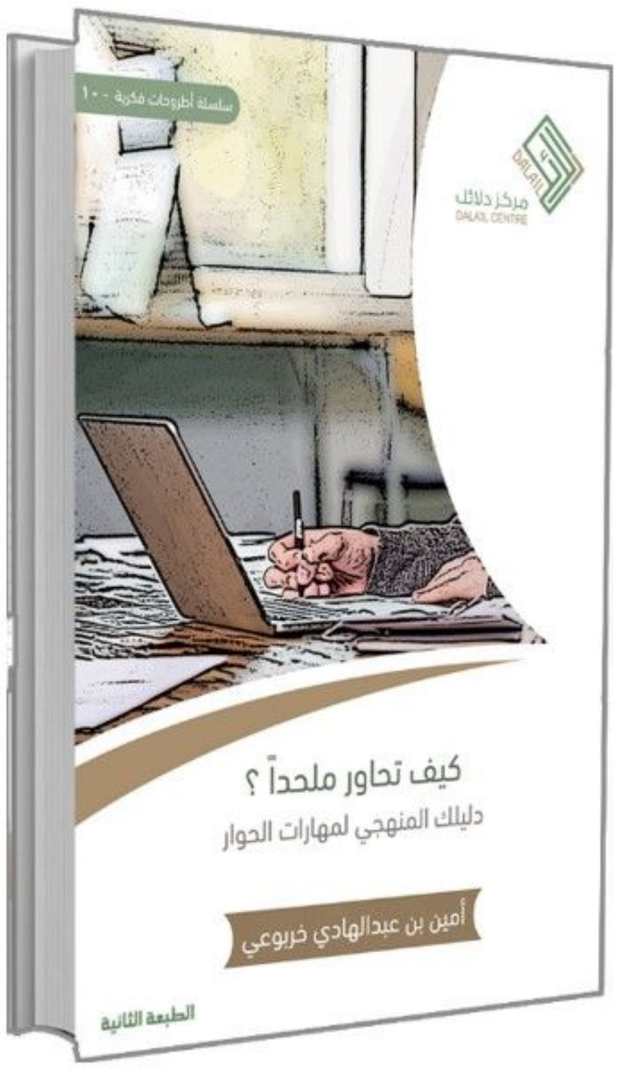

الصُنع المُتقن

دلالات الفيزياء على وجود الخالق.

مصطفى نصر قديح.

في هـذا الكتـاب يتنـاول الباحـث الفيزيائي : مصطفى نصر قديح، أهم المسائل الفيزيائية والتـي لهـا تعلـق مباشر بقضية الخلق ووجود الخالق، حيـث ظهـر للعلـماء كثـير مـن العلاقات الفيزيائيـة والكونيـة التـي تؤكد استحالة نشوء الكـون والحيـاة بالصـدفة والعشـوائية. والتـي تمثـل الآيات الدالة على أن هذا الخلق هو من صنع الله المتقن.

جـدير بالـذكر أن الباحـث مصـطفى نصر قديح هو الفائز بمحاكاة جـائزة نوبـل المصـرية الموسـم السـابع في الفيزياء عام ٢٠١٥م.

الكتـاب مـن سلسـلة (**أطروحـات فكريـة**) ويقـع في ٣٥٨ صـفحة مـن القطع الكبير ١٧ × ٢٤ سم.

صـدر الكتـاب في معـرض الريـاض الدولي للكتاب ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م.

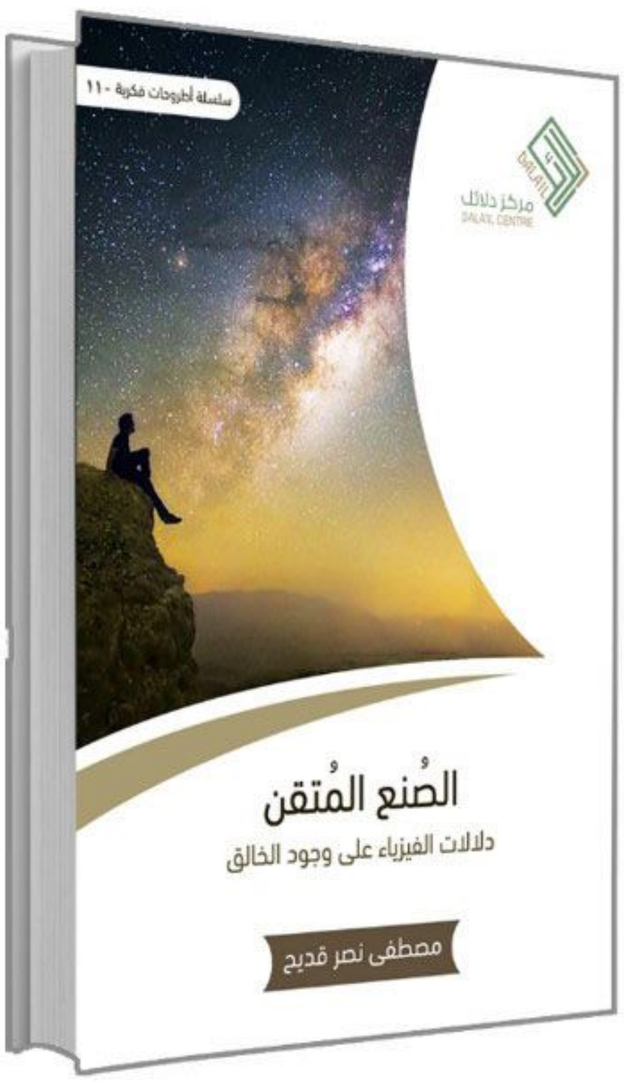

الدهرية

عقبة في المفهوم والآثار.

نادر بن عبدالعزيز العبد الكريم.

ترجمة : **مركز دلائل.**

في هذا الكتاب يتحدث الأستاذ نـادر بن عبـد العزيـز العبـد الكـريم عـن مفهـوم الدهريـة، ومجالـه الـدلالي، ويتتبـع أفكـاره (خاصـة عنـد مَـن وصـفوا أنفسـهم بـالطبيعيين أو النيتشـريين مـن كلمـة نيتشـر Nature أي الطبيعـة)، وكـذلك علاقتـه بـبعض المفـاهيم الحديثـة والاتجاهـات الفكريـة المعـاصرة، وموضحًا الآثار الفكرية والعملية لـه بمنهجية نقدية. إذ يتضـح في النهايـة أن عقيدة الإيمـان بالمـادة والطبيعـة واحد وإن اختلفت المصطلحات عـبر الزمن. الكتاب من سلسلة (**الرسـائل العلمية**) ويقـع في ١٨٥ صـفحة مـن القطع الكبـير ١٧ × ٢٤ سـم. صـدر الكتـاب في معـرض الريـاض الـدولي للكتاب ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م.

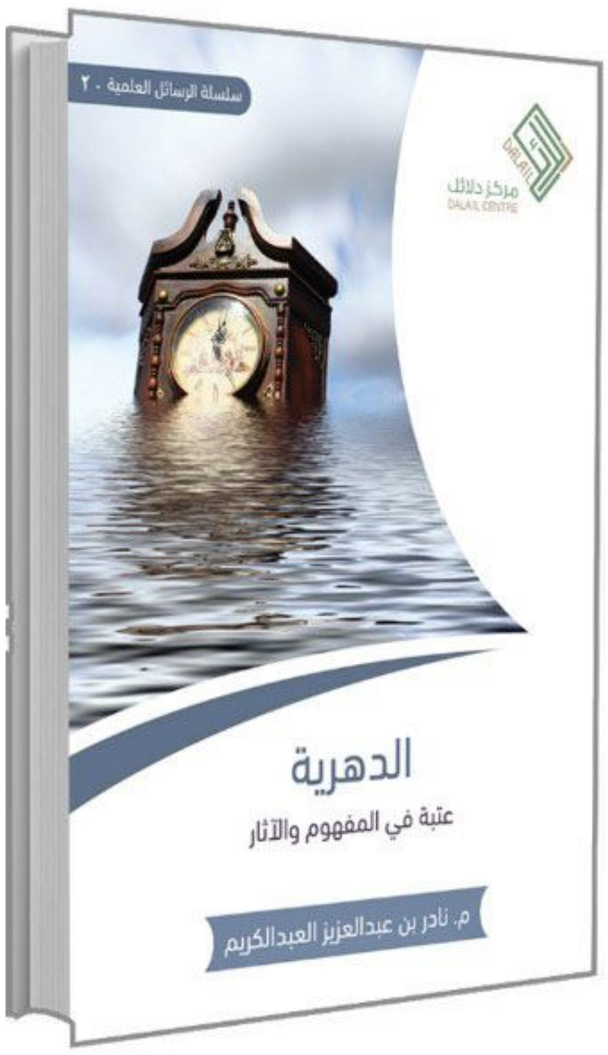

منهج القرآن الكريم

في دحض شبهات الملحدين.

أفنان بنت حمد بن محمد الغماس.

في هـذا الكتـاب تتنـاول الأسـتاذة أفنان الغماس سؤالاً كثيراً مـا يتبـادر إلى أذهان الشباب والمسـلمين اليـوم وهـو : هـل تعـرض القـرآن الكـريم لبعض شـبهات الإلحـاد ؟ مـاذا كـان منهجـه في الـرد عليهـا ؟ وإذا كـان الإلحاد لفظ عام يشمل كل ميل عن المـنهج الحـق والـدين، فكيـف تـم تنـاول مختلـف صـوره في القـرآن ؟ خصوصاً ذلك الإلحاد المتعلق بإنكـار وجـود الخـالق عـز وجـل ومزاعمـه النافية لوجود أدلة عقلية أو كونية عليـه سـبحانه. وعـلى ذلـك يتنـوع الطرح لاستعراض لمحات من القرآن.

الكتـاب مـن سلسـلة (**الرسـائل العلمية**) ويقـع في ٢٨٦ صـفحة مـن القطع الكبير ١٧ × ٢٤ سم.

صـدر الكتـاب في معـرض الريـاض الدولي للكتاب ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م.

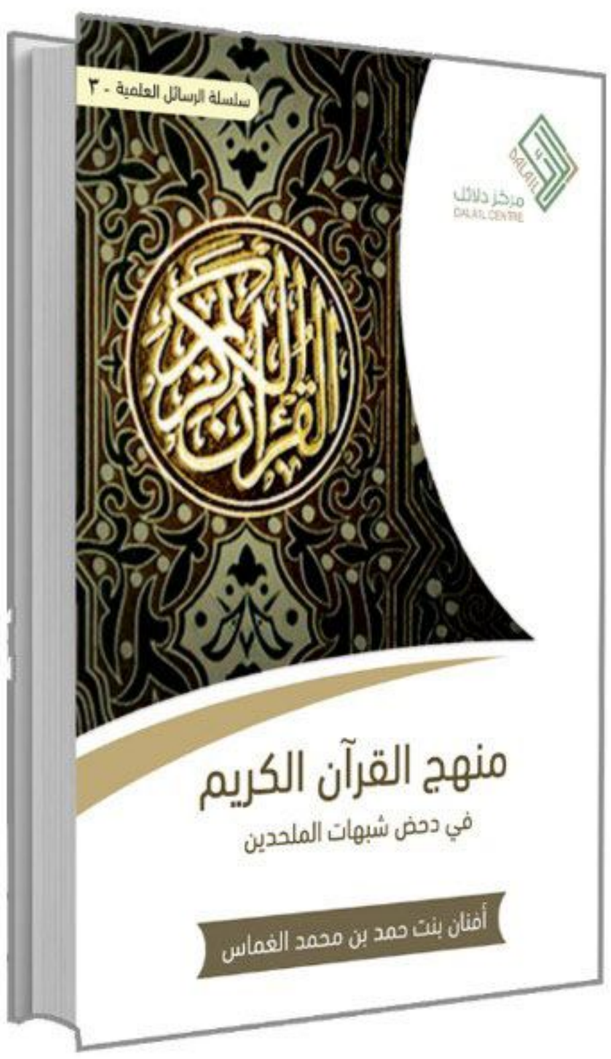

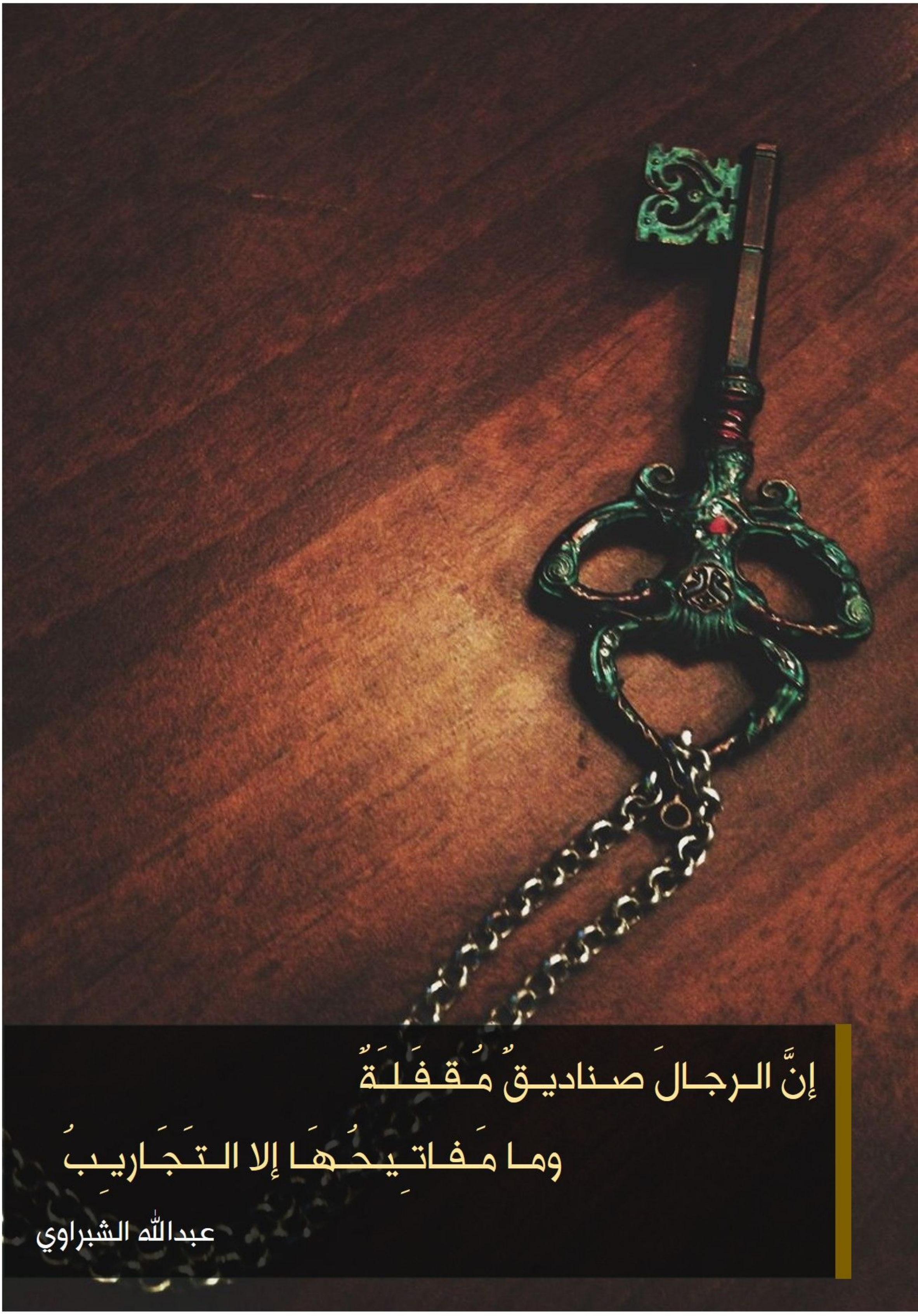

إنَّ الـرجـالَ صـنـاديـقٌ مُـقـفَـلَـةٌ

ومـا مَـفـاتـِيـحُـهَـا إلا الـتـَجَـاريـبُ

عبدالله الشبراوي

مقابلة العدد :

الداعية البريطاني من أصل يوناني :

حمزة أندرياس تزورتزس

في كل عدد نستعرض معكم مقابلة مباشرة أو بالمراسلة في صورة أسئلة وإجابات مع إحدى الشخصيات المميزة عالمياً أو عربياً، وذلك للاستفادة من خبراتها ومن مشوارها الحافل بالآراء والتوجهات التي يجدر بمثقفينا الاطلاع عليها اليوم.

يعد حمزة أندرياس تزورتزس Hamza Andreas Tzortzis أحد أشهر المحاضرين والمناظرين الشباب في بريطانيا اليوم، حيث له مجهودات دعوية ملموسة سواء في اللقاءات أو البرامج المصورة التي يشارك فيها أو يقوم بها، وقد خاض أكثر من مناظرة مع بعض مشاهير الإلحاد واللادينية مثل لورانس كراوس وبيتر سايمونز وإيان برايز وريك لويز وغيرهم، وقد صدر له أول كتاب في ديسمبر ٢٠١٦م باسم : (الحقيقة الإلهية : الله.. الإسلام.. وسراب الإلحاد)، وهو ما ترجمه مركز دلائل ونشره في مارس ٢٠١٧م ولاقى قبولاً، أيضاً يشارك حمزة تزورتزس في أكاديمية التعليم والبحث الإسلامي iERA.

إعداد وترجمة : م. أحمد حسن – أ. خالد الشايع

نبذة عنه

ولـد الداعيـة البريطـاني **حمـزة أندرياس تزورتـزس** في مدينـة لنـدن عـام ١٩٨٠م، لأبـوين يونـانيين قـد هاجرا إليها هرباً من تردي الأحـوال هنـاك، ورغـم أن **حمـزة** كـان الابـن الثاني من بين ثلاثة أبناء، إلا أنه تـأثر بالأوقات التي كان يرى فيهـا والـده منكبـاً عـلى الكتـب يقـرأ في المجـال الفكري عن معنى الوجـود والحيـاة لاضطراب ما يراه من أحـوال الـدنيا التي تبعث على التأمل.

لكن هذه الفترة المبكرة من التفكـير لدى **حمزة** أسفرت عـن إصـابته بمـا يعرف بـ (**الإيمان بالذات**) أو (**وحدة الأنـا**) Solipsis وهـي أن يعتقـد الشخص أنه لا يعي أحد بوجوده إلا نفسـه فقـط وعقلـه، وأن الآخـرين ليسوا كذلك.

ومن هنـا بـدأ اهتمامـه يتزايـد مـع الوقـت بـأمور الوجـود مثـل والـده، وصار كثير البحث عن الإجابـات وفي المعتقدات التي يحتك بها في حياتـه وشبابه، وبالفعل كان في تلـك الفـترة قد تعرف عـلى الإسـلام وخاصـة أنـه قابـل أحـد زملائـه المسـلمين الـذي اشتهر عنه أنه لا يحادث الفتيـات أو الشابات مثلما يفعل معظم الشـباب في ذلك الوقت، لكـن الحـدث البـارز في تلـك السـنوات مـن حيـاة **حمـزة** كـان بعـد تخرجـه بقليـل في مجـال إدارة المشـاريع والتـدريب، حيـث حضـر في إحدى المـرات حفـلاً لـرأس السنة على أحد القوارب، فرأى **شـابة مسـلمة** معهـم، فأخـذ منهـا الخمـر بلطف وأبدلها بعصير وقال لهـا أنهـا كمسـلمة **لـيس مـن المفـترض أن تتواجد في هذا المكان !**

وبالفعل صار بينهما تعارف وتواصل، وكان يتبادل معها إرسال بعض المواد الدينية والإسلامية، فقد كـان يعـرف أنها تتصـرف مثـل هـذه التصـرفات نتيجة فقـدانها المحبـة والاهـتمام في بيتها المسلم، ثـم انقطعـت أخبارهـا عنـه وضـاعت معلومـات التواصـل بينهما، لتتصل به بعد شهور وتخـبره أنها الآن صارت **أكثر التزاماً بالإسـلام** وقد ارتـدت **الحجـاب** كـذلك، ففـرح لها كثيراً، لكن الأمر ترك في قلبـه ألمـاً خفياً، حيث كان يشـعر بأنـه تنقصـه مثل تلك الخطـوة نحـو **الحـق** الـذي يبحث عنـه، وبالفعـل كـان في هـذه الفترة يحضر **الصلاة** مـع المسـلمين في أحد مساجد بريطانيا، حتى مع عدم التزامـه أحيانـاً بلبـاس مناسـب، مـما كان يعرضـه لانتقـادات الإمـام وهـو يظن أنه مسلم !

ثم شاء الله أن يتواصـل معـه زميلـه الـــذي لا يتحـــدث مـــع الفتيـــات والشـابات بقصـد معاونتـه في إدارة أحد أفكاره، ثم بدأ الحديث يتطـرق إلى **الإسـلام** مـرة أخـرى، وفي إحـدى الليالي تحدث هذا الزميل عن الموت، ووفقه الله في ذلك الوقت أن يـتكلم عنه بالصورة التي يسـتيقظ منهـا أي **عاقـل** عـلى حقيقـة الحيـاة التـي سنفقدها فجأة في لحظة ما.

وليلتها (٤ أكتوبر ٢٠٠٢م) لم يستطع **حمـزة** النـوم بسـهولة، إلى أن قـرر **إعلان إسلامه** في المسـجد المركـزي في اليوم التالي مباشرة، ولله الحمد.

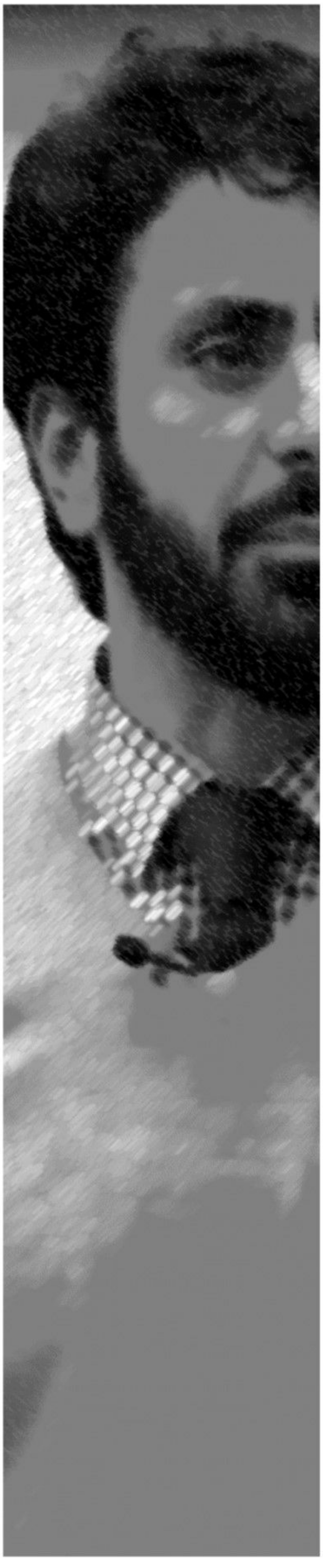

الأسئلة

السؤال الأول :

بالنظر إلى تعاملك ولا زلت مع أكثر من توجه عقدي ومذهبي : ما أكثر الأشياء تميزاً في الإسلام في نظر الداخلين الجدد فيه أو مَن لم يولدوا فيه ؟

الإجابة :

الشيء الأكثر تميزاً للتعلم عند المسلمين الجدد وغير المولودين فيه هو : مَن يكون الله ؟ وكذلك قواعد معرفة حقيقة : مَن يكون الله ؟ إذ بمجرد أن يدرك الشخص حقيقة وجود الله وأنه المستحق لمحبتنا وطاعتنا وعبادتنا، فتصبح كل الأمور الأخرى تالية لذلك، لأن كل المسائل والتساؤلات الأخرى تجيب عنها معرفة توحيد الله وأسمائه وصفاته.

السؤال الثاني :

ما هي أكثر العوائق التي تواجه الداخلين في الإسلام في أوروبا عموماً وإنجلترا خصوصاً، سواء قبل أن يعلنوا الشهادتين أو بعدها ؟

الإجابة :

أكثر الأشياء التي تواجه الداخلين في الإسلام - بوجه عام - هي التوفيق بين شعائر وعقائد الإسلام وبين حياتهم العادية اليومية، ويمكن التغلب على ذلك التحدي بجعل الشخص يدرك أنه عن طريق صلته بالله وطلب معونته ؛ فإن هذه المسائل سوف يتم حلها... أيضاً يكون عليهم إدراك أن الابتلاء هو جزء من حياتنا، وأن الله إذا أحب أحداً ابتلاه، وأننا يجب أن نبحث عن طرق للتعامل مع هذه الابتلاءات بالصبر وبأسلوب إيجابي جيد، وفي النهاية يجب أن يستوعبوا أن الإسلام يمكنه التلاؤم مع المجتمع، وأن المسلم شخص متعاطف ومحبوب وإيجابي ؛ ويمكنه صنع فارق وتحول إيجابي في حياة أي شخص مسلم أو غير مسلم.

السؤال الثالث :

ما تقييمك لنجاح العمل الدعوي المؤسسي في أوروبا وتحقيق نسبة من الأهداف الموضوعة له ؟

الإجابة :

أنا أؤمن بأنه بدأ للتو ! يجب علينا التعلم من أخطائنا، أن نحافظ على تواضعنا وإخلاصنا والحفاظ على شفافيتنا، لقد فعلنا الكثير كعمل جماعي، لكننا بحاجة حقيقية إلى التفكير بقوة لإيقاظ فطرة الناس والعمل أكثر على قلوبهم، أحياناً لا نزال ملتصقين بالانشغال بالألاعيب الفكرية، نحن لا زلنا في حاجة إلى منظمات دعوية مهتمة بالقضية، إننا في حاجة إلى المزيد من الموارد، والمزيد من الدعوة لمشاركة الإسلام مع العالم بحماس وذكاء.

السؤال الرابع :

تكاد تتفق الآراء على أن الإلحاد الجديد فارغ من أي طرح عقلي أو إيجابي وإنما يكاد يركز على نقطتي ضعف رئيسيتين، الأولى : جهل أكثر الشباب المسلم بدينه اليوم في ظل

انتشار وسائل التواصل والقنوات التي تبث مختلف الشبهات، والثانية : ردود الفعل النفسية إزاء واقع بعض البلاد الإسلامية، مما يغري في النهاية بالانطلاق من قيود الدين إلى حياة التفلت والشهوات، والسؤال : إلى أي مدى ترى أوجه معالجة نقاط الضعف هذه ؟

الإجابة :

الإلحاد غير عقلاني وغير طبيعي. نحن بحاجة إلى استخدام وسائل التواصل الاجتماعي وكل إعلام ممكن لتبليغ الدعوة بذكاء وتعاطف. هناك أمران رئيسيان نحتاج إلى التركيز عليهما : ١- إظهار كيف أن الآثار والأسس الفلسفية للإلحاد غير متماسكة وغير متناسقة. ٢- إظهار أن البشر في حاجة تامة إلى الله. فأغلب الإلحاد يعود إلى شعور خادع بالاكتفاء الذاتي. وهذا يضخم (الأنا)، وبالتالي يمنع الناس من الاتصال بالله.

السؤال الخامس :

من النقاط التي كانت جديرة بالتوقف عندها في كتابك (الحقيقة الإلهية) هي ذكرك للأخطاء التي مررت بها في مشوارك الدعوي إلى اليوم : وأنك تذكرها لتتعلم منها، هل يمكنك أن تذكر للدعاة الجدد ذوي الحماسة والرغبة الجادة في العمل للإسلام : ما يمكنهم تجنبه في أول هذا المشوار ؟

الإجابة :

كن مخلصاً. كن مخلصاً. كن مخلصاً. واجتهد في السعي للمعرفة الأصيلة من أولئك الذين هم أكثر خبرة وتعلماً. كن متواضعاً وصبوراً.

السؤال السادس :

عادة ما تترك الكتب الدعوية أثراً طيباً في قلوب الناس ومَن يقرأها، هل لديك واقعة خاصة بك تحب أن تشاركنا إياها ؟

الإجابة :

ترجمات كتب (إحياء علوم الدين) للغزالي عميقة. الكتاب رقم ٣٦ منها مدهش، وكذلك كتابه عن آفة الشهوتين. أيضاً شروحات العقيدة الطحاوية ثاقبة وتحتوي على الكثير من التعمق. يجب عدم قراءة هذه الكتب فقط. بل يجب دراستها. الكتب عن تنقية القلب أيضاً مؤثرة.

السؤال السابع :

ما هي رؤيتك المستقبلية القريبة للوضع العالمي مع الإلحاد الجديد ؟ هل نستطيع القول أنه في تزايد ؟ أم يمكننا القول أنه أخذ وضعه كموجة في السنوات الماضية لها قمتها وهو الآن إلى ضعف، وخاصة مع انتشار الوعي بالردود عليه وبيان نقاط ضعفه ؟

الإجابة :

أعتقد أن الإلحاد الجديد قد مات. فكلما ازداد عدد المسلمين واللاهوتيين الذين يُظهرون لاعقلانيته وعدم ترابطه وعدم اتساقه ؛ كلما زاد تغييره للطريقة التي يُظهر بها نفسه. فسوف يكون أقل عدوانية فلسفياً، وسوف يركز أكثر على مظهره السياسي : العلمانية.

السؤال الثامن :

من المزايا التي نتسم بها كبشر هي العواطف التي يحار الملاحدة في تفسيرها مادياً ويخترعون لها التبريرات، هل يمكنك أن تذكر لنا موقفاً أو أكثر كانوا الأكثر تأثيراً عليك في حياتك من الناحية العاطفية ؟

الإجابة :

الشعور بالوحدة... فعندما كنت في الحادية عشرة، كنت أذهب إلى دورة المياه وأجلس في حوض الاستحمام لفترة من الوقت، وكنت أبكي. وأشعر بالوحدة الكبيرة. ما كنت مصاباً به وقتها هو الشعور بأني الوحيد الذي يدرك وجودي ! أنا فقط المُدرك كيف أكون أنا ! كنت وحيداً في دورة المياه أو وأنا ألعب مع أصدقائي في الحديقة، وقد خلق ذلك لدي شكوكاً حول وجود حياة واعية لدى الآخرين. هل كانوا واعين حقاً ؟ هل لهم وجود على أرض الواقع فعلاً ؟ بماذا يشعرون ؟ ما تجربة الوعي لديهم عندما لا أكون حاضراً معهم لأراهم ؟

ثم في حياتي بعد ذلك، علمت أن هذا كان شكل من أشكال الإيمان بالذات Solipsism، وهو ألا تؤمن بوجود أي شيء حقيقي إلا عقلك فقط. ومع ذلك، كانت تجربة تلك الوحدة عميقة بالنسبة لي، والتي أعتقد أنها كانت القوة الدافعة العاطفية عندي للعثور على إجابات على أسئلة مهمة جداً في حياتي. هذه التجربة غرست داخلي أن مفهوم الحقيقة مهم جداً. وفي أثناء بحثي عن تلك الحقيقة، كنت أختلط

بأصدقائي وأوجه لهم أسئلة حول معتقداتهم. كنت محظوظاً جداً بامتلاكي علاقات مع أشخاص من مختلف القوميات والثقافات. كان ذلك أحد مزايا نشأتي في حي هاكني بلندن.

شعرت أنه بدون معرفة الحقيقة، تبدو الحياة غير واقعية ووهمية. وقد اعترف العديد من علماء النفس بأن البشر يريدوا أن يكونوا على الحق وأنهم يسعون للتعلم من المعايير الاجتماعية عندما يكونوا غير متأكدين من الأشياء. ومن هذا المنظور فإن البحث عن الحقيقة مهم جداً ؛ لأنه يتيح لنا إمكانية تشكيل مَن نحن أو مَن الشخص الذي نريد أن نكون.

شعرت أن عدم البحث عن الحقيقة هو بمثابة الكذب على نفسي، أو بمثابة قبول إحدى الأكاذيب. ولذلك، فإن البحث عن الحقيقة كان وسيلة لمحاولة أن أكون أكثر صدقاً مع وجودي، أن أسعى إلى الخروج بحقيقة هذه الحياة ومكاني داخلها. وبالنسبة لي، فإن التمسك بالرأي المتشكك في وجود الحقيقة والذي يؤكد أنه لا توجد حقيقة، هو رأي يهدم نفسه بنفسه، وذلك لأن القول بعدم وجود الحقيقة هو نفسه ادعاء، فكيف يمكن الزعم بأن التشكيك هو الصحيح في حين كل شيء آخر ليس كذلك ؟ هذا هو عدم اتساق وجهة النظر المتشككة. فإن المتشككين يزعمون صحة (حقيقة) الشك، ولكنهم ينكرون كل (الحقائق) الأخرى. ونتيجة لذلك، لا يهم الموقف الذي أتمسك به، فإنه لا زال عليّ قبول الحقيقة.

السؤال التاسع :

وبشكل موازي للسؤال السابق : هل يمكنك أن تذكر لنا نقطة ظهرت لك عقلياً أو علمياً أو فلسفياً أضاءت لك الطريق بحيث ما قبلها اختلف عما بعدها في حياتك أو مشوارك ؟

الإجابة :

قرأت مقالاً لأحد المسلمين أعاد فيه التأكيد على وجود الله. وكانت حُجته هي حُجة الحدوث أو الافتقار. والتي تجادل بصورة أساسية في وجود الحاجة إلى الله. وفي نفس المقال قرأت لأول مرة الحُجة التاريخية على كيف يستحيل أن يكون القرآن من تأليف شخص عربي أو غير عربي، أو محمد نفسه صلى الله عليه وسلم، وأنه يجب أن يكون من عند الله، وقد فصّلت في هاتين الحُجتين في كتابي.

السؤال العاشر :

وأخيرا : ما الشيء الذي تود فعله ولكن يحول بينك وبينه ضيق الوقت ؟ أو غياب الدعم المادي ؟

الإجابة :

أن أبدأ في الدكتوراه. وأن أوزع الطبعة الثانية من كتابي مجاناً إلى العالم (ابتسامة).

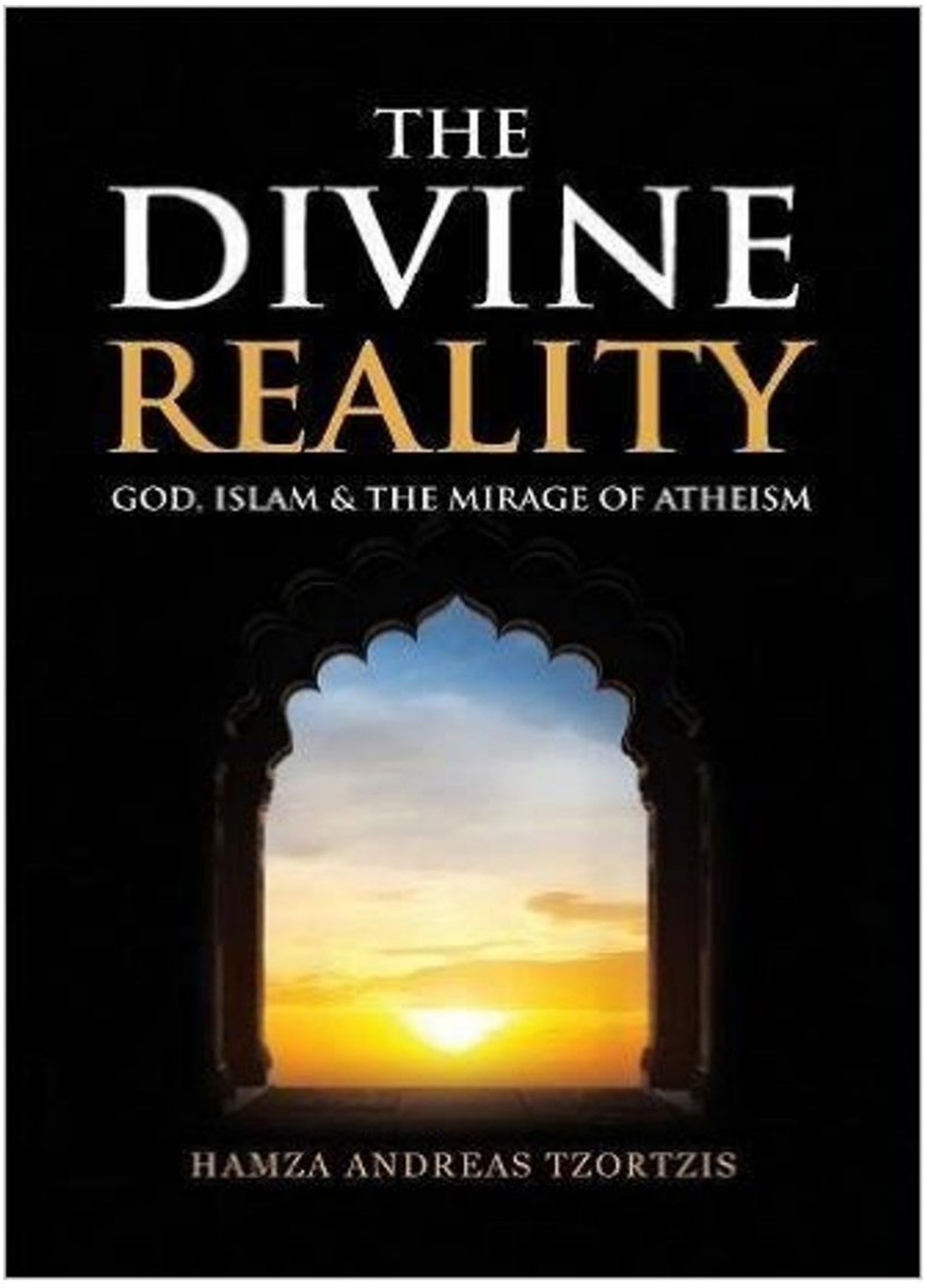

كتب مختارة

توزن الثقافة بقدر ما تقرأ وتستوعب.

١- مَن الذي حـرك قطعـة الجبن الخاصة بي ؟

Who Moved My Cheese?

صـدر الكتـاب عـام ١٩٩٨م ليأخـذ مكانته الكبيرة وسط أفضـل الكتـب مبيعـاً في مجـال **تغيـير الـذات** إلى الأفضـــل ومواجهـــة **المشـــاكل والتغييرات الدائمـة** في الحيـاة، وقـد أبدع مؤلفـه د. **سبينسـر جونسـون** Spencer Johnson في عــرض فكرتــه الجوهريــة في صــورة **قصــة خيالية** بسيطة وطريفة.

قـام بتشـبيه أحـوال البشـــر أمـام تغـيرات الحيـاة بـأربع شخصـيات خيالية : الفـأرين **سـكوري** و**سـنيف** (كناية عن حب الجبن وقـوة حاسـة الشم)، والرجلين القزمين **هيم** و**هاو** في حجم الفأرين، حيث كان يتوجـه الأربعة يومياً عـبر **متاهـة كبـيرة** إلى المكان (**C**) الـذي فيـه قطـع الجـبن، (كـان يصـل الفـأران معـاً والـرجلان معـاً)، وبـذلك ترمـز قطـع الجـبن في القصــة إلى **أي شيء مهــم في حيــاة الإنسان** (مثل الوظيفة، المال، الأسرة، الصحة، علاقة معينة وهكذا)...

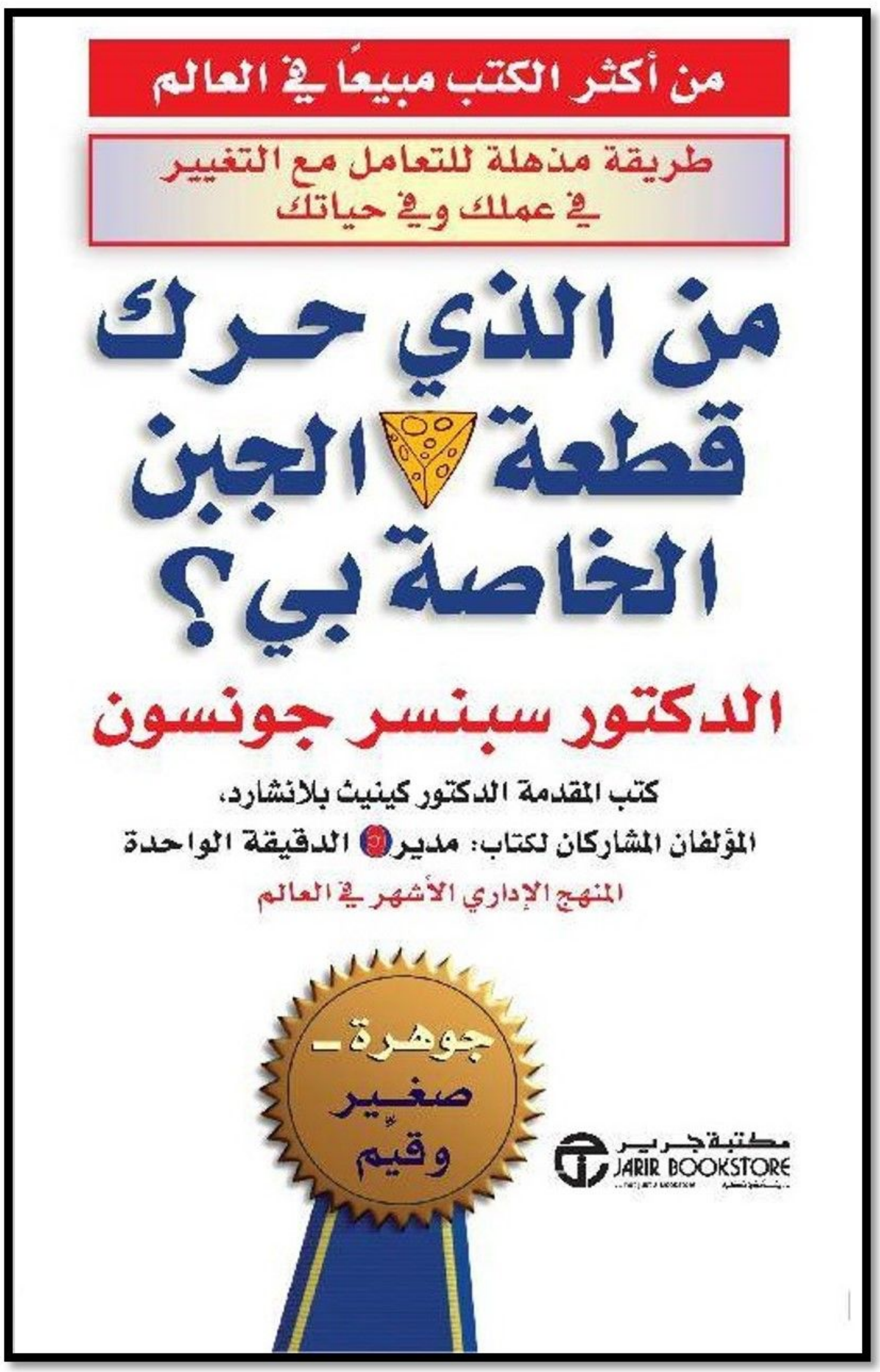

لكن في أحد الأيام عندما يصل **هيم** و**هاو** إلى المكان لا يجدان أي قطع جبن موجودة، لقد نفدت تماماً، أما الفأران **سكوري** و**سنيف** فكانا على **استعداد سابق** لهذه اللحظة، حيث كانا يلاحظان دوماً تناقص الجبن، ولذلك ما إن نفد حتى توجها للبحث عن **مكان جديد** له داخل تلك المتاهة الكبيرة.

أما **هيم** و**هاو** فكانا على العكس، **غير مستعدين لهذا التغيير** الذي حصل، لا قبله بالانتباه له، ولا بعده في التعامل الأمثل معه، فجلسا ينتظران أن يمتلئ المكان (**C**) بالجبن من جديد حتى تعود الأمور كما كانت، وأخذ **هيم** يبحث داخل المكان الفارغ ولكن بلا جدوى، وهنا رأى **هاو** أن الجلوس لن يفيد ولن يغير شيئاً، فقرر الخروج للبحث عن مكان آخر للجبن داخل المتاهة، لكنه لم يجد من **هيم** إلا كل تثبيط وتخويف من المتاهة للأسف.

وبالفعل ترك **هاو** صديقه ليبحث بمفرده في المتاهة، في الوقت الذي كان فيه الفأران بالفعل وصلا إلى المكان (**N**) المليء بالجبن.

تعرض **هاو** لبعض المشاكل أثناء بحثه في طرق جديدة في المتاهة، ولذلك قرر أن يكتب على حوائط المتاهة **كل درس جديد يمر به أو يتذكره** لكي يستفيد منه أو يستفيد به غيره فيما بعد، إلى أن وصل إلى المكان (**I**) لكنه لم يجد فيه إلا بقايا قليلة جداً من الجبن، فأدرك أنه **لو لم يتردد كثيراً ويضيع الوقت** لكان وصل باكراً ووجد ما يكفيه، أخذ **هاو** بقايا الجبن إلى **هيم** ليؤكد له أن البحث في المتاهة مجدي بدلاً من الجلوس لانتظار الأمور ترجع لما كانت عليه، لكنه لم يجد من **هيم** إلا كل تخاذل مرة أخرى.

فعاد **هاو** إلى بحثه من جديد إلى أن وصل أخيراً إلى المكان (**N**) المليء بقطع الجبن التي تكفيه. وقابل هناك الفأرين **سكوري** و**سنيف**، واستمتع الثلاثة بمخزونهم الجديد بعد أن وعى **هاو** الدرس، وصار يراقب باستمرار تناقص الجبن لكي يكون **على استعداد دوماً للتغيير**.

ويمكن تلخيص دروس **هاو** المستفادة من هذه التجربة في الآتي :

أولاً : التغيير يحدث، وقطع الجبن في حياتنا ستتحرك باستمرار.

ثانياً : توقع التغيير، لكي تكون على استعداد عند تحرك قطع الجبن.

ثالثاً : راقب التغيير، تماماً كاستخدام حاسة الشم باستمرار لمعرفة متى ستفسد قطع الجبن أو تصير قديمة.

رابعاً : تكيف سريعاً مع التغيير، كن على استعداد دائم لترك مكان الجبن القديم لكي تستطيع الاستمتاع لأكثر وقت ممكن بالجبن الجديد.

خامساً : قم بالتغيير وتحرك مع تحرك الجبن (أو الأهداف) في حياتك.

سادساً : استمتع بالتغيير، بطعم الوصول إلى مكان الجبن الجديد.

وبذلك لم يكتف **هاو** فقط بالبقاء في المكان (**N**) الجديد حتى مع احتياطاته التي تعلمها من تجربته السابقة، بل صار **يخرج من مكانه كل فترة وأخرى** ليستكشف التغيرات التي تحدث أو قد تحدث من حوله. وهكذا يكون في أمان مع أي تغيير، ويستطيع بكل كفاءة **مسايرته والتكيف معه**، فهل سيتحرك **هيم** يوماً مسترشداً بما كتبه **هاو** ؟

٢- معاملة البشرية كقرود : نيرومانيا – الداروينيون وإساءة تمثيل الإنسانية

Aping Mankind : Neuromania, Darwinitis and the Misrepresentation of Humanity

صدرت الطبعة الأولى من الكتاب عام ٢٠١١م، ويتناول فيه مؤلفه الدكتور **رايموند طاليس** Raymond Tallis موضوعاً مهماً في العصر الحديث وخاصة مع **التدخل الرهيب** للداروينية **وحشر أنف** المادية التطورية في **كل علوم الحياة تقريباً** ومنها محاولة تفسير **الوعي الإنساني** وما يميز البشر من **عقل مبدع** في صورة التفاعلات الكيميائية والإشارات الكهربية التي في الدماغ والأعصاب فقط !

والدكتور **رايموند** يتحدث هنا من واقع خبرته ودراسته وتخصصاته الكثيرة في الطب والفلسفة والأعصاب وكونه ناقد أدبي وشاعر أيضاً.

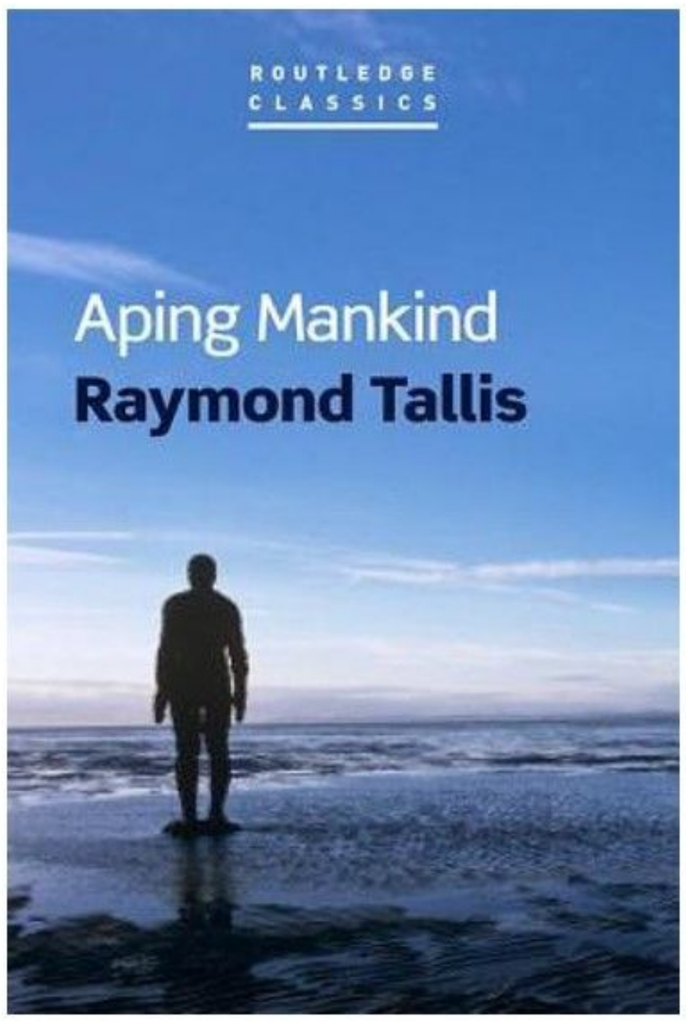

ففي العقود الأخيرة ظهرت محاولات مستميتة لتفسير الوعي الإنساني أو البشري في صورة **استجابات آلية** أو **ميكانيكية** (حتى أن بعض الملحدين خلع عنها **حرية الإرادة** المميزة للبشر)، فصدرت بذلك عشرات المزاعم من بعض علماء علم الأعصاب في ضوء التطور الداروينى للإنسان (أي أن الإنسان حسب زعمهم تطور من أصل حيواني شبيه بالقرود).

وهنا يأتي دور النقد الدقيق من دكتور **رايموند** لهذه الادعاءات التي تصب في إمكانية تفسير كل ما يصدر عن الوعي الإنساني في صورة **مصطلحات عصبية** و**توصيف مادي**، وهو ما أسماه بالجانب المظلم من علم الأعصاب أو **نيرومانيا** Neuromania، والذي نتج عنه تخصصات (**زائفة**) في علم الأعصاب تزعم لا نمثل إلا أدمغتنا (**اللمحة الجبرية عند الملحدين والماديين**)، بما في ذلك محاولة تفسير الفن والدين وحتى الإجرام **بالإشارات العصبية فقط**، مستبعدين في ذلك الحس الاختياري والإبداعي عند الإنسان.

كذلك يتولى الدكتور **رايموند** إبراز معنى (البشر) **وتميزهم** عن أقرب الحيوانات إليهم حسب الفكر الداروينى والتطوري (**مثل الشيمبانزي**)، وكيف أنه من قمة **الإهانة العلمية** محاولة التقليل من قدرة البشر لكي توافق هذه الرؤى المادية في رؤية الإنسان كحيوان !

جدير بالذكر أن للدكتور **رايموند طاليس** مجموعة كتب أخرى في نفس الاتجاه والتخصص العصبي والتأكيد على التميز البشري.

٣- المحاضرة الأخيرة

The Last Lecture

هناك فكرة جذابة جداً لدى **مؤلفي القصص والمفكرين** وهي : افتراض أن البطل يفاجأ بأنه مصاب **بمرض قاتل** ولم يتبق من حياته إلا **أشهر معدودات**، وحينها ينطلق كل منهم في خياله ليضع النصائح والإرشادات الجدير صدورها من شخص **يودع الحياة** إلى مَن يعيشون فيها.

لكن في هذا الكتاب الأمر مختلف، إذ لدينا **حالة حقيقية** من ذلك بالفعل، إنه **راندي باوش** Randy Pausch أستاذ الحاسب الآلي بجامعة **كارنجي ميلون** بالولايات المتحدة الأمريكية، حيث أصيب **بسرطان قاتل**، وأخبره الأطباء أنه لم يبق له من عمره كإنسان له القدرة على التحرك والنشاط إلا **أشهر معدودات**، وبالفعل مات في عمر **٤٧ سنة** في ٢٥ يوليو ٢٠٠٨م، وبعد صدور هذا الكتاب له في ٨ إبريل.

وأما قصة الكتاب، فترجع إلى **تقليد رائع** في جامعة كارنجي ميلون (**يا ليتنا نرى مثله في بلادنا**) وهو إتاحة الفرصة أمام الدكاترة والأساتذة **المتقاعدين** أو الذين **تقدموا في العمر** (أو اقتربوا من الموت) ليقدموا (**محاضرتهم الأخيرة**)، حيث يضعون فيها **خلاصة تجاربهم في الحياة عموماً** (وليس في التدريس فقط أو مجال تخصصهم وعملهم بالضرورة)، وبالفعل تمت استضافة **راندي باوش** وهو في هذا السن قبل وفاته، ثم تم إصدار هذا الكتاب تفريغاً لما قاله في تلك المحاضرة القيمة التي استمرت قرابة الساعة.

الكتاب رائع ومميز ومُلهم، ومحاضرته متاحة على الإنترنت وقد ترجمها البعض إلى **اللغة العربية**، ويمكننا إجمال أهم ما قاله في الآتي :

١- اترك **لأولادك** الفرصة ليحلموا بعيداً عن القالب الذي قد ترسمه لهم، اترك لهم مساحة **للتجربة**.

٢- لا تفوت **الفرص** وكن **مبادراً**، فأنت لن تندم على **ما فعلت** في حياتك بقدر ما ستندم على **ما تركت**.

٣- **الفرص** تأتي وتنتظر أن تصافحها، فإن لم تنتبه لها فلن تترك يدها ممدودة طويلاً ! فانتبه...

٤- **إمكانياتنا** التي ولدنا بها وتأتينا في الحياة، هي مثل مَن يلعب لعبة الورق العادية، تأتيه أوراق **لم يختارها**، لكن المهارة أن يلعب بها **ويستخدمها** ولا ينشغل بورق غيره.

٥- **الناس أغلى من الأشياء**، قد يهتم الإنسان لجمع أشياء في الحياة، لكنه في طريقه لذلك قد يفقد الأشخاص الذين **ستبقى ذكراه معهم**.

٦- **ساعد غيرك** لتترك **أثراً أكبر من بعدك** كالشمعة التي أضاءت غيرها.

٧- **الفشل ليس عدواً لك**، الفشل يجبرك على إعادة البحث عن **النجاح** وعن **الطريق الصحيح**.

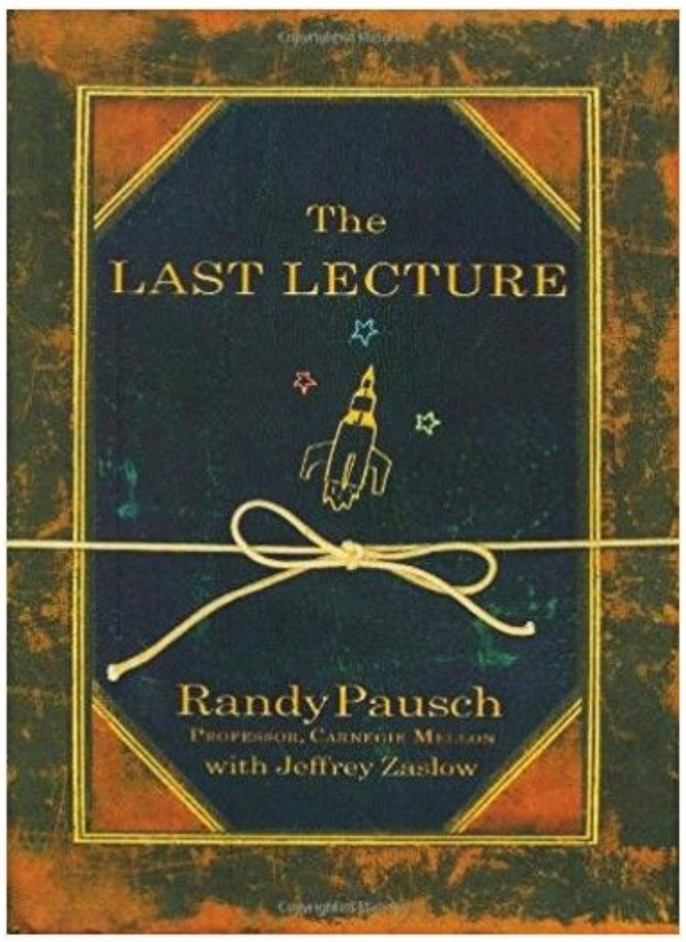

نفوس تعاظمت بالصفح والعفو !

وقع في زمن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن تعاون القضاة وبعض الشيوخ في مصر على تولية الملك بيبرس الحكم بدلا من السلطان محمد بن قلاون، وهم أنفسهم كانوا يكنون لشيخ الإسلام العداوة حتى أنهم كانوا المحرضين على قتله أو حبسه لمخالفته لهم، فلما دارت الأيام وعاد السلطان محمد بن قلاون إلى الحكم .. يقول ابن عبد الهادي في (العقود الدرية ص ٢٩٨-٢٩٩) :

" سمعت الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله يذكر أن السلطان لما جلسا بالشباك أخرج من جيبه فتاوى لبعض الحاضرين في قتله (أي قتل ابن تيمية) واستفتاه في قتل بعضهم (أي يريد فتوى من ابن تيمية لقتلهم) قال : ففهمت مقصوده، وأن عنده حنقا شديدا عليهم لما خلعوه وبايعوا الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير.

فشرعت في مدحهم والثناء عليهم وشكرهم، وأن هؤلاء لو ذهبوا لم تجد مثلهم في دولتك ؛ أما أنا : فهم في حل من حقي ومن جهتي. وسكنت ما عنده عليهم. قال : فكان القاضي زين الدين ابن مخلوف قاضي المالكية يقول بعد ذلك : ما رأينا أتقى من ابن تيمية، لم نبق ممكنا في السعي فيه.. ولما قدر علينا عفا عنا "

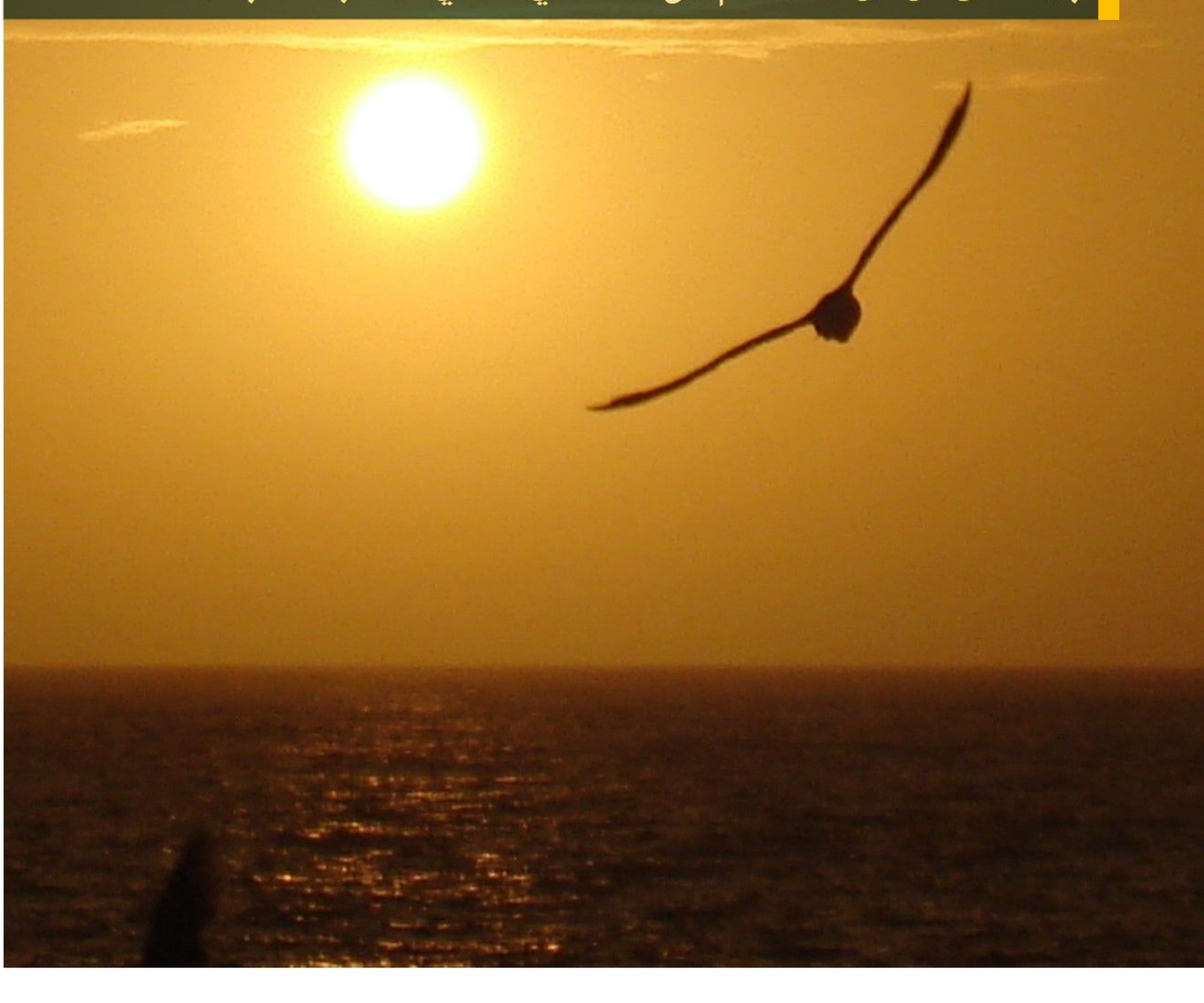

خيالات الشُّرَّاح !

سلطان الكامل

مهتم بالشأن الأدبي والشعري.

دراسة الشعر دون معرفة أخبار العرب وثقافتها وفلكلورها، ودون النزول إلى متكلميها ومخالطتهم = تنتهي بالدراس إلى خيالات، وقد وقع **التبريزي** رحمه الله في مواطن من شرحه المفضليات أسيراً في يد الخيالات، وقد تنتهي بالدارس - لاسيما حين تتسع الشقة الزمانية بينه وبين النص - إلى شطحات كما حصل **لهارون** و**شاكر** رحمهما الله في حواشيهما على المفضليات أيضاً، أو إلى ضلال بعيد كما فعل **الطيب** في كتابه (**المرشد**)، ولا أدري صِدقاً كيف سينظر **الطيب** إلى **المعري** جراء ما ارتكبه في الشعر ؟ وهذا الأخير - أعني **المعري** - ممَن أصاب المحز كثيراً، رغم عماه، وذاك لضبطه أخبار العرب.

إنّ مَن شَرَح الشعر الجاهلي - والشعر إجمالا - دون التوغل في حياة العرب، ثم ظنّ أن المعجم أو مقولات البلاغة تكفيه = فقد أخطأت عينه المرمى، وحاله عندئذ كحال مَن جالس البدو يجمع شعرهم النبطي ثم يعود إلى بيته يحلل الأبيات على ضوء مسرحيات **شكسبير**، هذا شيء وذاك شيء.

برع **الزمخشري** رحمه الله في تعليقاته على البيت والبيتين، والسبب في ظني هو نزوله إلى العرب ومخالطته إياهم، فهو لم يكتف بالكتابة عنهم من الري أو خراسان كما فعل كثير من اللغويين. شواهده البلاغية في كشافه ومسموعاته التي قيدها في أساسه غير عابئ بزمن الاحتجاج = تشهدان بمعرفته للعرب، ومن هنا حالفه الحظ كثيراً في كلامه عنهم.

أما **الأزهري** رحمه الله فقد حابتْه الحياة، إذ وقع أسيراً في يد العرب، وكان هذا من حسن حظه ؛ لأنه أعاد مناقشة أمور كثيرة في تفسيرات الألفاظ ودلالتها كانت كالحتم عند غيره. ويا ليت سائر اللغويين وقعوا أسرى في يد العرب لاسيما **عبد القاهر الجرجاني**، ليتطامنوا قليلاً، فالعربي كان شعره انعكاساً لحياته وثقافته، كان يقول الشعر وعيناه على حياته لا على مقدمات **أرسطوطاليس** ومقدمات علم الكلام التي بُني عليها كثير من علم البلاغة. والمقصود بمعرفة أخبار العرب هو الخُلطة والمجالسة، ودون هذا لن يعرف الدارسُ العربَ حتى

لو قرأ ألف كتاب. ومن هذا المدخل، فاق **حمد الجاسر** أضرابه المصريين في الشعر ؛ فقد اعتصره واستخلصه وخنّقه، لأنه عربي، يركب "**الدتسن**" ويذهب إلى الأماكن عينها المذكورة في القصائد، دون أن يفتح لنفسه أبواباً للخيالات والاحتمالات غير المنتهية.

شاكر رحمه الله لو أخذ جولةً في اليمن وصنعاء وزبيد وجنوب السعودية والأحساء، وتملّى الأهازيج الشعبية المنظومة على المديد لعرف بنفسه أن النمط (الصعب) الذي بنى عليه فكرة كتابه = وهمٌ، وأن هذا البحر استعمله العامة والسوقة والدواشين باستفاضة حتى ابتذلوه، أو على الأقل لو فتح قنوات المعارضة اليمنية في التلفاز، ورأى الزوامل والشعبيات لتجلى له أن الأمر جد هين. علّامة اليمن **مطهر الإرياني** تكلم عن ثراء المديد في أهازيج اليمن بفطرته، وهو عالم في الفلكور اليمني الحديث ولغة النقوش القديمة، ولا أظنه استحضر **شاكراً** في كلامه.

وقد أعدتُ هذه المشكلة إلى دارس اللغة من خارج الجزيرة، فهو يدرسها عبر الكتب دون عرضها على الواقع مفترضاً هوة ضخمة بين منطوق اليوم ومنطوق الأمس، وبهذا يصبح فريسة للأوهام والخيالات العلمية. جزيريّة **حمد الجاسر** وعيشه في مواطن العرب وحياته على مسرح الشعراء = كل هذا جعله الدارس الرزين العالَم بالعربية دون أسْر الخيالات مع الدقة والإلمام. وكم كنت أتمنى لو أتيحت الفرصة لصاحب (النهاية) **ابن الأثير** لأن يشرح الشعر، معجمه يشهد له بإلمام عجيب في ثقافة العرب.

ولقائل أن يقول : إن ما مضى كلام هَمل مُرسل لا شواهدَ له، لم يُضمّن بالأمثلة والمناقشات ! ومعه حق، ولكنه سيغفر متى استحضر أنني أكتب مقالة، وللمقالة مقامها. أسأل الله أن يعينني بالتفرغ لتبييض ما سوَّدتُه - وقد تراكم - في هذا الباب. وحتى لا أخرج من مقالتي دون أن يكون لي سلف من المتقدمين يشايعني = أضع عبارات **للأسود الغندجاني** من كتابه (فُرحة الأديب) يشنّع فيها على **السيرافي**، إذ تكلم الثاني في الشعر دون علم عميق بالعرب وفلكلورهم :

١- " **مَن فسر هذا الشعر الغريب، ولم يستقر أشعار العرب المجاهيل، ولم يقتلها علماً، كان كمَن يعطو في الحمض** ".

٢- " **هذا الذي ذكره ابن السيرافي لا يغني فتيلاً، فمعروف أن هؤلاء رجال لا جمال، وهذه مواضع لا براذع، ولكن إذا لم تعرف قصة هؤلاء الرجال وأيامهم، وأسماء هذه المنازل بأعيانها وما جرى فيها، لم يكمل معناه** ".

٣- " **غلط ابن السيرافي ها هنا آنفاً، لأنه لم يكن يعرف منازل العرب ومحالها، ومَن فسر أيضاً مثل هذا الشعر ولم يتقن ثلاثة أنواع من العلم : النسب، وأيام العرب، ومحالها ومنازلها - كثرت سقطاته** ".

٤- " **لا يعرف معنى هذا الشعر إلا بمعرفة ما يتعلق به من الأيام، ثم إذا لم يعرف : ضرغد وقنا وعوارض، حقيقة أنها في أي موضع من المواضع من بلاد الله - لم يعرف المخاطب بقوله** ".

٥- " **لو سكت ابن السيرافي عن تفسير مثل هذا الشعر من شعر القبيل، الذي يبلح فيه حذاق العلماء والنسابين - لم يجعل نفسه غرضاً لكل رام. وروي عن أبي عثمان المازني قال : حملنا منتخبات المفضل، فقرأناها على الأصمعي، فكل ما كان فيها من أشعار الشعراء المعروفين أجاب فيها، فلما صرنا إلى أشعار القبائل بلح فيها أبو سعيد. وهذا باب صعب، وكنت قد قلت: إن مَن لم يتقن علم النسب ومنازل العرب، وخاض في تفسير مثل هذا الشعر زلت قدمه** ".

٦- " **كنت ذكرت لك في غير موضع من هذا الكتاب أن مَن شرع في تفسير مثل هذا من الشعر، فيما يتعلق بنسب أو قصة، من غير أن يكون قد أتقن هذين العِلمين - كان بعرض الافتضاح. فلو قرن بهذا الشعر : كتاب سيبويه وحدود الفراء، ما كان ليعرف معناه إلا بمعرفة قصته** ".

٧- " **وكنت قد ذكرت لك أن الشعر إذا كان متعلقاً بقصة، فإن أصحاب المعاني لا يقدرون على استخراج معناه إلا بها** ".

وهم المعرفة

ريم محمد الغويري
ماجستير في الثقافة الإسلامية.

يولد الإنسان في هذه الحياة لا يعلم شيئاً كما وصفه الله عز وجل : { **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا** } النحل ٧٨.

وهذا الجهل بمثابة **وقود** يدفع الإنسان لاكتساب المعرفة واكتشاف العالم من حوله ؛ **فيتأمل ويفكر ويجرب** مستخدماً عقله وحواسه التي منّ الله بها عليه، لعله يكتشف سر الوجود وطرائق المعرفة.

فيبحر الإنسان على زورق **عقله** تصارعه أمواج **الجهل** باحثاً عن بر **المعرفة**، فتراه يقرأ الكثير من الكتب في شتى العلوم والمجالات، ولكثير من الكُتاب والفلاسفة في شتى المذاهب والتيارات الاعتقادية والفكرية، خاضعاً لسلطة **الكم** لا **الكيف**.

فيجمع من **هنا وهناك** فتعجبه فكرة **هذا** ورأي **ذاك** بلا تلازم ولا ترابط سوى ما رضيه عقله ووافق هوى نفسه. فينظر لهذا الكم من الأفكار **متغطرساً** فتتضخم مشاعر النشوة عنده ولا يعلم أنه واقع في **فخ وهم المعرفة**.

ولِوهم المعرفة عدة ملامح تظهر على شخصية المصاب بها.

فتراه مثلاً يطلق **الأحكام والتعميمات**، ويعارض **المسلمات والثوابت**، ويثير **الشبهات**، ويركض خلف **الشهوات**، ويرفع مرتبة **آرائه إلى حقائق** بلا استناد على دلائل أو مقدمات صحيحة.

وأما أبرز رافدين يغذيان المعرفة المتوهمة فهما :

أولاً : القراءة **الفوضوية** التي لا تعتمد على طريقة بنائية في اكتساب العلوم فلا يبدأ **بتدرج** من أصول العلوم إلى فروعها، أو من دلائل العلوم ومسائلها قبل الاطلاع على **الشبهات** المثارة حولها.

ثانياً : فقدان **المرجعية الفكرية**، وهي النموذج الحاكم والرؤية الكلية التي تحاكم إليها الأفكار والتصورات.

يقول **برتراند رسل** : " **عقل منفتح على الدوام، عقل فارغ على الدوام** " أي أن العقل الذي يستقبل كل ما يثار حوله من أفكار وآراء **ولا يملك ميزان** يزن به هذه الأفكار ليميز بين صحيحها وسقيمها هو عقل فارغ من المعرفة **الحقيقية** أو **النافعة**.

وللارتقاء إلى سقف المعرفة لا بد من الصعود على **أساسات متينة** مراعياً التدرج ؛ لكي لا يهوي إلى **القاع** ! فالأساسات المتينة هي **المرجعية** التي تحاكم إليها **الأفكار** من ناحية ترتيب **المصادر** التي تستسقى منها المعرفة - **الوحي والعقل والحس والحدس** - ثم صحة المنهج المتبع في استخراج الأفكار، وأيضاً صحة **المقدمات** التي بنيت عليها هذه الأفكار.

ويأتي بعد ذلك استخدام القراءة البنائية في الاطلاع على **العلوم الشرعية والفكرية** ومعرفة ما يثار حولها من **شبهات** أو ما يخالطها من شوائب وإشكالات.

وبعد ذلك كله يفتح الباب على مصراعيه **للقراءة في كافة المجلات** ولكافة الكُتاب، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها.

المُعلم : هو ذاك الجندي المجهول الذي غالباً ما يظل اسمه مغموراً بين المجاميع، كالشمعة التي تعطي الآلاف من نورها حتى تفنى وتنتهي في صمت، فيعرف الناس الأطِباء والمهندسين والمحاسبين والشيوخ والعلماء والأدباء و و و .... وقليل مَن يتذكرهم.

شخصية العدد

رضا زيدان

كاتب شاب في المجال الفكري والفلسفي، له مقالات وكتب وترجمات مع أكثر من مجلة ومركز متخصص، وصدر له كتب منها (الإجماع الإنساني).

هم أشخاصٌ قد يعرفهم أغلبنا أو بعضنا أو غير مشهورين، لكن بصماتهم توجب تسليط الضوء عليها وعليهم : مَن هم ؟ وما هي قصة طريقهم الذي سلكوه ؟ لعل فيما سنقرأه معاً مفاتيح القدوة والعبرة لمَن يريد.... نترككم مع الحوار...

أهلاً بك أستاذ رضا، وسعيدون بهذا اللقاء، وفي البداية نريد بطاقة تعريفية تشمل : الاسم والدراسة والتخرج والعمل الحالي ؟

أهلاً بكم، وأنا الأسعد بهذا اللقاء، الاسم : رضا محمد عزيز زيدان، أعمل حالياً باحث في فلسفة اللغة والعقل وعلوم الحديث والترجمة.

ماذا تفرق كتابات (أو رؤية) رضا زيدان الآن لمختلف المواضيع النقاشية الفكرية : عن رضا زيدان منذ ٤ سنوات ؟

الفرق الرئيسي الذي يحضرني باستمرار هو توظيف المعلومة أو المعطى الواحد في **اتجاهات شتى**، وأعانني على ذلك أن المعارف التي أحببتها بالتدريج خلال هذه الفترة كانت **متداخلة**، وأظن أن قدرتي على الربط بين المتباعدات جيدة إلى حد ما. ثم هناك اختلافات يشاركني فيها كل مَن تقدم في العلم، مثل **عدم العجلة** في تحرير المسائل وتتبع **أصول الأفكار**.

منذ متى بدأ ظهورك في الكتابة التثقيفية / الدعوية ؟

بدأ اهتمامي بالعمل الدعوي في عام ٢٠١٠م في بداية مرحلتي الجامعية، حيث التقيتُ صدفة بزميل دراسي كان يتحدث في مصطلح الحديث، وكنت وقتها لا أعلم عنه شيئاً، وكان يراودني من حين لآخر تشكيك في ثبوت الأحاديث جملة...
فأسرعت إلى البيت **وبحثت عن هذا العلم**.
ثم عكفت شهوراً أدرس **مقدمة ابن الصلاح** وما يؤهل لها : فسدَّ حاجتي وزيادة، ثم من باب حجية أحاديث الآحاد في العقيدة وإسهام **ابن تيمية** في الباب ككل دخلتُ عالم نقد الإلحاد.

اشتهر عنك عنايتك الخاصة بفتجنشتاين سواء في مقالاتك أو كتاباتك المتفرقة رغم أنه ملحد، فهل يمكنك ذكر الإيجابيات التي لديه كمفكر وكذلك السلبيات ؟

الحقيقة موضوع **فتجنشتاين** قد سئلتُ عنه كثيراً، وأحب أن أوضح أن **فتجنشتاين** قد مر بمرحلتين - وبعضهم يقسمها إلى ثلاث – **الأولى** : مرحلة التفكير الوضعي إلى حد ما، مع الانشغال - عكس التفكير الوضعي النموذجي - **بالدين والأخلاق وما بعد الموت**، وهذه المرحلة لا يهمني فيها إلا بعض استبصاراته الأخلاقية. **الثانية** : مرحلة الفطرة، هكذا أسميها، لأن كتاب (**بحوث فلسفية**) له ينبغي أن يُقرَأ على أنه تأسيس معاصر للفطرة،

وإعادة اعتبار لتصورات الإنسان العادي عن الحياة والأخلاق وغير ذلك من المفاهيم **الفطرية** في مقابل التصورات **العلمية**، وذلك من خلال الوصف لا التنظير لكيفية استخدام الإنسان العادي **للغة** في سياقات مختلفة. وأزعم أن دراسة **فتجنشتاين** المرحلة الثانية وفهم تبعات القول **بالفطرة** هو النقد الأشمل والأكمل **للإلحاد الحديث**، ناهيك عن كونه تأسيس لم نسبق إليه تقريباً، فالمتكلمون الغربيون لا يوظفون إلا بعض فقرات **فتجنشتاين** وليس فلسفته ككل. كما أن ذلك سينقل الباحث بلا ريب نقلة كبيرة على المستوى العلمي المحض في مجال فلسفة **اللغة والعقل**.

ما هي الكتب التي شاركت فيها إلى الآن أو توليت كتابتها بنفسك ؟

صدر لي بحمد الله :

- رسالة في نشأة اللغة والمجاز.
- الإجماع الإنساني : المحددات ومعايير الاحتجاج.

وسيصدر لي قريباً :

- نقد الأخلاق التطورية، ريتشارد دوكينز نموذجاً.
- نقد الأخلاق المعرفية، جورج لايكوف نموذجاً.

وقمت بترجمة :

- العلم ودليل التصميم في الكون، ل مجموعة مؤلفين.
- فتجنشتاين والبحوث الفلسفية، لماري ماجين.

ولي بعض الأبحاث غير المكتملة عن **حرية الإرادة ومفهوم العقل عند العرب** وغير ذلك. وهناك مشروع ممتد أحاول فيه تأسيس **للنبوات** من خلال **فلسفة التاريخ**.

إذن... ماذا عن كتابك الأخير... هل يمكنك أن تلخص لنا موضوعه في سطور ؟

فكرة كتاب **نقد الأخلاق التطورية** باختصار هو نقد مفهوم **الوراثة** الذي يقوم عليه علم النفس التطوري، وكتاب **دوكينز** (**الجين الأناني**) من أهم الكتب التي رسخت جماهيرياً مفهوم الوراثة التقليدي الذي يرتكز على الجين فقط، أما المفهوم الوراثي الذي أقدمه فأوسع من ذلك.

فهو يُدخل **التعليم الاجتماعي** وأهميته وتأثيره على الجين، بل أقول - كما تدل التجارب - أن السلوك يوجه الجين في كثير من الأحيان، ويدخل إسهام الكائن الحي في بناء موقعه Niche construction كسلوك مؤثر، وغير ذلك من العوامل **اللاجينية** التي تؤثر في الانتخاب الطبيعي.

وبذلك أتحدث في النصف الأول من الكتاب **كما لو أني تطوري**، وأعتمد على أبحاث التيار التطوري الحديث المعروف باسم The Extended evolutionary synthesis مستفيداً من **نقده للداروينية الجديدة ومفهومها الضيق للوراثة**.

وأما في الجزء الأخير من الكتاب فأقدم نقداً فلسفياً **لعلم النفس التطوري** بشكل عام، وسيطول هذا التيار أيضاً.

وترجع أهمية هذا الكتاب إلى حد كبير في **ندرة المكتوب عربياً في نقد علم النفس التطوري**.

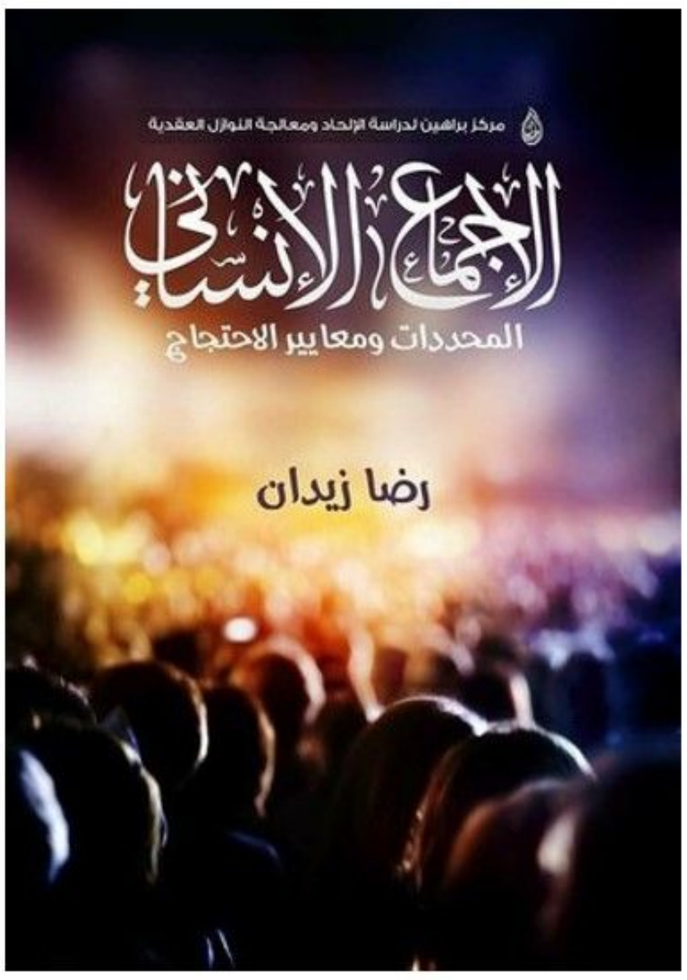

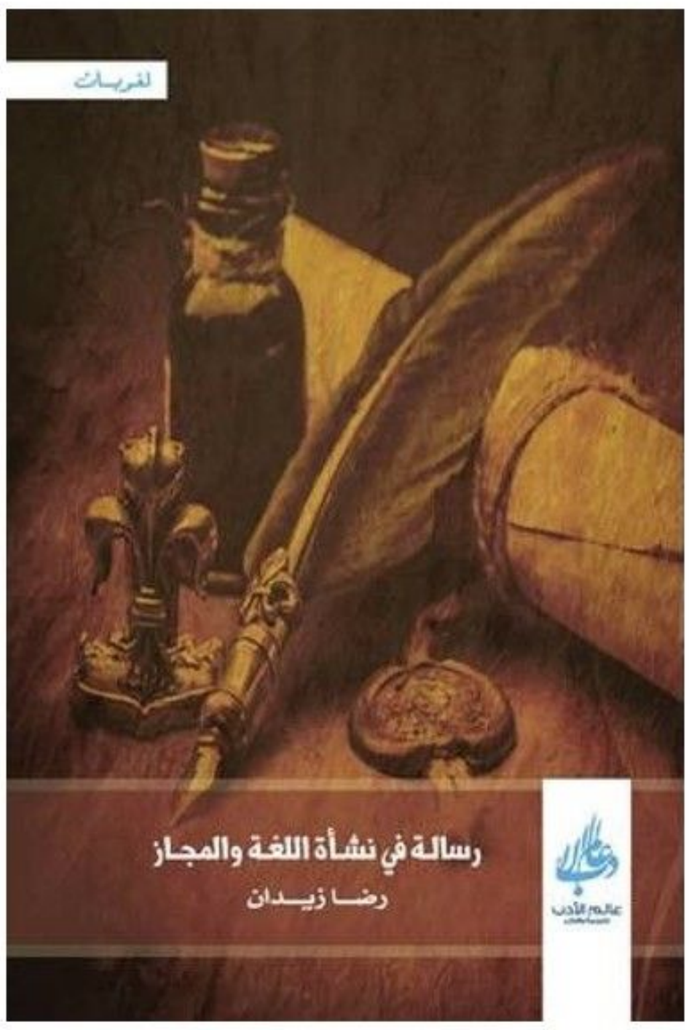

يلفت النظر اليوم كثيراً استشعار العديد من شباب أمتنا للتأخر العلمي وربما الفكري الذي تعيشه مجتمعاتهم، مما يدفعهم للبحث عن (كبسولات معرفية) سريعة التأثير إذا صح التعبير، حيث نجد منهم الإقدام على كل شيء (حتى في المجال الديني) دون وضع خريطة معرفية أو بناء مرسوم مسبق ومدروس، وبذلك تضيع جهود أكثرهم للأسف، في حين ينتهي الأمر بالآخرين غالباً إلى آمال وأحلام صعبة التحقق، ولا ينجو من هذا الطريق المرتجل إلا القليل، فهل يمكنك إعطاء بعض النصائح في ذلك كونك قريب من الشباب ؟

مشكلة **الكبسولات السريعة** للأسف مشكلة كبيرة، وأصلها الاصطدام بمثقف علموي ممَن في وسائل التواصل غالباً، والأخطر الاصطدام بملحد قوي، **والشبهات كالشهوات** لا بد أن تُتقى من بابها، أما إذا تعرّض الشاب بالفعل لشبهة قوية أرهقته فالطريق المعرفي الوحيد لحلها هو طلب العلم **منهجياً** لا البحث والنقد **عشوائياً**، لأن الأخير يؤدي إلى تذبذب إيماني يعرفه مَن اختبره، ويؤدي على المستوى المعرفي إلى ضياع الجهد، وكثيراً ما نسمع قول أحدهم :

" كنت أعلم رداً على هذه الشبهة ولكني نسيته " !

وفكرة التعامل مع رد الشبهات **كعلم** فكرة خاطئة تماماً، فالرد على الشبهات وتقييم الردود هو **ثمرة طلب العلم** وليس شيئاً مستقلاً بذاته، ونصيحتي لكل طالب جامعي يحب العلوم الشرعية أو الإنسانية ويحاول خدمة دينه أن يسير على **منهج واحد** - والمناهج متوفرة - ولا يناقش أحداً مؤيداً أو معارضاً **حتى ينهي فترة كافية في الطلب.**

وأن يكتب كل **الفوائد** التي تقابله باستمرار خصوصاً التي في غير مظانها أو التي يقابلها على الإنترنت.

وأن يهتم كثيراً **بفلسفة العلم** مهما كان تخصصه، لأن أكثر الشبهات المعاصرة ذات أساس علمي مباشر أو غير مباشر.

في حال أراد البعض النهوض ببعض المشاريع التي تدعم الشباب في السنوات القادمة فكرياً : فهل لديك اقتراحات حتى لو كان أمامها عوائق مادية أو غيرها ؟

في نظري المشروع الذي ينبغي للشباب الإسهام فيه هو **العلاقة بين الدين والعلم**، وهذا لا يمكن إلا بدراسة فلسفة العلم دراسة وافية وما يتعلق بها، وكذلك دراسة فلسفة الدين المعاصرة، وبالطبع كل هذا بعد **فترة كافية من طلب العلوم الشرعية.**

هل لدى رضا زيدان هدف لم يحققه بعد يُحب أن يشاركنا معرفته ؟

بل ما هي الأهداف التي حققها – ابتسامة - والحقيقة أن هدفي يتعلق **ببدايتي**، فأتمنى في قادم الأعوام تقديم أساس نظري **للعلوم الشرعية** خصوصاً علم **الحديث**، أو على الأقل السعي في ذلك، إذ أنني لم أصل في علم الحديث إلى عُشر ما تمنيتُ.

العِلْمُ يَحْيِي قُلُوبَ المَيِّتِينَ كَما
يحيِي البِلادَ إِذا ما ماتتِ المطر
والعِلْمُ يَجْلُو العَمَى عَنْ قَلْبِ صَاحِبِه
كَما يُجَلِّي سَوَادَ الظُّلْمَةِ القَمَرُ
ذكره ابن عبد ربه الأندلسي في كتابه : العقد الفريد

الأمة الواحدة

شروق العمودي
طالبة جامعية

كان النـاس أمـة واحـدة، في ديـنهم، ولهجتهم، وعرفهم.

عندما كانت أبواب القريـة مؤصـدة عليهم بأقفال العيش الزهيد.

لا يعرف أهلها (**الانفتاح على الآخر**) إلا بمقـدار مـا تمليـه علـيهم تلـك القوافل المارّة بأطراف القرية.

كان أحدهم يستبطن أعراف قريتـه لا على أنها أعراف القريـة، بـل عـلى أنها أعراف العالم بأجمعه.

تسارع الزمان وبدأت تتلاشى حُجُب القريـة وتنصـهر، وبـدأ الاتصـال الحضـاري يـؤتي أُكلـه ويظهـر في **ملابـس** أهـل القريـة، وفي **مـأكلهم**، وفي **أرسخ معتقداتهم** !

بـدأ النظّـار يهرولـون إلى هـذه الظاهرة الاجتماعيـة المثـيرة، فخـرج **ابـن خلـدون** رحمـه اللـه بقاعـدة تحليلية عظيمة، أضحت فـيما بعـد من أهم النماذج **التفسيرية** المقبولة، والتـي تصـدقها الأفـراد الكثـيرة ولا تكذبها، فقال في مقدمتـه الشـهيرة – الفصـل ٢٣ : " **المغلـوب مولـع أبـداً بالاقتـداء بالغالـب في شـعاره وزيـه ونحلته وسائر أحواله وعوائده** ".

فوفـق هـذه العدسـة التفسـيرية، يحسن بنـا أن ننظـر إلى مَـن أصـيبوا بداء هذه السُـنة الاجتماعيـة، لننفـذ بعـد ذلـك إلى المنطلقـات الحقيقيـة المشكلّة والتي تقـف خلـف ظـاهرة (**الذوبان في النموذج الغربي**).

ولـئن كانـت هنـاك أمـة تـذوب في أخـرى بقـدر مـا تتصـل بهـا، فـإن القضية هنا تتفاقم بمقدار ما حـدث مـن **تطـور تقنـي هائـل في وسـائل الاتصال**، أضحت معه هذه الوسـائل مادة من ممتلكات الإنسان الخاصة، والتي **يحملهـا معـه في جيبـه وحلـه وسـفره**. ثـم إن هـذه القنـوات الاتصالية – بعد أن ترأسها النمـوذج الغالب - بـدأت تسـرب الكثـير مـن المضامين المتسقة مع نحلها الفكريـة في أواسـط **المجـالس الشـعبية**، وفـق **آليـات نفسـية عظيمـة** الأثـر (**مثـل التكـرار والـتهكم بالرؤيـة المقابلـة والتدرج واللعب على وتر العاطفة**).

فهي تستهدف تـارة (**الـوعي**)، وتـارة أخرى (**اللاوعي**).

فنـتج عـن ذلـك ذهـن **يسـتبطن المعياريـة الغربيـة**، ويفكـر ضـمن أطرها المحددة.

وهـذه المحـاولات الحثيثـة مـنهم في تعبئة الساحة العامة تجاه قضيتهم، تنطلق من إدراك مسبق لأبعاد قضية (**الـرأي العـام**) وأثـره في تفعيـل أو تسهيل تفعيـل كثـير مـن المكنونـات النظريـة **للمعتقـد الفكـري**، فهـم لا يجدون حرجاً في أن يـدعوا **لأصـحاب الظـاهر** محاولـة السـعي وراء القـوة الرسـمية الحاكمـة، ويـذهبون هـم **لتجنيـد الأفـراد والجماعـات ثـم المجتمع** في صفوفهم، فإذا مـا تقابـل الصـفان كانـت القـوى (**متوازيـة**

ومتدافعة)، بل وربما زاغت هنالك الكثير من البنود التجريدية التي كانت **تحفظ للسلطة الرسمية الصلاحية الأولى في اتخاذ القرار وتفعيله.**

فالتغيير الفعلي في المجتمعات لا يكون بمجرد **القرار السياسي الرسمي**، والقرار الرسمي لا ينفك في أبنيته عن المجتمع الذي يكون فيه، ومن هنا كان **الرأي العام قوة مؤثرة**، تسعى **لاكتسابها** كثير من الأطراف صاحبة الفكرة، وصولاً إلى السلطة الرسمية نفسها !

فإذا علِمَ **المُصلح** هذا، كان باعثاً له على **استثمار هذه الساحة**، وعلى **استجلاب هذه العدة**، في طلب نصرة الإسلام.

ثم إن هذه القنوات الموصلة للساحة، أصبحت **نوافذ متناولَة**، يستطيع أحدنا أن يرمي بظلال رأيه من خلالها على شرائح واسعة وكبيرة من المجتمع، لا يفصله عن ذلك إلا نقرات سريعة، تصل بقوله إلى عقر المجالس والبيوت.

وأرى بعد، أنه ليس من المناسب هنا ذكر **التجليات التفصيلية لآحاد الأفكار** والسبل التي تعزز مقاومة ذوبان المجتمع في النموذج الغالب، لأنها تتعدد بتعدد الخاطرة والناظر والمستقبِل، ولكن أحسب أني أشير إلى بعض **الملامح الكلية** التي تركز على بعض **المعطيات المهمة**، والتي يجب أن يستصحبها **المُصلح** في حوادثه الجزئية :

١- العمل الدؤوب المتكاتف، والذي يُتبع بعضه بعضاً، على **رفع مستوى الوعي المجتمعي** من خلال مشاريع حقيقية جادة فاعلة، تهتم ببناء البذرة الأولى في **نفوس الناس الصالحة للإنبات**، تراعي في سيرها الواقع الذي تعمل فيه، فتبدأ من حيث **تلفت الناس إليها**، وتهدف إلى توضيح **الخريطة الإجمالية للإسلام**، أصوله وثوابته، المبنية على **الدلائل القطعية**، مع تكرار هذه المعاني- بما يناسب غايتها الرسالية - في قوالب عصرية مناسبة، حتى يتشبع النشء منها، وتتكون لديهم **صورة أولية** تستطيع مقاومة **الجزئيات المضادة**، بردها إلى تلك الأصول **القطعية في نفوسهم.**

٢- ألا تكون هذه المشاريع في أغلبها - المتسق مع هدفها الإصلاحي - مقتصرة على **المقررات النخبوية**، فلا يطالعها إلا من أهمّه أمر **الدرس والمذاكرة.**

٣- ألا تقدم نفسها بلون **صوتي واحد**، وأن تعمد إلى التنغيم ما أمكن، وهذا التنغيم يقصد **الوعاء والمحتوى**، فأما الوعاء فتغير من شكله وحجمه وسعته، فلا تعتمد نسج **المقاطع الطوال** فقط، ولا تعتمد **قناة اجتماعية** واحدة، ولا **خلفية بيضاء** دائماً، وتحاول إضفاء شيء من **العصرنة** على **قوالبها اللفظية.**

وأما المحتوى فتتكلم تارة من منطلقات **إيمانية قلبية**، وتارة من منطلقات **عقلية مُحكمة**، وأقول **مُحكمة** : كي لا تسهب في أفراد **الدليل العقلي**، فتذكر **المحتمل والظني**، فإن هذا قد يض**ر أكثر مما ينفع**، وتارة تتكلم من منطلقات **تجريبية علمية.**

٤- ألا تكتفي هذه الجهود بمقام **الدفاع والإثبات**، بل تساهم في بث وتقرير وتكرار عدد من **المعاني الناقدة تجاه الرؤية المقابلة**، شريطة أن تكتفي في هذا المقام **بالسؤالات الشائكة والشائعة في الساحة**، وأن **تولي الشباب النصيب الأكبر من الإجابة**، باعتبار أنهم أكثر الفئات المستهدفة تأثراً بها، ومن هذه المعاني المهمة :

أولاً : محاكمة المعيارية الغربية.

ثانياً : تقرير تلك التجربة الاجتماعية التي أصّل لها **ابن خلدون** في مقدمته (**سُنة اتباع الغالب**) مع **رفع حساسية المجتمع تجاه هذه الفكرة وبعض تجلياتها**، كي ينبه المجتمع إلى هذا **العامل الخفي** الذي يقف خلف كثير من النماذج الذائبة.

ثالثاً : المعاملة **التفكيكية** مع النموذج الغربي، مثل **الموقف من الحضارة الغربية**، دلالة المظاهر المادية، الاستفادة من العلوم الغربية.

فهذه بعض المعطيات العامة التي أحسب أنها ترفع من **وعي العقل المجتمعي الواحد**، وتضع له **الأسس الأولية** في رؤية تنطلق من **حاكمية الإسلام وتجاوزه**، ثم تتعامل مع مختلف الأفكار **وفقاً لهذا المعنى.**

مناقشة القانون العقلي

محطات حول مقالة المُتكلمين : " إن العقل مقدمٌ على النقل "

دراسات

محمد بن ناصر الغانم

محاضر في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

متخصص في العقائد والأديان والمذاهب المعاصرة

قبل الدخول في شرح معنى القانون العقلي ومناقشته لابد أن نقف لنحدد معنى العقل ثم نتصور حدوده التي تضبط لنا المفاهيم والدلالات للقضايا التي ستأتي تحت هذا القانون.

معنى العقل

تشير الدلالة اللغوية للعقل إلى أنه يرجع إلى : المنع، والإمساك، والحبس.[١]

ويطلق على العقل أسماء ؛ ذكر اللغويون منها : "لباً، وفكراً، وحلماً، ونهية، وحجراً ، وحجى" وكلها تدور حول المنع والحبس.[٢]

أما معنى العقل في الاصطلاح : فقد اخْتُلِف في تعريف العقل اصطلاحاً، وذلك لاختلاف المذاهب، فكلٌ فسر العقل بما يناسب مذهبه ويتماشى مع أصوله، وبيان ذلك كما يلي :

١ــ العقل عند أهل السنة والجماعة :

ورد عن أهل السنة والجماعة تفسيرات متعددة للعقل، فمنهم مَن قال : إنها غريزة، ومنهم مَن قال : آلة تمييز، وغير ذلك.[٣]

فالعقل هو ما يقع بالاستعمال على أربعة معان :

أ ـ الغريزة المدركة.

ب ـ العلوم الضرورية

ج ـ العلوم النظرية.

د ـ العمل بمقتضى العلم.[٤]

فالأول : الغريزة التي في الإنسان، فبها يعلم ويعقل.

والثاني : العلوم الضرورية، وهي التي تشمل جميع العقلاء، كالعلم بالممكنات والواجبات والممتنعات.[٥]

والثالث : العلوم النظرية، وهي التي تحصل بالنظر والاستدلال.[٦]

والرابع : الأعمال التي تكون بموجب العلم.[٧]

فهذه المعاني الأربعة هي إطلاقات كلمة عقل.

لذلك ومن خلال ما سبق فإن العقل عند أهل السنة والجماعة : "**شرط في معرفة العلوم وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل؛ لكنه ليس مستقلا بذلك؛ بل هو غريزة في النفس وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين** ".[٨]

٢ ـ العقل عند المتكلمين :

اختلف المتكلمون في العقل وماهيته، وأشهر الأقوال جاءت على النحو الآتي :

أ ـ العقل جوهر روحاني خلقه الله تعالى متعلقاً ببدن الإنسان.[٩]

ب ـ العقل صفوة الروح : أي خالصها.[١٠] وبعض المتكلمين يعبر عن العقل بأنه النفس الناطقة التي يشير إليها كل أحد بقوله (أنا).

ج ـ جوهر مجرد عن المادة يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف.

وقد رجَّح **الشريف الجرجاني** وغيره من المتكلمين أن العقل جوهر مجرد يدرك الفانيات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة.

ثم قسم **الجرجاني** العقل إلى :

١- العقل المستفاد : وهو أن تحضر عنده النظريات التي أدركها بحيث لا تغيب عنه.

٢- والعقل بالفعل : وهو أن تصير النظريات مخزونة عند القوة العاقلة بتكرار الاكتساب، بحيث تحصل لها ملكة الاستحضار متى شاءت من غير تجشم كسب جديد، لكنه لا يشاهدها بالفعل.

٣- والعقل بالملكة : هو علم بالضروريات، واستعداد النفس بذلك لاكتساب النظريات.

٤- والعقل الهيولاني : هو الاستعداد المحض لإدراك المعقولات، وهي قوة محضة خالية عن الفعل كما للأطفال.[١١]

والقول في العقل الذي اختاره أكثر المتكلمين هو أنه بعض من العلوم الضرورية.[١٢]

يقول **أبو الوليد الباجي** : " **فإنه** ـ أي العقل ـ **العلم الضروري الذي يقع ابتداء ويعم العقلاء** ".[١٣]

توضيح معنى القانون الكلي

سبق في مفهوم العقل أن المذاهب قد اختلفت في تحديده، والأقوال تنوعت في تصويره، والخلاف في تحديد العقل ليس صورياً، بل حقيقيٌ وله ثمرة.

إلا أن المقام يقتضي أن نضع ثلاث مراحل للعقل توضح مهامه :

الأولى : إدراك المعاني.

الثانية : تصورها.

الثالثة : تحليلها.

ثم بعد ذلك نضع نوعين للعقل تجتمع فيها مواد النزاع في مفهوم العقل، وهي :

النوع الأول : العقل الفطري الغريزي.

النوع الثاني : العقل المكتسب الاستدلالي.

فالنوع الأول لا نحتاج فيه إلى نظر واستدلال، بل هو فطري بديهي جبلي (من الجبلة)، كقولنا إن الواحد

نصف الاثنين، وإن النار محرقة، والنهار مضيء، والليل مظلم، والكل أكبر من الجزء.

والنوع الثاني هو ما نحتاج فيه إلى نظر واستدلال ومقدمات حتى نصل إلى نتيجة.

ومع صلاح النوعين (الفطري والكسبي) لاجتماع الأقوال (في تحديد العقل) تحت رواقها، إلا أن الخلاف يشتد ويقوى إذا أردنا وضع حدود ضابطة للعقل الفطري والعقل المكتسب، أي ما هي المعقولات **الفطرية**؟ وما هي المعقولات **المكتسبة**؟

وهذا باب واسع، ترتبط به مسائل طويلة الذيول وواسعة الشعاب، لكن الغرض هنا هو ضبط مفهوم العقل حتى نتصور معنى القانون العقلي.

فإذا كان ذلك كذلك فإن القانون العقلي الذي ابتدعه المتكلمون له موضوع وحدود وأصل ونتيجة. وبيانها كالتالي :

أولاً : موضوع القانون العقلي

يبحث القانون العقلي في العلاقة بين العقل والنقل، والمراد بالنقل هو النصوص والأخبار، والمراد هنا من النصوص والأخبار نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية.

ثانياً : حدود القانون العقلي

تتكون حدود القانون العقلي من ضبط العلاقة بين العقل والنقل. وهذه العلاقة لها احتمالان : الموافقة أو المخالفة.

أما الموافقة، أي أن النصوص (النقل) توافق في ظواهرها العقل، فهذا لا إشكال فيه.

أما المخالفة، فهي أن تخالف ظواهر النقل قواطع العقل، فعند ذلك نحتاج إلى ترجيح، وهذا الترجيح لابد أن يكون بمرجح، وهذا المرجح لابد أن يكون قانوناً في هذه العلاقة التي تربط العقل بالنقل.

ثالثاً : أصل القانون العقلي

القانون العقلي افتراض لمسألة، ثم تركيب نتيجة على هذا الافتراض.

الافتراض يتلخص في تصور وجود التعارض بين ظواهر نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، وبين قواطع العقل.

أما النتيجة المركبة من هذه الفرضية فهي في حسم هذا التعارض **بقانون نسير عليه**، وهو إما تقديم العقل على النقل، أو تقديم النقل على العقل. مع التعليل والتدليل لأي اختيار من هاتين النتيجتين المحتملتين.

وهذا التعليل في القانون العقلي لم يأت من داخل المسألة، بل كان من مسألة أصلية أخرى ؛ خارجة عن مسألة مجرد التعارض بين العقل والنقل، وهذا الأصل أثَّر في النتيجة، بل أثَّر في النظر بين العقل والنقل وكان سبباً في صياغة القانون العقلي الكلي في دفع التعارض بين النقل والعقل.

هذا الأصل يتشكل من أضلاع ثلاثة...

يتكون من خلالها مثلث افتراضي نعبر عنه بالأصل الذي قام عليه القانون العقلي الكلي :

أما الضلع الأول : فهو عن مفهوم العقل وعمله ومنزلته.

والضلع الثاني : فهو عن طريقة معرفتنا بالنقل ومنزلته.

والضلع الثالث : هو دفع التعارض والبعد عن القوادح التي تقدح في اختيارنا عندما ننظر في الخلاف بين العقل والنقل.

رابعاً : النتيجة

وهي المحصلة النهائية التي نقوم بها عندما نحاول حل الإشكال وجبر الإعضال في تعارض النقل مع العقل وفق القانون العقلي العام.

ونأتي الآن إلى **شرح القانون العقلي** وفق هذه المعطيات السابقة، ثم نعود للمقارنة في الخلاف وفق هذه الأضلاع الثلاثة.

القانون العقلي في خلاصته هو أننا إذا نظرنا في النقل مع العقل فإما أن يوافق النقلُ العقلَ أو يخالفه، فإذا وافق النقلُ العقلَ فلا إشكال، وإذا خالف النقلُ العقلَ فإننا لا بد أن نضع الاحتمالات، وهي كالتالي :

الاحتمال الأول : أن نأخذ بالنقل والعقل معاً حال تعارضهما.

الاحتمال الثاني : أن نترك النقل والعقل معاً حال تعارضهما.

الاحتمال الثالث : أن نأخذ بالنقل ونترك العقل.

الاحتمال الرابع : أن نأخذ بالعقل ونترك النقل.

أما الاحتمال الأول والثاني فلا مجال للعمل بهما، لأن ذلك غير ممكن، فلا نجمع بين المتناقضين، لأن المتناقضين

لا يمكن أن نجمع بينهما، ولا يمكن أن يرتفعا جميعاً، كالحركة والسكون في نقطة واحدة وفي لحظة واحدة.
بقي الاحتمال الثالث والرابع، وقد أخذ المتكلمون بالاحتمال الرابع، فصارت صياغة القانون العقلي كالتالي :

(إذا تعارض العقل والنقل فإننا نقدم العقل).

وقد عللوا ذلك بعدد من الأسباب، وبيانها كما يلي :

أولاً : لأن العقل هو أصل النقل، ومعنى ذلك أننا عرفنا النقل من خلال العقل، فمعرفة الله عند المتكلمين كانت بالعقل، فكلامه سبحانه وتعالى ما حصلت معرفته إلا بعد معرفة وجوده، وهي معرفة عقلية وحيدة عند المتكلمين.
والنبي صلى الله عليه وسلم ما عرفنا نبوته وصدقه إلا بالعقل من خلال دلالة المعجزة التي دلت على صدقه.
فهذا معنى قولهم إن العقل هو أصل النقل.

ثانياً : أن الأخذ بالنقل وترك العقل عند المتكلمين يعتبر طعناً في العقل والنقل معاً، لأننا إذا طعنَّا في العقل الذي هو أصل النقل عاد الطعن في النقل والعقل معاً.

ثالثاً : أن دلالة العقل قطعية عند المتكلمين، أما دلالة النقل فهي ظنية عندهم. لذلك لا يجوز تقديم الظني على القطعي.
هذه هي خلاصة القانون العقلي الذي وضعه المتكلمون وشرحه **أبو حامد الغزالي** وصاغه ووضع قواعده **الفخر الرازي**.[١٤]

إذن، فهذا القانون مبني على مقدمة وهي أن أدلة النصوص ظنية إلا أن يتوفر فيها عشرة شروط.
أما هذه الشروط العشرة التي وضعها **الرازي** فهي كما قال :
" الدليل اللفظي لا يفيد اليقين إلا عند تيقن أمور عشرة :
١ ـ عصمة رواة مفردات تلك الألفاظ.
٢ ـ وصحة إعرابها.
٣ ـ وتصريفها.
٤ ـ وعدم الاشتراك.
٥ ـ والمجاز.
٦ ـ والتخصيص بالأشخاص.
٧ ـ والأزمنة.
٨ ـ وعدم الإضمار.
٩ ـ والتقديم والتأخير.
١٠ ـ وعدم المعارض العقلي الذي لو كان لرجح ؛ إذ ترجيح النقل على العقل يقتضي القدح في العقل المستلزم للقدح في النقل ؛ لافتقاره إليه، وإذا كان المنتج ظنياً، فما ظنك بالنتيجة ".[١٥]

فمن هذا الكلام نخرج بالنتائج التالية :
١ ـ أن أدلة النصوص ظنية.
٢ ـ أن العقل يقدم على النقل في التعارض.
٣ ـ أن أدلة النقل لا تفيد اليقين.

محطات في مناقشة القانون العقلي

المحطة الأولى
مدخل نقدي

إن الله سبحانه وتعالى قد كرّم الإنسان بالعقل وأمره بإعمال العقل، وامتدح العاقلين، وذم الذين لا يعقلون.
وهذا العقل هو الصفة التي تميز بها الإنسان، وهذه الصفة لها مصادر تمدها بالمعرفة، وهذه المصادر متنوعة، ويجمعها ثلاثة أشياء :
١ ـ البصر.
٢ ـ السمع.
٣ ـ الفطرة والحس.
وذلك عائد إلى سبر وتتبع أدوات تلقي المعرفة لدى الإنسان، أما السمع والبصر فهما ظاهران جليان في أنهما أدوات لتلقي المعرفة لدى الإنسان، أما الفطرة والحس فتجعلان الإنسان يعرف الأشياء البدهية من فطرته السليمة، ومثلما دلت الفطرة على وجود خالق لهذا الكون.
وقد دل لهذه المصادر الثلاثة قول الله تعالى :
{ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا** } الإسراء ٣٦.[١٦]
قال **البغوي** :
" وحقيقة المعنى لا تتكلم أيها الإنسان بالحدس والظن ".[١٧]
فلا يحكم ويتكلم بالظن المرجوح إنما إذا حكم الإنسان أو تكلم فليتكلم بالعلم، فقوله { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ } مفهومه : لا تتكلم إلا بما عندك علم به.
ولما نصّت الآية على الأدوات الثلاث :

السمع والبصر والفؤاد، كانت هي التي يجتمع فيها مصادر المعرفة.
والبصر به يدرك الأشياء على حقيقتها، ويعلمها بالمشاهدة، ويعلم بالمشاهدة الفروق والأنواع والحوادث وغيرها على حقائقها.
وبالفطرة الغريزية يعلم الضرورات والأشياء البدهية.
وبحاسة السمع يعلم حقائق الأصوات المسموعة، أو يعلم بالسمع جزءًا من حقائقها.
ووجه كون السمع من أدوات المعرفة أن السمع أنواع، منها ما يسمعه الشخص بنفسه من الأصوات فيخضع لتجربة أو قرينة أو غيرها من الأشياء التي تعلم بها الحقائق، ومنه ما يسمعه من الأخبار من غيره؛ من تجارب الأمم قبله، أو مَن هو في زمنه وعرف بمشاهدة، أو سمع، فيكون عرف بواسطة السمع بمعرفة غيره.
وليس عدم رؤية الشيء سبباً لعدم العلم به، وليس عدم العلم بالشيء دليلاً على انتفائه.
وأعظم طرق العلم بالشيء من خلال طريق السمع هو سماع الخبر المعصوم إما من كلام الله تعالى أو من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم.[١٨]

وهذا السابق من وسائل المعرفة إنما هو لعالم الشهادة، أما عالم الغيب فلا يدرك إلا جملة عن طريق العقل والفطرة، مثل وجود الله سبحانه، والبعث، وغيره.
أما العلم بالتفصيل في أمور الغيب فلا تدرك إلا بطريق الخبر المعصوم.
والعلم بالأشياء الغيبية التي جاءت عن طريق الخبر المعصوم بالتفصيل جاء العلم بها تفصيلاً لمعانيها، أما الحقائق والكيفيات في عالم الغيب فلا تُعلم، لأن طريق العلم إما بالبصر والفطرة وهذه في عالم الغيب منتفية، أو بالسمع وهذه لا تأتي إلا عن طريق خبر معصوم ؛ إما من كتاب الله، أو سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
فعلى هذا فإن العلم بالأشياء الغيبية بالتفصيل عن طريق الوحي فقط، والعلم بكيفية أمور الغيب مثل : الجنة والنار، وعذاب القبر، وحقائق اليوم الآخر، وكيفية صفات الله عز وجل غير ممكنة للبشر، لأن خبر الوحي لم يخبر بكيفيتها.[١٩]
لذلك لا ندخل عقولنا ونقحمها في الغيب، فالله سبحانه وتعالى لما أطلعنا على مخلوقاته التي في عالم الشهادة أمرنا بالتفكر وحثنا على إعمال العقل فيها وأخذ العبر والدروس، ولما أخفى عنا أشياء في عالم الغيب أمرنا بالإيمان والتسليم وعدم الخوض بالباطل في الغيب.
فقد أمرنا الإسلام بالاستسلام والامتثال للأوامر وتصديق الأخبار حتى ولو لم تدرك، فالشريعة جاءت بمحارات العقول لا بمحالاتها.
لذا مَنَعَ الإسلامُ الخوض فيما لا يدركه العقل ولا يكون في متناول إدراكه، كالذات الإلهية، والأرواح وماهيتها، ونحو ذلك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :
" **تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله عز وجل** "[٢٠] وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام :
" **لا يزال الناس يتساءلون، حتى يُقال هذا خلق الله الخلق ، فمَن خلق الله ؟ فمَن وجد من ذلك شيئاً فليقل آمنت بالله** ".[٢١]
وعن الروح قال الله تعالى :
{ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا** } الإسراء ٨٥.
فصرف الجواب عن ماهيتها، لأنه ليس من شؤون العقل ومدركاته.
وكذلك الجنة ونعيمها والنار وجحيمها وكيفية ذلك، وغيرها من الغيبيات التي ليست من متناول العقل ومدركاته.[٢٢]
ومن ذلك أيضاً المتشابه، فقد أمر الله سبحانه وتعالى بالإيمان والتسليم وعدم الخوض فيه، قال تعالى :
{ **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ** } آل عمران ٧.

وقد شرح **الشاطبي** مسألة إدراك العقل من عدمه للعلوم وأن ذلك على ثلاثة أقسام[٢٣]:

الأول : العلوم الضرورية، وهي التي لا يمكن التشكيك فيها، إذ أنها تلزم جميع العقلاء، ولا تنفك عنهم، كعلم الإنسان بوجوده، وأن الاثنين أكثر من الواحد، واستحالة الجمع بين النقيضين أو دفعهما... إلى غير ذلك مما يسمى بقوانين العقل الضرورية.

الثاني : العلوم النظرية، وهي التي تكتسب بالنظر والاستدلال، وهذا

النظر لا بد في تحصيله من علم ضروري يستند إليه، حتى يعرف وجه الصواب فيه.

وهذا التقسيم تدخل فيه كثير من العلوم، كالطبيعيات، والرياضيات، والطب، والصناعات، وهو نوعان : نوع يتمخض فيه العقل، وهو عادة يكون في العلوم المفضولة، والآخر يكون بالنظر في أدلة الشرع، وبذل الوسع لإقامة العبودية.

الثالث : وهذا القسم لا يُعلم بواسطة العقل، إلا أن يُعَلَّمه، بأن يُجعل له طريق للعلم به، وذلك كالغيبيات، سواء كانت من قبيل ما يعتاده علم العبد، كعلمه بما تحت رجليه، وعلمه بالبلد القاصي عنه الذي لم يتقدم له به عهد، وعلمه بما في اليوم الآخر من بعث وحساب وجزاء، وتفاصيل ذلك، فهذا لا يُعلم إلا عن طريق الخبر، ويدخل في ذلك كثير من مسائل الاعتقاد ولاسيما التفصيلية منها.

لذلك لا بد أن يتوقف العقل في الغيب وما في حكمه عند النص ولا يتجاوزه بالظن، وحول هذا المعنى يقول **السفاريني** رحمه الله : " **إن الله تعالى خلق العقول وأعطاها قوة الفكر، وجعل لها حداً تقف عنده من حيث ما هي مفكرة، لا من حيث ما هي قابلة للوهب الإلهي، فإذا استعملت العقولُ أفكارَها فيما هو من طورها وحدِّها، ووفت النظر حقه ؛ أصابت بإذن الله تعالى، وإذا سلطت الأفكار على ما هو خارج عن طورها ووراء حدِّها الذي حدَّه الله لها، رَكِبَتْ متن عمياء وخبطت خبط عشواء** ".[٢٤]

فالعقل البشري يحقر ويهين نفسه حين يبحث فيما لا سبيل إلى معرفته وإدراكه، فتفشاه الظلمة وتستولي عليه الحيرة.

والخلاصة أن كل ما استأثر الله بعلمه من المغيبات ؛ وكل ما طوى الله عنا خبره أو اشتبه علينا ؛ فالبحث فيه مما لا تدركه العقول، وكل ما كان كذلك فإن الشرع نهى عنه، فإن العقل يوجه لما فيه صلاح ولما يتحمله ويدركه، لا فيما يحيّره ويهلكه.

بهذا ندرك خطأ المتكلمين لما جعلوا العلوم التي تمدها مصادر المعرفة تستحيل (أي تتحول) إلى صفة تكون تحت قانون العقل ونظره، وأن العقل في نهاية المطاف هو الذي يدرك الحقائق على ما هي عليه، وهذا بناء على تفسيرهم للعقل، كما سبق.

المراد أنه مما يوضح خطأهم هذا ويبين وجه الصواب فيه هو البحث في مسألة مهمةِ العقل (وظيفته ومقدرته) فبها يفض النزاع.

وبما سبق ندرك أن العقل وسيلة وليس مصدراً.

فإن العقل المجرد ليس له إثبات شيء من العقائد والأحكام في الشريعة، وإنما مرجع ذلك إلى السمع الذي هو المنقول عن الله تعالى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والعقل آلة فهم للنصوص.[٢٥]

قال **أبو المظفر السمعاني** : " **اعلم أن مذهب أهل السنة أن العقل لا يوجب شيئاً على أحد، ولا يرفع شيئاً منه، ولا حظ له في تحليل أو تحريم... ولو لم يرد السمع ما وجب على أحد شيء، ولا دخلوا في ثواب ولا عقاب...**

أهل السنة قالوا : الأصل في الدين الاتباع، والمعقول تبع، ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي وعن الأنبياء، ولبطل معنى الأمر والنهي، ولقال مَن شاء ما شاء ".[٢٦]

فلو كان العقل يُهتدى به إلى معرفة الأحكام وما يجب على العباد لما كان هناك حاجة لإرسال الرسل وإنزال الكتب، لذا يجب التسليم للنصوص واتباعها ظاهراً وباطناً.

فيجب أن ننبذ الآراء ونرجع إلى الوحي، فالعقول تتفاوت، وعقل مَن نحكم؟

لذا لم يحل إليها الشريعة، إنما أحالت للكتاب والسنة، فعقل **زيد** غير عقل **عمرو**، وهذا يدرك ما لم يدركه ذاك، وعقل هذا ينفي أمراً، وعقل الآخر يثبته. بل وإن الشخص الواحد قد يحصل له تفاوت في عقله لطول نظر وبحث أو زيادة تجربة وغير ذلك، وهذا ما أكده **الشاطبي** رحمه الله : " **فالإنسان ـ وإن زعم في الأمر أنه أدركه وقتله علماً ـ لا يأتي عليه الزمان إلا وقد عَقَلَ فيه ما لم يكن عقل، وأدرك من علمه ما لم يكن أدرك قبل ذلك، كل أحد يشاهد ذلك من نفسه عياناً، ولا يختص ذلك عنده بمعلوم دون معلوم** ".[٢٧]

فيجب أن ننبذ الآراء ونرجع إِلى الوحي، فالعقول تتفاوت، وعقل من نحكم؟

لذا لم يُحل إليها الشريعة، إنما أحالت للكتاب والسنة، فعقل زيد غير عقل عمرو، وهذا يدرك ما لِم يدركه ذاك، وعقل هذا ينفي أمراً، وعقل الآخر يثبته. بل وإن الشخص الواحد قد يحصل له تفاوت في عقله لطول نظر وبحث أو زيادة تجربة وغير ذلك.

وهذا ما أثاره **ابن القيم** رحمه الله بقوله : " **إن المعقولات ليس لها ضابط ولا هي محصورة في نوع معين، فإنه ما من أمة من الأمم إلا ولهم عقليات يختصمون إليها ويختصون بها. فللفرس عقليات، وللهند عقليات، وللمجوس عقليات، وللصابئة عقليات، وكل طائفة من هذه الطوائف ليسوا متفقين على العقليات، بل فيها من الاختلاف ما هو معروف عند المعتنين به، ونحن نعفيكم من هذه المعقولات واضطرابها ونحاكمكم إلى المعقولات التي في هذه الأمة، فإنه ما من مدة من المدد إلا وقد ابتدعت فيها بدع يزعم أربابها أن العقل دل عليها** ".[٢٨]

فالعقول تتفاوت في الفهم، ولا يلزم أن يستفيد العقل من مصادر المعرفة استفادة تامة، أو صحيحة، وكذلك لا يلزم أن يفهم العقل كل شيء على حقيقته التي هو عليها حتى وإن أمدته مصادر معرفية، فإن ضمان العصمة من ذلك غير وارد.

لذلك لا بد أن نضبط العقل بنصوص الوحي، لأن الأدلة العقلية جاءت في الأدلة النقلية، ولا تضاد بين الدليلين.

المحطة الثانية
في تقسيم الأدلة إلى (شرعي) يقابله (عقلي) أو (نقلي) يقابله (عقلي)

جعل المتكلمون الدليل الشرعي هو السمعي فقط، وعلى ذلك تكون التسميات "الشرعي والسمعي والنقلي" تسميات مترادفة، يقابلها ويكون قسيمها الدليل العقلي وهو القطعي عندهم؛ وعليه فإن البراهين والحجج لا تكون عندهم إلا عقلية فقط.

وهذا التقسيم خطأ من الأساس، ولا دليل عليه.

فالدليل الشرعي يقابله الدليل البدعي، والدليل الشرعي يكون نقلياً سمعياً، ويكون عقلياً.[٢٩]

لذلك فإن " **كون الدليل عقلياً أو سمعياً ليس هو صفة تقتضي مدحاً ولا ذماً، ولا صحة ولا فساداً، بل ذلك يبين الطريق الذي به علم، وهو السمع أو العقل، وإن كان السمع لابد معه من العقل، وكذلك كونه عقلياً أو نقلياً، وأما كونه شرعياً فلا يقابل بكونه عقلياً، وإنما يقابل بكونه بدعياً، إذ البدعة تقابل الشرعة، وكونه شرعياً صفة مدح، وكونه بدعياً صفة ذم، وما خالف الشريعة فهو باطل.**

ثم الشرعي قد يكون سمعياً وقد يكون عقلياً، فإن كون الدليل شرعياً يراد به كون الشرع أثبته ودل عليه، ويراد به كون الشرع أباحه وأذن فيه، فإذا أريد بالشرعي ما أثبته الشرع، فإما أن يكون معلوماً بالعقل أيضاً، ولكن الشرع نبه عليه ودل عليه، فيكون شرعياً عقلياً. وهذا كالأدلة التي نبه الله تعالى عليها في كتابه العزيز من الأمثال المضروبة وغيرها الدالة على توحيده وصدق رسله وإثبات صفاته وعلى المعاد، فتلك كلها أدلة عقلية يُعلم صحتها بالعقل، وهي براهين ومقاييس عقلية، وهي مع ذلك شرعية.

وإما أن يكون الدليل الشرعي لا يُعلم إلا بمجرد خبر الصادق، فإنه إذا أخبر بما لا يعلم إلا بخبره كان ذلك شرعياً سمعياً ".[٣٠]

فعلى ذلك، وصف الدليل بأنه شرعي أو نقلي يراد به أحد أمرين :

الأمر الأول : أن يكون الشرع أثبته ودل عليه، وهذا على قسمين :

القسم الأول : ما كان معلوماً بالعقل، فيكون شرعياً عقلياً، كالأمثال المضروبة في القرآن، وغيرها من دلائل التوحيد والنبوة والبعث.

القسم الثاني : ما لا يُعلم إلا بخبر الصادق فيكون شرعياً سمعياً، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر.

الأمر الثاني : أن يكون الشرع أباحه وأذن فيه، ولو لم ينبه عليه، وضابط ذلك : أن لا يتصف الدليل بوصف يقتضي تحريمه شرعاً، كأن تكون إحدى مقدماته باطلة، فيكون كذباً. والكذب محرم شرعاً، ولاسيما على الله تعالى، وكأن يكون المتكلم بالدليل يتكلم بلا علم، فهذا محرم أيضاً، وكأن يجادل به صاحبه في الحق بعدما تبين له، فهذا كله يقتضى حرمة شرعية، فما سلم من هذه الأوصاف ونحوها فهو دليل شرعي بهذا المعنى، فيدخل في ذلك الأخبار الصادقة، والأدلة العقلية المعلومة بالعيان ولوازمه، وسائر ما شهدت به الموجودات، والشرط في شرعية ذلك كله : ألا يلزم منه لوازم باطلة، تعارض ما ثبت في النقل الصحيح، كما هو شأن الأدلة البدعية.[٣١]

فالخلاصة في هذه المحطة أن التقسيم للأدلة عند المتكلمين غير

مسلم به، فالدليل قد يأتي نقلياً عقلياً، لأن الشرع أخبر به والعقل يدركه، وقد يأتي نقلياً لا يدركه العقل، فلا يقال فيه إن العقل يرده أو يعارضه، لأن العقل لا يظهر له الصحة والفساد في شيء لا يقدر على تصوره فضلاً عن الإحاطة به.

وإذا تبين ذلك فإن أهم أركان القانون العقلي قد اختل.

المحطة الثالثة
نقد المتكلمين في قولهم إن حجة العقل هي أصل حجة النقل، والنقل تابع للعقل

وهذه المقدمة متعلقة في أصلها على أساس مذهب المتكلمين في الاستدلال على وجود الله تعالى وإثبات حدوث هذا العالم واحتياجه إلى وجود مُحدِث وهو الله سبحانه وتعالى.[٣٢]

وترتب على هذا الأمر عندهم أن العقل أصل النقل، ولو قدم النقل لكان قدحاً في العقل والنقل جميعاً. وهذه الدعوى غير صحيحة، والقول بها قول مناقض لنصوص الشريعة، فالله تعالى قال :

{ **رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّـهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّـهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** } النساء ١٦٥. وقال :

{ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ** } القصص ٥٩.

وقال :

{ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا** } الإسراء ١٥.

فالحجة ليست بالعقل، إنما بالكتاب والسنة.

والله سبحانه وتعالى إنما أقام الحجة على خلقه بكتابه ورسله عليهم الصلاة والسلام، وكل مَن بلغه القرآن فقد أنذر به وقامت عليه حجة الله تعالى به.[٣٣]

والشأن كما قال **أبو المظفر السمعاني** رحمه الله تعالى : **" ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي وعن الأنبياء صلوات الله عليهم، ولبطل معنى الأمر والنهي ".**[٣٤]

وهنا أوجه تمهيدية في إبطال هذه المقدمة التي استند عليها المتكلمون في القانون العقلي الكلي :

الوجه الأول : لا خلاف بين المسلمين أن كتاب الله تعالى لا يجوز رده بالعقل، بل العقل دل على وجوب قبوله والائتمام به، وكذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم إذا ثبت عنه لا يجوز رده، وأن الواجب رد كل ما خالفهما أو خالف أحدهما، فمَن قال بغير هذا فقد خالف إجماع المسلمين.[٣٥]

الوجه الثاني : إن السلف والمتكلمين متفقون على أنه لو قال قائل : العقل ليس بحجة، فإنه لا يكفر ولا يفسق، ولو قال : إن كتاب الله ليس بحجة فإن ذلك القول كفر، فدل ذلك على أن السمع هو الحجة.[٣٦]

الوجه الثالث : إن القائلين بالعقل وإنه أول الحجج مختلفون فيه، فكل واحد يزعم أن الحق معه، وأن مخالفه قد أخطأ الطريق، أما السمع فلا يدخله هذا الخلاف.[٣٧]

قال **البزدوي** الحنفي رحمه الله : **" العلم نوعان : علم التوحيد والصفات، وعلم الفقه والشرائع والأحكام. والأصل في النوع الأول هو التمسك بالكتاب والسنة ومجانبة الهوى والبدعة، ولزوم طريق السنة والجماعة الذي كان عليه الصحابة والتابعون ومضى عليه الصالحون، وهو الذي أدركنا عليه مشايخنا رحمهم الله وكان على ذلك سلفنا، أعني أبا حنيفة وأبا يوسف ومحمداً وعامة أصحابهم رضي الله عنهم ".**[٣٨]

أما مناقشة الدعوى الأصلية في هذه المقدمة وهي أن العقل أصل النقل، فلو أنا قدمنا النقل للزم منه الطعن في العقل والنقل، فالجواب من وجوه، أبرزها ما يأتي :

الوجه الأول : أن قولهم **" إن قدمنا النقل كان ذلك طعناً في أصله الذي هو العقل، فيكون طعناً فيه، غير مسلم؛ وذلك لأن قوله : إن العقل أصل للنقل، إما أن يريد به : أنه أصل في ثبوته في نفس الأمر، أو أصل في علمنا بصحته ".**[٣٩]

وإرادة المعنى الأول باطلة، وذلك أن ما هو ثابت في نفس الأمر سواء كان بالسمع أو غيره، فهو ثابت، علمه الناس أو جهلوه، فالعلم به وكذا الجهل، لا ينفع ولا يضر بالنسبة لثبوته، فوجود الله ـ عز وجل ـ وصدق الرسول والسمع ثابت في نفس الأمر، فلا يحتاج إلى عقل، ولا

إلى غيره في ذلك. ولكنهم إنما أرادوا المعنى الثاني، وهو أنه أصل في العلم بصحته.

وذلك أن العقل الذي هو أصل في العلم بصحة السمع يطلق على العقل الذي هو الغريزة، وعلى العلوم التي أفيدت بتلك الغريزة.

أما **الأول** وهو الغريزة، فهذا لا يمكن أن يراد ؛ وذلك لأن تلك الغريزة ليست علماً يتصور أن يعارض النقل، كما أنها ـ أيضاً ـ شرط في كل علم عقلي أو سمعي، والشرط يمتنع أن ينافي مشروطه.[٤٠]

وأما **الثاني** فإن : " **من المعلوم أنه ليس كل ما يُعرف بالعقل يكون أصلاً للسمع ودليلاً على صحته ؛ فإن المعارف العقلية أكثر من أن تحصر، والعلم بصحة السمع غايته أن يتوقف على ما به يعلم صدق الرسول وليس كل العلوم العقلية يُعلم بها صدق الرسول، بل ذلك يُعلم بما يُعلم به أن الله ـ تعالى ـ أرسله، مثل إثبات الصانع، وتصديقه للرسول بالآيات وأمثال ذلك، وإذا كان كذلك لم تكن جميع المعقولات أصلاً للنقل، لا بمعنى توقف السمع عليها، ولا بمعنى الدلالة على صحته، ولا بغير ذلك.**

وحينئذ فإذا كان المعارض للسمع من المعقولات ما لا يتوقف العلم بصحة السمع عليه، لم يكن القدح فيه قدحاً في أصل السمع، وهذا بين واضح، وليس القدح في بعض العقليات قدحاً في جميعها، كما أنه ليس القدح في بعض السمعيات قدحاً في جميعها، ولا يلزم من صحة بعض العقليات صحة جميعها، كما لا يلزم من صحة بعض السمعيات صحة جميعها، وحينئذ فلا يلزم من صحة المعقولات التي تبنى عليها معرفتنا بالسمع صحة غيرها من المعقولات، ولا من فساد هذه فساد تلك، فضلاً عن صحة العقليات المناقضة للسمع، فكيف يقال : إنه يلزم من صحة المعقولات التي هي ملازمة للسمع صحة المعقولات المناقضة للسمع ؟ فإن ما به يُعلم السمع، ولا يُعلم السمع إلا به، لازم للعلم بالسمع، لا يوجد العلم بالسمع بدونه، وهو ملزوم له، والعلم به يستلزم العلم بالسمع، والمعارض للسمع مناقض له مناف له، فهل يقول عاقل : إنه يلزم من ثبوت ملازم الشيء ثبوت مناقضه ومعارضه؟ ".[٤١]

الوجه الثاني : أن قولهم : " **إذا تعارض النقل والعقل قدم العقل** " خطأ محض ؛ لأنه إما أن يراد به القطعيان، فهذا لا يسلم إن كان التعارض، وإما أن يراد به الظنيان، فالمقدم هو الراجح مطلقاً عقلياً كان أو ظنياً، وإما أن يراد به ما أحدهما قطعي والآخر ظني، فالمقدم هو القطعي، فالتقديم من جهة القطعية والرجحان، لا من جهة كونه عقلياً أو نقليا.[٤٢]

الوجه الثالث : يقال كذلك : العقل إما أن يكون عالماً بصدق الرسول وثبوت ما أخبر به في نفس الأمر، وإما أن لا يكون عالماً بذلك، فإن لم يكن عالماً بذلك امتنع التعارض عنده إذا كان المعقول معلوماً له ؛ لأن المعقول لا يعارضه المجهول، وإن لم يكن المعقول معلوماً له، لم يتعارض مجهولان، وإن كان عالماً بصدق الرسول امتنع ـ مع هذا ـ أن لا يعلم بثبوت ما أخبر به في نفس الأمر، غايته أن يقول : هذا لم يخبر به، والكلام ليس هو فيما لم يخبر به، بل إذا علم أن الرسول أخبر بكذا فهل يمكنه مع علمه بصدقه فيما أخبر، وعلمه أنه أخبر بكذا أن يدفع عن نفسه علمه بثبوت المخبر، أم يكون علمه بثبوت مخبره لازماً له لزوماً ضرورياً، كما تلزم سائر العلوم لزوماً ضرورياً لمقدماتها ؟

وإذا كان كذلك فإذا قيل له في مثل هذا : لا تعتقد ثبوت ما علمت أنه أخبر به ؛ لأن هذا الاعتقاد ينافي ما علمت به أنه صادق، كان حقيقة الكلام : لا تصدقه في هذا الخبر ؛ لأن تصديقه يستلزم عدم تصديقه.[٤٣]

وهذا من الجمع بين النقيضين؛ لأنه يفضي إلى الأمر بتصديقه وعدم تصديقه في آن واحد، وهذا ما أفضى بجماعات المتكلمين إلى عدم الإفادة مما جاء عن رسول الله، بل وجود الرسول كعدمه في المطالب الإلهية وعلم الربوبية، بل وجوده ـ على قولهم ـ أضر من عدمه.[٤٤]

الوجه الرابع : نقلب المسألة ونقول : إذا تعارض الشرع والعقل وجب تقديم الشرع ؛ لأن العقل مصدق للشرع في كل ما أخبر به، والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به، ولا العلم بصدقه موقوف على كل ما يخبر به العقل.[٤٥]

وذلك لأن العقل يدل على صدق الرسول دلالة عامة مطلقة، فحال العقل مع الشرع، كحال العامي إذا علم عين المفتي ودل غيره عليه،

فنـزاع العـامي للمفتـي في مسـائل العلم غير مقبول ؛ لأنه شهد له بأنه أعلم منـه، وإن كـان هـو الأصـل في الدلالة عليه وتعيينه، فدلالة العقـل عـلى صـدق الرسـول هـذه الدلالـة المطلقـة لا توجـب تقـديم أحكامـه عليه ؛ لأن غاية مـا يـدل عليـه هـو تصديق الرسول.[٤٦]

ومنها أيضاً أن تقديم المعقـول عـلى الأدلة الشرعية ممتنع متناقض، وأمـا تقديم الأدلة الشـرعية، فهـو ممكـن مؤتلـــف، فوجـــب الثـــاني دون الأول،[٤٧] وذلك لأن المسـائل التـي يـدعى فيهـا التعـارض بـين العقـل والشرع اضـطرب فيهـا العقـلاء، ولم يتفقوا فيها عـلى أن موجـب العقـل كـذا، فبعضـهم يـدعي أن العقـل أوجـب كـذا، وآخـرون يـدعون أن العقـل يمنعـه ويحيلـه " **بـل قـد آل الأمر بينهم إلى التنازع فيما يقولون إنه من العلوم الضرورية** ".[٤٨]

وأمـــا إذا قيـــل بوجـــوب تقـــديم الشـــرع، فالشـــرع في نفسـه " **قـول الصادق، وهذه صـفة لازمـة لـه، لا تختلـف بـاختلاف أحـوال النـاس، والعلـم بـذلك ممكـن، ورد النـاس إليه ممكن** ".[٤٩]

الوجـه الخـامس : معارضـة دلـيلهم بنظير ما قالوه، فيقـال : إذا تعـارض العقل والنقل، وجب تقديم النقـل ؛ لأن الجمع بين المـدلولين جمـع بـين النقيضين، ورفعهـما رفـع للنقيضـين، وتقديم العقـل ممتنـع ؛ لأن العقـل قد دل على صـحة السـمع ووجـوب قبول ما أخبر به الرسول، فلو أبطلنـا النقـل، لأصـبحنا قـد أبطلنـا دلالـة العقل، وإذا أبطلنـا دلالـة العقـل، لم يصلح أن يكون معارضـاً للنقـل ؛ لأن ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة شيء مـن الأشـياء، فكـان تقـديم العقـل موجبـاً عـدم تقديمـه، فـلا يجـوز تقديمه، وهذا واضح، فإن العقل هـو الذي دل على صدق السمع وصحته، وأن خبره مطابق لمخبره، فإن جاز أن تكـون هـذه الدلالـة باطلـة لـبطلان النقل، لزم أن لا يكـون العقـل دلـيلاً صحيحاً، وإذا لم يكن دلـيلاً صـحيحاً، لم يجز أن يتبع بحـال، فضـلاً عـن أن يقدم، فصار تقديم العقل على النقل قـدحاً في العقـل بانتفـاء لوازمـه ومدلوله، وإذا كان تقديمه على النقل يستلزم القدح فيه، والقدح فيه يمنـع دلالتـه، والقـدح في دلالتـه يقـدح في معارضته، كان تقديمه عند المعارضـة مبطلاً للمعارضة، فامتنع تقديمه على النقل، وهـو المطلـوب، وأمـا تقـديم النقل عليه، فلا يستلزم فسـاد النقـل في نفسه ".[٥٠]

الوجـه السـادس : نقـول : الأمـور السـمعية التـي يقـال إن العقـل عارضـها كإثبـات الصـفات والمعـاد ونحو ذلك، هي مما علـم بالاضـطرار أن الرسول جاء بها، وما كان معلومـاً بالاضطرار من دين الإسلام، امتنع أن يكون باطلاً، مع كون الرسـول رسـول الله حقاً، فمَن قدح في ذلـك وادعـى أن الرسـول لم يجـيء بـه، كـان قولـه معلوم الفسـاد بالضـرورة مـن ديـن المسلمين.[٥١]

الوجه السابع : نقول إن كون الدليل عقليـاً أو سـمعياً، لـيس هـو صـفة تقتضي مدحاً ولا ذمـاً، ولا صـحة ولا فساداً، بل ذلك يبين الطريق الذي به عُلم، وهو السمع أو العقل، وإن كان السمع لابد معه من العقـل، وكـذلك كونه عقلياً أو نقلياً، وأما كونه شرعيـاً فلا يقابل بكونه عقليـاً، وإنمـا يقابـل بكونـــه بـــدعياً، إذ البدعـــة تقابـــل الشـرعة، وكونـه شرعيـاً صـفة مـدح، وكونـه بـدعياً صـفة ذم، ومـا خـالف الشريعة فهو باطل.

ثم الشرعي قـد يكـون سـمعياً، وقـد يكون عقلياً، فإن كون الـدليل شرعيـاً يراد به كون الشرع أثبته ودل عليـه، ويراد بـه كـون الشـرع أباحـه وأذن فيه، فإذا أريد بالشـرعي : مـا أثبتـه الشرع، فإما أن يكون معلوماً بالعقل ـ أيضاً ـ ولكن الشرع نبـه عليـه ودل عليه، فيكون شرعياً عقليـاً... وإمـا أن يكـون الـدليل الشـرعي لا يُعلـم إلا بمجرد خبر الصادق، فإنه إذا أخبر بمـا لا يعلـم إلا بخـبره كـان ذلـك شرعيـاً سمعياً.[٥٢]

مما سبق نخرج بنتيجة وضميمة

أمـا النتيجـة فهـي بطـلان قـول المتكلمين الذين قالوا إن العقـل هـو أصل النقل، فلا يجوز تقـديم العقـل (الأصل) على النقـل (الـذي دل عليـه الأصل).

أما الضميمة فهي نتيجة أخرى وهي أن النقل الصـحيح لا يعـارض العقـل الصـريح الصـحيح أبـداً، وذلـك لأن العقل مع النقل له أحوال ثلاثة :

١ ـ إما أن يشهد العقل بمـا دل عليـه الشرع، بما يـراه مـن محاسـن الـدين وبناء أحكامه عـلى تحصـيل المصـالح وتكميلهـــا، وعـــلى دفـــع المفاســـد

وتقليلها حسب الإمكان، وبيان أن هداية الدين وإرشاداته تجري مع الوقت والزمان لا تتغير ولا يحصل الرشد بغيرها.

٢ ـ وإما أن لا يهتدي العقل لمعرفة تفاصيلها، كأمور الغيب والبرزخ والجنة والنار وأحوال يوم القيامة مما لا تهتدي العقول إليه لا إجمالاً ولا تفصيلاً إلا بالوحي السماوي، والعقل فيها يخضع ويسلم للسمع لتيقنه صدق الشارع وأنه لا يقول إلا الحق.

٣ ـ وإما أن يأتي الشرع بما تحار فيه العقول ولا تعرف وجهه ولا حكمته وهذا النوع سماه الفقهاء تعبداً.[٥٣]

ولا يقع الظن في شيء يقال عنه إنه تعارض فيه النقل مع العقل إلا بسببين، هما :

السبب الأول : إما أن العقل فاسد، يظنه صاحبه معقولاً وحقيقة، وهو خيال لا حقيقة له.

السبب الثاني : وإما أن النقل غير صحيح، والنقل غير الصحيح ليس من الشرع.[٥٤]

وقد حكى عدد من العلماء الإجماع على هذا، أي بما يبطل مقولة المتكلمين في هذه المسألة.

قال العلامة **ابن الوزير اليمني** رحمه الله : " **إجماع علماء الإسلام من جميع الطوائف على أن القرآن يفيد ما ادعيت من معرفة أدلة التوحيد، من غير ظن ولا تقليد** ".[٥٥]

وقال **الآلوسي العراقي** : " **اعلم أن مستند المسلمين في العقائد ومرجعهم في أصول الدين وفروعه إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماعِ مَنْ سَلَفَ من علماء الأمة** ".[٥٦]

وهنا دليل عقلي يقود له النظر، وخلاصته أن نقول : إن الرسول صلى الله عليه وسلم لما بُعث إلى الناس أقام عليهم الحجة بالقرآن، ودعا الناس أول ما دعاهم إلى التوحيد ؛ معرفاً بالله، ودالاً عليه، ومبيناً الطريق الموصل له سبحانه وتعالى.

ولو كان القرآن لا يدل على معرفة الله، وبقي لنا مسائل عقلية نعرف الله بها وتكون هي الأصل لنقل ذلك إلينا، أو وضحه الله سبحانه وتعالى في كتابه أو بينه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وذلك لم يكن أبداً، ولو كان لما ترك الطاعنون في النبي صلى الله عليه وسلم وفي دعوته ذلك، لاسيما وأنه تحداهم أن يأتوا بمثل القرآن فعجزوا عنه، ولو كان ذلك حقاً في القرآن لعاب الكفار ذلك على هذا الكتاب العظيم.[٥٧]

وكذلك إذا نظرنا إلى الأمر وجدنا أن الدليل الهادي يكون في القرآن، وهو الوحي المعصوم.[٥٨]

المحطة الثالثة
في نقد قولهم إن دلالة النقل ظنية ودلالة العقل قطعية

أما المسألة الأخرى التي رتبوها على القانون العقلي فهي أن دلالةَ نصوصِ الوحي ظنيةٌ، ودلالةَ العقل قطعية، وهذا خطأ جسيم، وما سبق يؤكد هذا الخطأ.

وهنا أوجه خاصة في نقد هذه المقدمة أذكر أهمها كالتالي :

الوجه الأول : أن هذه المقالة تسقط حرمة النصوص الشرعية من القرآن والسنة، وتهدم قواعد الدين وتفتح الطريق أمام كل ملحد، فلا يحتج المحتج عليه بشيء من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم إلا ويلجأ إلى مثل هذا القول، وسيقول إن أدلة الكتاب والسنة ظنية، ودلالة العقل قطعية، وهذا فيه محو لرسوم الإسلام وهدم لمعالمه وإسقاط لهيبة النصوص المعصومة من القلوب.[٥٩]

الوجه الثاني : نقول : هذه النتيجة وهي أن دلالة النصوص (النقل) ظنية مبنية على المقدمات العشر التي ذكرها الفخر الرازي، ونحن لا نسلم أنه موقوف على هذه المقدمات العشر، بل نقول : ليس موقوفاً على ما به يُعرف مراد المتكلم، فإن مراد القائل بقوله : الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين، أنه لا يعلم بها مراد المتكلم، فأما كون مراده مطابقاً للحق فذاك مبني على ثبوت صدقه وعلمه، وليس مرادهم هذا، وإن أرادوا ذلك دون الأول، فهو موقوف على ثبوت عصمة المتكلم ومعرفة صدقه فقط، فمن عرف أن الرسول أراد هذا المعنى وعرف أنه صادق حصل له العلم اليقيني.[٦٠]

الوجه الثالث : أن يقال : كل مَن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وآمن بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ووجوب

طاعته واتباعه علم أن خبر الله ورسوله مطابق لمخبره، فلا يجوز أن يكون خبر الله ورسوله لا يطابق مخبره.[٦١]

الوجه الرابع : هذا القول مناقض لإجماع السلف، ففي الوحي من الكتاب والسنة الغنية والعظة والعبرة والكفاية والغنيمة وبيان لكل معلوم.[٦٢]

فكيف يقال عن نصوص الوحي إنها ظنية لا تفيد العلم، والإجماع قد وقع أن فيهما الغنية والبيان لكل معلوم ؟

وكذلك فإن الإجماع قائم على عدم جواز ترك ما جاء في الكتاب والسنة،[٦٣] فكيف يقال إن نصوص الكتاب والسنة ظنية وليست قطعية ؟

وإليك بعض النقولات عن علماء متعددين، مختلفين في مذاهبهم وعقائدهم وأزمانهم وأوطانهم :

قال **ابن حزم** رحمه الله تعالى : **" اتفقنا نحن وجميع أهل الإسلام ـ جنهم وإنسهم ـ في كل زمان إجماعاً صحيحاً متيقناً على أن القرآن الذي أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم حق لازم لكل أحد "**.[٦٤]

وقال أيضاً رحمه الله تعالى : **" لا خلاف بين أحد من الفرق المنتمية إلى المسلمين من أهل السنة والمعتزلة والخوارج والمرجئة والزيدية في وجوب الأخذ بما في القرآن "**.[٦٥]

وقال **الآمدي** إمام متكلمة الأشعرية رحمه الله : **" اتفقوا على أن مَن نقل من القرآن نقلاً متواتراً وعلمنا أنه من القرآن أنه حجة "**.[٦٦]

وقال **ابن الأمير الصنعاني** رحمه الله : **" إنه قد علم من ضرورة الدين أن كل ما في القرآن فهو حق لا باطل، وصدق لا كذب، وهدى لا ضلالة، وعلم لا جهالة، ويقين لا شك فيه، فهذا أصل لا يتم إسلام أحد ولا إيمانه إلا بالإقرار بهذا الأصل وهذا أمر مجمع عليه لا خلاف فيه "**.[٦٧]

والعجيب حقاً أن المتكلمين يمنعون الاستدلال بالقرآن في بعض مسائل الاعتقاد ويجعلون دلالة الكتاب والسنة ظنية ؛ ثم يستدلون على مسائل في الإلهيات بأدلة مثل الجوهر الفرد أو مثل قولهم الباطل إن الحادث أعراض فقط وأنه مركب من الجواهر المفردة ويشرحونها بتقعر، ويعسر عليهم توضيحها بشكل سهل يسير، ثم تكون هذه الأدلة هي الجلية والقطعية في مسائل أصول الدين، وهي أدلة بالغة الخفاء والدقة، وكثير منها لا يوصل للمطلوب، وبعضها باطل من أساسه.[٦٨]

وهذا ما استظهره العلامة **ابن الوزير** لما قال رحمه الله : **" وإنما يستقبحون الظواهر بعقولهم، فيتكلفون لها معاني كثيرة يختلفون فيها، وكل منهم ينفرد بمعنى، ويأتي بمجرد احتمال، والكل من ذلك مما لم يستندوا فيه إلى شيء من السمع، وقد يكون مخالفاً للمعلوم من الشرع؛ لأن تلك الآيات ظهرت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعُلم من المسلمين تلقيها بالقبول، ولم يُخبر صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه له بتأويل، ولا نبه على ذلك مع ما في المسلمين من البلاه المحتاجين إلى البيان الذي لا يجوز تأخيره عن وقت الحاجة "**.[٦٩]

هذا وأني لأرجو أن أكون قد وفقت في إيضاح هذه المسألة التي تركت من فروعها أكثر مما ذكرته، وذلك لحاجة الباحث إلى تفصيل وشرح وبيان يطول بسببه الكلام ويضيع بذلك الهدف المنشود.

وأسأل الله التوفيق والسداد في القول والعمل. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصبحه أجمعين.

المراجع

[١] معجم مقاييس اللغة لابن فارس "٤/ ٦٩".

[٢] لسان العرب لابن منظور " ١١/ ٤٥٨-٤٦٠ ".

[٣] انظر موقف السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل وأثر المنهجين في العقيدة، جابر إدريس علي أمير " ١/ ٧٠-٧٢ ".

[٤] منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عثمان علي حسن "١ /١٥٨".

[٥] انظر مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر عبدالرحمن الزنيدي ص ٤١٩.

[٦] مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية عثمان جمعة ضميرية ص ١٨٤.

[٧] انظر بغية المرتاد لابن تيمية ص ٢٦٠-٢٦٣. ومنهاج البحث للزنيدي ص ٤٢٠.

[٨] مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية " ٣/ ٣٣٨-٣٣٩" وانظر أيضاً في المرجع نفسه "٩ /٢٨٦-٢٨٧" وانظر

أيضاً درء التعارض بين العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية "١/ ٨٩".

[٩] التعريفات للجرجاني ص ١٢٥.

[١٠] العقل وفهم القرآن للحارث المحاسبي ص ٤٥.

[١١] التعريفات للجرجاني ص ١٢٥-١٢٦.

[١٢] بغية المرتاد ص ٢٥٦.

[١٣] الحدود للباجي ص ٣١.

[١٤] انظر درء التعارض "١/ ٥". ومجموع الفتاوى "٤/ ١٠٤" والفرقان بين الحق والباطل ص٩٢.

[١٥] محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، للرازي ص١٤٢.

[١٦] انظر منهج القرآن في مخاطبة الإنسان بين العقل والعاطفة والفطرة د. إبراهيم الغفيص ص٥٣٤

[١٧] معالم التنزيل للبغوي "١/ ٣٥٥".

[١٨] انظر منهج السلف بين العقل والتقليد. محمد السيد الجليند ٣٦-٤٠.

[١٩] انظر منهج السلف بين العقل والتقليد ٤١-٤٢.

[٢٠] رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى "٥/ ٣٨٣" والطبراني في المعجم الكبير "٢/ ٣١٣" "٦٨٣"، وانظر كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني "١/ ٣١١".

[٢١] متفق عليه. رواه البخاري "٦٧٥٢"، ورواه مسلم "١٩٠".

[٢٢] انظر منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير د. فهد الرومي "١/ ٣٨-٣٩".

[٢٣] الاعتصام للشاطبي "٢/ ٣١٨-٣٢٢".

[٢٤] لوامع الأنوار البهية "١/ ١٠٥".

[٢٥] انظر العقيدة السلفية في كلام رب البرية. عبدالله الجديع ص ١٩.

[٢٦] الحجة في بيان المحجة لقوام السنة الأصبهاني "٢/ ٣٠".

[٢٧] الاعتصام للشاطبي "٢/ ٣٢٢".

[٢٨] مختصر الصواعق ص ١٣٩.

[٢٩] انظر درء التعارض بين العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية "١/ ١٩٨".

[٣٠] درء التعارض بين العقل والنقل "١/ ١٩٨-١٩٩".

[٣١] درء التعارض "١/ ١٩٨-١٩٩" ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام "٦/ ٧١-٧٢".

[٣٢] انظر الإنصاف لأبي بكر الباقلاني، ص٢٧. والاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالي، ص١٩. وأصول الدين لعبدالقاهر البغدادي، ص٥٩.

[٣٣] انظر مختصر الصواعق المرسلة "١/ ٢١٦".

[٣٤] الانتصار لأهل الحديث نقلاً عن صون المنطق والكلام عن علم المنطق والكلام للسيوطي "ص١٨٢ ١٨٣".

[٣٥] انظر : الرد على مَن أنكر الحرف والصوت "ص٩٣".

[٣٦] المرجع السابق "ص٩٤".

[٣٧] المرجع السابق.

[٣٨] أصول البزدوي المسمى كنز الوصول إلى معرفة الأصول، لفخر الدين علي بن محمد البزدوي الحنفي، ص٨٩.

[٣٩] درء التعارض " ١/ ٨٧ ".

[٤٠] انظر : درء التعارض "١/ ٨٧-٨٩".

[٤١] درء التعارض " ١/ ٨٩-٩١ ".

[٤٢] انظر درء التعارض "١/ ٨٦-٨٧" الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة "٣/ ٧٩٨".

[٤٣] انظر : درء التعارض "١/ ١٣٤ "، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة "٣/ ٨٠٢".

[٤٤] انظر : درء التعارض "١/ ١٣٤ ". "٢/ ٢٢٤" "٣/ ٣٣٩" ومفتاح دار السعادة لابن القيم "٣/١٣٨٩".

[٤٥] درء التعارض "١/ ١٣٨ ".

[٤٦] انظر : درء التعارض "١/ ١٣٩ "، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة "٣/ ٨٠٧".

[٤٧] انظر : درء التعارض "١/ ١٤٤ "، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة "٣/ ٨٢٣ -٨٢٤".

[٤٨] درء التعارض " ١/ ١٤٤- ١٤٥ ".

[٤٩] انظر : درء التعارض "١/ ١٤٦ "، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة "٣/ ٨٢٣ -٨٢٥".

[٥٠] درء التعارض " ١/ ١٧٠- ١٧١ ".

[٥١] درء التعارض " ١/ ١٩٥ ".

[٥٢] درء التعارض " ١/ ١٩٨- ٢٠٠ ".

[٥٣] توضيح الكافية الشافية للسعدي، ص١٤٢-١٤٣.

[٥٤] المرجع السابق، ص١٤٢-١٤٣.

[٥٥] ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان، لابن الوزير، ص١٥.

[٥٦] غاية الأماني في الرد على النبهاني، لمحمود شكري الألوسي "١/ ٥٥".

[٥٧] انظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ص٢٣.

[٥٨] انظر نقض المنطق لشيخ الإسلام، ص٣٣.

[٥٩] الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم "٢/ ٦٣٢".

[٦٠] المرجع السابق "٢/ ٦٣٤".

[٦١] المرجع السابق "٢/ ٦٣٤".

[٦٢] قانون التأويل لابن العربي، ص٥٠٤.

[٦٣] انظر مراتب الإجماع لابن حزم، ص١٧٤.

[٦٤] الإحكام لابن حزم "١/ ٥٣٨".

[٦٥] الإحكام "١/ ٩٢".

[٦٦] الإحكام للآمدي "١/ ٢١٦".

[٦٧] تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد، لابن الأمير الصنعاني، ص٢٠٦.

[٦٨] انظر درء التعارض بين العقل والنقل لشيخ الإسلام"١/ ١٢٤".

[٦٩] ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان، لابن الوزير، ص ١٢٥.

أسرة مجلة أوج تهنئكم بحلول شهر رمضان المبارك